حوارٌ في ظلِّ

# الانتفاضة

## التاريخ والامّة والطبقة والتجمّع الصهيوني



دار الطليعة - بيروت

محجوب عمر

حوار في ظل البنادق

الطبعة الاولى
ايار (مايو) ١٩٧٥
الطبعة الثانية

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨

# مقدمة

## ١ -

في صيف ١٩٧٠ ، وفي معسكـــر عمل دولي اقامته فتح في ضواحي مدينـــة الكرك في جنوب الاردن ، وشاركت فيه مجموعات من الشباب من اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، دعاني مفوض المعسكر الى المشاركة في ليلة من الليالي السياسية التي كان يعقدها الضيوف والمقاتلون واعضاء الميليشيا كل مساء ·

كان من المفـــروض ان اتحدث عـــن تجربة النضال المسلح الفلسطيني في منطقة جنوب الاردن التي تميزت بأن اغلبية سكانها من البدو ·· ولكن الحديث جرى مجرى آخر ·

فقد ذكرت فيمـــا بدأت حديثي انـــه لا توجد « بروليتاريا اسرائيلية » ، ولا « طبقة عاملة يهوديـــة » ·· وبدأ حوار خصب ، استمر ثلاث ليال متوالية ، تعرضنا فيها للأمة ، والطبقة ، والتاريخ ، والخصوصية ومستقبل فلسطين الديمقراطية ·

ونبتت فكرة كتاب يجمع هذه الافكـــار ، ولكن الاحداث التي

توالت بعد ذلك والتقدير بأن الوقت لم يحن بعد لطرحها للحوار على نطـــاق واسع دون ان نفقد صداقــة صديـق ولا ان يخطىء احد الفهم في هدف الحوار ٠٠ كل ذلـــك عطـل الكتاب حتى مطلع عام ١٩٧٤ ٠

## ٢ -

في ذلك الوقت وصلت الي نسخة من الدفاع السياسي الذي القاه الرفيـــق رامي ليفنه عضو الاتحـــاد الشيوعي الثوري ( في فلسطين المحتلة ) امام الحكمــــة المركزية في حيفا ، عندما حوكم بصفته عضوا في تنظيم **الجبهة الحمراء** الذي ضم عربا من مختلف الاديان والذي تبنّى خطة العنف في مقاومــة الاغتصاب الصهيوني، وأعلن انه يناضل من اجـــل **فلسطين ديموقراطية** ٠ لم تكـن هذه الوثيقة هي اول مـــا يصلنا من وثائـــق سياسيـــة لقوى معارضة للصهيونية داخــــل الكيان الصهيوني نفسه ، قبلها قرأنا كتابات « الفهود السود » ، وحتى كتابات مجموعـــــة « ماتسبن » الاولى ، ولكنها كلها لم تكن تختلف كثيرا ، او جوهـــريا ، عن آراء عديدة اعلنت منذ نكبة ١٩٤٨ ومع ذلك ساهم قائلوهـــا في بناء « الكيان الاغتصابي » ومؤسساتـــه ، وظلت كلماتهم كلمـــات ، او اتجهت مواقف اصحابها وجهة غير التي نسير فيهـــا بل هي تؤدي رغم المعارضة ـ العنيفة احيانا ـ الى تدعيم المؤسسة الصهيونية ٠

هذه المرة كان الامر مختلفا ٠٠ هنا برنامج معلن ٠٠ وموقف نضالي اوصل صاحبه الى الاسر ٠

كان في خطاب الرفيق رامي ليفنه ما نتفق عليه ، وما نختلف حوله ٠٠ ولا شك انه في سجنـه قد قابـــل ما قابلنا عندما قرأنا كلماته ٠ ودار الحوار مـــــرة اخرى عبر الاسلاك الشائكة ٠٠ ثم

وصلتنا مقتطفات من كلمات الرفيـــق يهودا اديف ، وقد حوكم في القضية نفسها ، وكانت « الاتهامات » هي ذاتها ، واتضح منها ان اتفاقنا اكثر وضوحا ، وان حوارا بالافكار والمواقف العملية يدور الآن (١) بين اولئك الذيـــن يشكلون جانبـــا هاما من تصورنا للحل الديموقراطي في فلسطين بحكم معتقداتهم الدينيـــة ، اي بين الذين هم طرف في المشكلة لكونهم ذوي عقيدة يهودية ٠

وازدادت فكرة الكتابة الحاحا ، فبدأت الكتابة وفي النية ان

..................................................

١ ـ قال الرفيق اديف خلال المحاكمة في حيفا «ان هذا الوضع الاعوج يجب تغييره ، وهذا ما حاولت ان افعله ، بالتهيئة للنضال ضد دولة اسرائيل وهو ذلك الذي كان حتى الان بمثابة حرب من جانب العرب ضد اليهود، ونضال للمضطهدين ضد مضطهديهم في الوقت الذي يقف فيه كل من العرب واليهـود على جانبي المتراس ٠٠ وهذا يمكن عمله بأن يقوم يهود ويثبتوا للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين ، بانهم (اي اليهود) يقفون الى جانبهم ومستعدون ان يضحوا بكل ما لديهم ، وان يتعرضوا «للمعاملة» ذاتهـا وان يقتسموا واياهم كل الامور دون اي تمييز او افضلية لكونهم يهودا ٠ وبـدون ذلك لن يثق اي عربي بصدق ثورية اكثر ثوري يهودي استقامة ٠ وان ايـة ايديولوجية ، ولو كانت الاكثر مساواة وتقدمية ، لن تستطيع ان تقنع العرب ما لم يرافقها عمل من قبل اولئك الذين يحملونها ٠ ان التنظيـم الـذي كنت عضوا فيه اصدر عددا من النشرات شرحت برنامجه واهدافـه ٠ وبمـا ان حلفاءنا في صراعنا هم المنظمات الماركسية اللينينية في المنطقة ، فقد حاولت وسأحاول طالما استطعت ذلك ان اتصل بهم من اجل خلق جبهة عمل مشتركة٠ ان موقفي من الكفاح المسلح هو موقف ايجابي ، طالما كان يعمل على دفـــع الثورة ، اي عملية تحرير الجماهير ، الى الامام ، وبشكل ملمـوس ٠ فـان المقصود هو تنظيم يضم مئات من الاشخاص ، ويعمل بشكل شرعي ، اي عن طريق الصحف والمنشورات والدعاية ، وبشكل غير شـرعي ، اي عن طريـق الجناح العسكري للتنظيم ، الذي يعمل من اجل تحقيق كل ما ذكر اعلاه» ٠

« عن نشرة الارض عدد ٧ ـ ٨ ـ في ٢١ ـ ١٢ ـ ١٩٧٣ »

يكون حوار مـــع الرفاق الذين اتخـذوا « مواقفنا » ، وهكذا جاء الفصلان الاول والثاني حوارا مع الرفيق رامي ليفنه ورفاقه الذين يحملون الافكار نفسها ولهم المواقف نفسها ، او هم يقتربون منها او تخطوها الى أفضل ٠

## ٣ -

في تلك الفترة ـ اي في اوائـــــل عام ١٩٧٤ ـ وعندما بدأت الكتابة وتجميع المـــــواد والوثائق المطلوبة لها ، كانت ثمار حرب اكتوبر ـ تشرين الاول ١٩٧٣ قد بـــدأت في النضوج ، فكريا على الاقل ٠٠ اصبح السؤال الملح في كل حـوار « اذن ما الحل ؟ » كان ذلك دليلا على انتصار قضية فلسطين وعبورها « خطة التصفية » ٠ وتنوع السؤال من هذا الشكـــــل البسيط الى اشكال اخرى معقدة وفيها مراجعة لافكـــار سابقة كثيرة ، كما طرحـــت السؤال نفسه جهات متنوعة بل ومتناقضـــة ، صديقة وعدوة ، قديمة وجديدة ، وكأن السائلين قد انزاحت عن عيونهم وآذانهـــم وعقولهم غشاوة دامت اكثر من ربع قرن عندما كانوا يناقشون «الظاهرة» باعتبارها «اسرائيل» ولا ذكر اطـــلاقا لفلسطين وشعبهـــا ٠ ثم فجأة اصبح واضحا للجميع ان اي « **حل** » للتناقض الحاد والقائم والمستمر في فلسطين يبدأ ، في كل شكل من أشكاله ، من فلسطين ومـــن **فعل** شعبهـــا ٠

وبدأت جمع الافكار التي تكاثرت في ساحـــة الحوار العالمي حول هذه القضيـــة ، وتباطأت الكتابة بعـــد الفصـــل الثاني ٠ ثم تدخلت ظروف تتراجع امامها الكتابة ، فتوقفت فترة ٠ وفي تلك الاثناء القى الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحريـــر الفلسطينية كلمته في الامم المتحدة ، الكلمة التي تضمنت شرحا مناسبا للحل المقترح من جانب الثورة الفلسطينية ألا وهو **فلسطين الديموقراطية** ٠

وتلقف الفكرة ـ وهي الحل الـــذي قدمته فتح منذ ١٩٦٨ ـ الاصدقاء والاعـــداء ··· الاصـــدقاء بالترويج والدعوة ، وأيضا الاستيضاح · والاعداء بالمعارضة والتشويـــه ، وايضا بمحاولات ذكية تدعي القبول بها ثم تقترح ما يعرقلها او ينفيها ·

وعدت الى الكتابة محاولا الاجابة عن التساؤلات التي وصلتنا والرد على الحجج التي اثيرت ضد فكرة **فلسطين الديموقراطية** ·

وحتى لا يخطىء احـــد الفهم او التفسير مـــن غرض هذه المحاولة ، فمـــن الضروري ان اشدد انها كتبت حـوارا مع اولئك الذين يتخـــذون **مواقف عملية** معادية للكيان الصهيوني وتضامنا معهم في معركتهم « الفكرية » الدائرة حول «فلسطين الديموقراطية» وعلى ساحات لا تسمح الظروف الموضوعية بالوصول اليها ·

## ٤ ـ

عندما اقتربت من الانتهاء من فصول الكتاب ، كتابة ، كانت امواج المحيط الهائج من الحـوار والجـــدل قد اخرجت من بطنه افكارا اخرى تستحق بـــلا شك المناقشة والتعليق · كما تبين لي انها مهمة صعبة ان يحيط كتاب واحـــد بعشرات « الافكار » التي تطرح يوما بعد يوم سواء بشكلها « الفكـــري » المجرد او كشعارات سياسية · وفي الوقت نفسه طرح غيري من الرفاق الذين هم على الجانب نفسه من الاسلاك الشائكة الذي اقف عليه ، طرحوا افكارا يردون بها على بعض افكار الجانب الآخر (١) · ووجدت ان هناك

---

١ ـ اشير هنا الى كتاب الاخت هدى حموده الذي صدر بعنوان « نحو حل بروليتاري ثوري للصراع العربي الصهيوني » والذي تنـاقش فيـه آراء موردخاي بنطوف التي وردت في كتابه «اسرائيل واليسار والفلسطينيون »·

خلافا في بعض الجوانب بيني وبينهم وتباطآت الكتابة مرة اخرى ·
للافكار اهميتها الاساسية ولكـــن الممارسة وحدها هي التي تنضجها وتصقلها وتوحد اصحابها · والاحداث تتسارع بما تحمل من واجبات تزيح الكتابة عن مواقع الاولوية · وهناك اسئلة كثيرة وتفصيلية يطرحها علينا الاصدقاء ونطرحها على انفسنا ، حملتها لنا انتصارات الاعوام العشر وتحملها لنا السنوات المقبلة ·

واستقرت بي مشورة الاصدقاء ان استمر فيما نويت وان اعد الكتاب للنشر وأسعى لـــه · استأذنت الاخ ابو عمار القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ان اصدر الكتاب بخطابه في الامم المتحدة فوافق مشكورا ·

واستأذنته فوافـــق مشكورا أن يسمـــح لي بنشر ما جمعت وكتبت من فصول ، هي وان استندت والتزمت بمبـــادىء وأهداف وأساليب حركة التحرير الـــوطني الفلسطيني « فتـــح » الا انهـا لكونها موجهة لقطاع معين من المعنيين بالقضية هو قطاع الملتزمين او المعلنين التزامهم بالماركسية اللينينية كمنهج وفكر ـ تقدم ، اي فصول الكتاب ، افكار الثورة الفلسطينية مـــن زاوية رؤية حاولت ان تكون ماركسية لينينية توحيدا للغة الحوار دون المساس بجوهر الافكـــار ·

ولئن كشفت الايام عن فهم غير دقيق للافكار ، فلعل ذلك لاننا ما زلنا على طريق النضال نكتسب المعرفة يوما بعد يوم ، فنصحح طريقنا خطوة اثر خطوة ··

ولئن طرحت الايام طرقا وسبلا غيـــر التي نقترحها الآن الى فلسطين الديموقراطية فلن يعوقنا جمـــود او تعصب عن محاولة

---

الكتاب العربي من منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في ١١ ـ ١٩٧٤ ·

الرؤية وعن شجاعة الاعتراف بالخطأ ..

٥ -

مساهمات غنية في هذا الكتاب قدمها اخوة واصدقاء ورفاق عديدون ..

الاخ الدكتور نبيل شعث لآرائه ومناقشاته الخصبة حول « فلسطين الديموقراطية » .

الاخ الدكتور الياس شوفاني لخبرته وآرائه الواضحة حول « الكيان الصهيوني » ولقراءته الكتاب قبل دفعه للنشر وللاحظاته البناءة .

الاخ الدكتور قدري حفني ، الصديق والرفيق في رحلة العمر والفكر ، الذي قدم خلال دراساته المنشورة وغير المنشورة والمتعلقة بالتكوين السيكولوجي للمستوطن الصهيوني ، قدم افكارا جريئة وتعريفات دقيقة ، شجعتني ، كما شجعني ، على الاستمرار في كتابة هذا الكتاب .

والاخوة والرفاق العديدون الذين ساعدوني بالحوار احيانا ، وبجمع الوثائق احيانا اخرى ، وبالترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية .

الاخوة الذين ساعدوا في طبع مواد هذا الكتاب على الآلة الكاتبة والذين ساعدوا في مراجعة أصوله الخطية .

ومع اعتزازي العميق بكل ما قدمه الاخوة والرفاق لي ، فانني وحدي أتحمل مسئولية ما قد يظهر من خطأ او اخطاء .

لهم كل الشكر ، ومنهم لا زلت أتوقع النقد والتوجيه .

٦ -

اهدي هذا الكتاب ...

الى الذين شقوا بدمائهم أفقا احمر في ظلام التعصب ••
الى الذين قدموا حياتهم طواعية واختيارا •• وشجاعة ••
الى الذين لولا تضحياتهم لما ابصرت العيون ، ولا تفتحت الاذهان ، ولا تهيأت الآذان ، ولا خفت مرارة ، ولا امتدت الايدي عبر الاسلاك ومن وراء القضبان تشد بعضها بعضا في النضال • الى الذين يعيشون اليوم في زنازين العدو « فلسطين ديموقراطية » مصغرة ، من كل ملة وعقيدة ، تجمعهم مواقف النضال وانتظار الفجر الجديد •

الى الاخوة الشهداء والاسرى الذين سبقونا على الطريق ، فشقوا لنا الطريق ••

طريق الثورة حتى النصر ،

بيروت ـ ١٩٧٥/٤/٢٥
**محجوب عمر**

# خطة النضال واطار الحوار

خطاب الاخ ياسر عـرفات ـ رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحريـر الفلسطينية والقائد العام لقوات الثـورة الفلسطينية في الجمعية العامة للامم المتحدة في دور انعقادها العادي التاسع والعشريـن ولـدى افتتاح المناقشة الخاصة « بقضيـة فلسطين » في الجمعية العامة تحت البند رقـم ( ١٠٨ ) من جدول الاعمال ٠

الاربعاء : الموافق ١٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٧٤

سيدي الرئيس ،

اشكر لكم دعوتكم منظمة التحـرير الفلسطينية لتشارك في هذه الدورة من دورات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ٠ واشكر

كل الاعضاء المحترمين في هيئة الامـــم المتحدة الذين اسهموا في تقرير ادراج قضية فلسطين على جدول اعمـال هذه الجمعية وفي اصدار قرار بدعوتنا لعرض قضيــة فلسطين • كما اود ان اتقدم بالشكر الى الامين العام لكل معاونة قدمها لتسهيل حضورنا بينكم هنـا •

انها لمناسبة هامة ان يعود بحث قضية فلسطين الى هيئة الامم المتحدة •و اننا نعتبر هذه الخطوة انتصارا للمنظمة الدولية كما هو انتصار لقضية شعبنا • وان ذلك يشكل مؤشرا جديدا على ان هيئة الامم اليوم ليست هيئة الامم بالامس ، ذلك لان عالم اليوم ليس هو عالم الامس •

فقد اصبحت هيئة الامـــم اليوم تمثل ١٣٨ دولة واصبحت تعكس بصورة نسية أوضـح ارادة المجموعة الدولية ، ومن ثم فقد اصبحت اكثر قدرة على تطبيـــق ميثاقها ومبادىء الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، واكثر قدرة على نصرة قضايا العدل والسلام •

وهذا ما بـــدأ يلمسه شعبنـا وتلمسه شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الامر الذي اخذ يعلي مكانة هذه المنظمة الدولية في عيون شعبنا وعيـــون بقية الشعوب ، ويزيـــد من الآمال التي تعلقها شعوب العالم على مساهمـــة هيئة الامم المتحدة في نصرة قضايا السلم والعدل والحرية والاستقلال ، وتشييد عالم خال من الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها بما فيها الصهيونية •

**سيدي الرئيس ،**

اننا نعيش في عالم يطمح للسلام والعدل والمساواة والحرية ، يطمح الى ان يـــرى الامم المظلومـــة الرازحـــة تحت الاستعمار والاضطهاد العنصري وهي تمارس حريتها وحقها في تقرير المصير ، يطمح الى ان يرى العـــلاقات الدولية بين الـدول كافة تقوم على

اساس المساواة والتعايش السلمي وعـــــدم التدخل في الشئون الداخلية ، وتأمين السيادة الوطنية والاستقـــلال ووحدة الاراضي الاقليمية لكل دولة ، واقامة علاقات اقتصادية عـلى اساس العدل والتكافؤ والمنافع المتبادلة ، يطمح لان تصب الجهود الانسانية على مكافحة الفقر والمجاعة والامـراض والكوارث الطبيعيـة ، وعلى تطوير القدرات الانتاجية والعلمية والتقنيـة للبشر لزيادة الثروات وتضييق الفروق بين الدول النامية والـــدول المتطورة ، ولكن ذلـك كله يصطدم بواقع عالمي ما زال يسوده الاضطراب والظلم والاضطهاد العنصري والاستغلال ، ومـــا زال مهددا بالكوارث الاقتصادية والحروب والازمات ٠

ما زالت شعوب كثيرة منها زمبابوي وناميبيا وجنوب افريقيا وفلسطين وغيرها ضحية للعدوان والقهـــر والبطش ٠ وتشهد تلك المناطق من العالم صراعا مسلحا فرضته قوى الاستعمار والتمييـز العنصري ظلما وارهابا ٠ فاضطرت الشعوب المضطهدة الى التصدي له ، وكان تصديها عادلا ومشروعا ٠

لا بد يا حضرة الرئيس من ان تسهم المجموعة الدولية في دعم هذه الشعوب ومساعدتها على انتصار قضاياها العادلة ونيلها حقها في تقرير المصير ٠

وما زالت شعوب الهند الصينية تتعرض للعدوان وتواجـــه المؤامرات لمنعها من احلال السلام على ارضها وتحقيق اهدافها ٠ فاذا كانت شعوب العالم قد رحبت بالاتفـاق في لاوس وباتفاقيـــة السلام في جنوب فيتنام الا ان السلام في جنوبي فيتنام ما زال بعيدا عن ان يكون سلاما حقيقيا لان القوى التي شنت العدوان تصر على بقاء فيتنام في الاضطراب والحرب ٠ وكذلك ما زال الشعب الكمبودي يواجه عدوانا عسكريا ٠ لا بد حضرة الرئيس من ان تسهم المجموعة الدولية في دعم هذه الشعوب وشجب المعتدين ومعكري السلام ٠ وما زالت القضية الكورية بعيدة عن ان تحل حلا عادلا وسلميـا ، رغم

الموقف الايجابي السلمي الذي عبرت عنه المقترحات المقدمة من جمهورية كوريا الديمقراطية ٠

ولقد عشنا قبل شهور تفجر المشكلة القبرصية ٠ وشاركنا في تحمل همومها مع شعوب العالم اجمع ولا بد لهيئة الامم المتحدة ان تتابع جهودها للتوصل الىحل عادل للمشكلة يجنبالشعب القبرصي اهوال الحرب وحفظ استقلاله ٠ ولا شك في ان المشكلة القبرصية تدخل في هذا الاطار من هموم بلدان الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط ٠

وما زالتدول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تواجه اعتداءات ضارية على نضالها من اجل تغيير النظام الاقتصادي العالمي الحالي بنظام اقتصادي عالمي جديد اكثر معقولية ومنطقية وقد عبرت هذه البلدان عن ذلك في مؤتمر «المواد الاولية والتنمية» حيث لا بد من ان يوضع حد لعمليات النهب والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة وعرقلة جهودها من اجل التنمية والسيطرة على ثرواتها ورفع الحيف عن اسعار موادها الاولية ٠

وكذلك فان هذه الدول ما زالت تواجه عراقيل امام مطالبها العادلة المعبر عنها في مؤتمر البحار في كراكاس ، ومؤتمر السكان، ومؤتمر التغذية ، ولا بد للهيئة الدولية من ان تقف بحزم الى جانب النضال من اجل احداث تغييرات جذرية في النظام الاقتصادي العالمي لان ذلك وحده يتيح للشعوب المتخلفة امكانية التقدم بسرعة ٠ ولا بد لهذه الهيئة من ان تقف بحزم ضد القوى التي تحاول تحميل مسؤولية التضخم المالي على كاهل البلدان النامية، خاصة، البلدان المنتجة للبترول ، وان تشجب التهديدات التي تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة ٠

**سيدي الرئيس ،**

ما زال السباق على التسلح على اشده في العالم ، الامر الذي

يهدد العالم بضياع ثرواته وتبديد جهوده على هذا السباق ، فضلا عن ابقائه في خطر انفجارات مسلحة خطيرة · ان الحد من السباق على التسلح ، وصولا الى تدمير الاسلحة وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية في ميدان تقدم العلــوم وزيادة الانتاج وتحقيق الرفاه العام · هذا ما تتوقع الشعـــوب ان تعمل هيئة الامم باتجاهه · ومـــا زال الاضطــراب على اشـده في منطقتنا · فالكيان الصهيوني متشبث بالاراضي العربية التي احتلها ويتابع عدوانه علينا بجانب استعداداته العسكرية المحمومــة بشن حرب عدوانية جديدة ستكون الخامسة في سلسلة حروبه العدوانية ولنا ان نتحسب مع ما يصدر من اشارات عنه من ان تكــون حربــا نووية تحمل الفناء والدمار ·

سيدي الرئيس ،

ان العالم بحاجة الى اقصى الجهود من اجل تحقيق مطامحه في السلم والحرية والعدل والمساواة والتنمية وفي مكافحة الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها بما فيها الصهيونية لان هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق امال الشعوب كافــة بما في ذلك شعوب الدول التي تعارض هذا الطريق · انــه طــريــق لتكريس مبادىء ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان· اما بقاء الوضع الحالي فلن يفعل اكثر من ان يبقى العالم معرضــا لاخطر الصراعات المسلحة ، للكــوارث الاقتصاديــة والانسانيـــة والطبيعية ·

سيدي الرئيس ،

رغم هذا الوضع المتأزم يسود الذي العالم ورغم ما في عالمنا من قوى ظلام وتأخر فان عالمنا اليوم يعيش اياما مجيدة · انه يشهد

انهيار العالم القديم عالم الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة اشكالها وابرزها الصهيونية ويشهد الاتجاه التاريخي العظيم لشعوب العالم نحو انبثاق عالم جديد تنتصر فيه القضايا العادلة ، واننا واثقون من انتصار هذه القضايا ·

سيدي الرئيس ،

ان قضية فلسطين تدخل كجزء هام بين القضايا العادلة التي تناضل في سبيلها الشعوب التي تعاني الاستعمار والاضطهاد ، واذا كانت الفرصة قد اتيحت لي ان اعرضها امامكم فانني لن انسى ان مثل هذه الفرصة يجب ان تتاح لكل حركات التحرر المناضلة ضد العنصرية والاستعمار · ولهذا فانني باسم هؤلاء المناضلين من اجل الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ادعوكم لان تعيروا قضاياهم ، كما قضيتنا ، من همومكم واهتماماتكم الاولوية ذاتها مما يشكل مرتكزا اساسيا لحماية السلم في العالم وتكريس عالم جديد تعيش الشعوب في ظلاله بعيدا عن الاضطهاد والظلم والخوف والاستغلال ، ولهذا فانني سأعرض قضيتنا ضمن هذا الاطار وفي سبيل هذا الهدف ·

واننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولي فان ذلك تعبير في حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسي والدبلوماسي مكملا ومعززا لنضالنا المسلح وتعبير عن تقديرنا للدور الذي يمكن للامم المتحدة ان تقوم به في حل المشكلات العالمية · بعد ان تغيرت بنيتها في صالح اماني الشعوب وفي حل مشكلتنا التي تتحمل فيها هذه المؤسسة الدولية مسئولية خاصة ·

ان شعبنا يتكلم وهو يتطلع الى المستقبل اكثر مما هو مقيد بمآسي الماضي واغلال الحاضر · واذا كنا ونحن نتحدث عن الحاضر نعود الى الماضي فلأنا نريد ان نوضح بداية الطريق الذي نشقه الى

المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم عامة، وحركات التحرير خاصة٠ واذا كنا نعود الى جذور قضيتنا فلأنه ما زال بين الحاضرين هنا من يحتل بيوتنا ويرتع في حقولنا ويقطف ثمار اشجارنا ويدعـــي اننا اشباح لا وجود لنا ولا تراث ولا مستقبل٠ ولان هنالك منكان يتصور والى وقت قريب ، وربما حتى الان ، ان مشكلتنا هي مشكلة لاجئين، او ان مشكلة الشرق الاوسط هي مشكلة خلاف على حدود بين الدول العربية وبين الكيان الصهيوني ، او يتصور ان شعبنا يدعي حقوقا ليست له ويقاتل دونما سبب معقول ومشروع الا رغبة في تعكيـــر السلام وارهاب الاخرين ٠ ولان هنالك بينكم واعني الولايات المتحدة وغيرها من يموّن عدونا بطائراته وقنابله وكل ادوات الفتك والتدمير ويقف منا موقف العداء ويعمد على تشويه حقيقة المشكلة ، كل ذلـك على حساب الشعب الامريكي وعلى حساب رفاهيته ، وعلى حساب الصداقة التي نتطلع اليها مع هذا الشعب العظيم الـذي نكـن لـه ولتجاربه في النضال من اجل حريته ووحدة اراضيه كل تقدير ٠

وانني لانتهز هذه المناسبـة لاتوجـــه الى الشعب الامـريكي واخاطبه من مكاني هنا ان يقف مع شعبنا الشجاع المناضل ٠ ان يقف مع الحق والعدالة ٠ ان يتذكر بطله جورج واشنطن الذي ناضـــل لاستقلال امريكا وحريتها ٠ ويتذكر ابراهام لنكولن الذي وقف مـع المحرومين والمعذبين ويتذكر وصايا ويلسون الاربعـة عشـر والتي يتبناها شعبنا ايمانا بهذه المبادىء الانسانية العظيمة ٠

واتوجه الى الشعب الامريكي واتساءل ، هل هذه التظاهـرات المعادية التي تنطلق في الخارج هي وجهه الحقيقي ٠ وما هي الجريمة التي ارتكبها شعبنا ضد الشعب الامريكي ٠

لماذا هذا الوجه المعادي ٠ هل هو لصالح امريكا ٠ هل هـــو لصالح الجماهير الامريكية ٠ حتما لا ٠ وارجو ان يتذكـر الشعب الامريكي ان صداقته مع امتنا العربية هي اهم وهي ابقى وهي انفع٠

**سيدي الرئيس ،**

ان شرحنا لجذور قضيتنا نابع من ايماننا بان العـــودة الى اصول القضايا التي تشغل العالم امر ضروري عند تلمس الحلــول لها ٠ وهذا منهج نطرحه على السياسة الدولية لتأخذ به بعد ان عانت الكثير وعانت الشعوب معها من محاولات تجاهل الاصول والقفــز عليها او انكارها رضوخا واستسلاما للامر الواقع ٠

ترجع جذور المشكلة الفلسطينية الى اواخر القرن التاسع عشر او بكلمات اخرى الى ذلك العهد الذي كان يسمى عصر الاستعمــار والاستيطان وبداية الانتقال الى عصر الامبريالية حيث بدأ التخطيط الصهيوني ـ الاستعماري لغزو ارض فلسطين بمهاجرين من يهــود اوروبا كما كان الحال بالنسبة للغزو الاستيطاني لافريقيا ٠ في تلك الحقبة التي توطدت فيها سطوة عتاة الاستعمار القادمين من الغرب الى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية للاستيطان واقامة المستعمــرات وممارسة اشد اشكال الاستغلال والاضطهاد والنهب لشعوب القارات الثلاث ٠ انها الحقبة التي ما زلنا نشهد اثارها العنصرية البشعة في الجنوب الافريقي ، وكذلك في فلسطين ٠

وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون افكــار «التمديــن والتحضير» لتبرير الغزو والنهب والعدوان في افريقيا وغيرهــا ٠ كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين بموجــات المهاجريــن الصهاينة ٠ وكما استخدم الاستعمار والمستوطنين الدين واللــون والعرق واللغة لتمرير عملية استغلال الشعوب واخضاعها بالتمييز والتفرقة والارهاب في افريقيا ، كذلك استخدمت هــذه الاســاليب لاغتصاب الوطن الفلسطيني واضطهاد شعبه ومن ثم تشريده ٠

وكما استخدم الاستعمار ، وقتئذ ، المحروميــن والفقــراء والمستغلين كوقود لنار عدوانه ، ومرتكزات للاستيطــان ، كذلــك استخدم الاستعمار العالمي والقادة الصهاينة اليهود المحروميــن

والمضطهدين في اوروبا كوقود للعدوان ومرتكزات للاستيطان والتمييز العنصري ٠

ان الايديولوجية الصهيونية التي استخدمت ضد شعبنا لاستيطان فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب استخدمت في الوقت ذاته لاقتلاع اليهود من جذورهم في اوطانهم المختلفة ولتغريبهم عن الامم ٠ انها ايديولوجية استعمارية استيطانية عنصرية تمييزية رجعية تلتقي مع اللاسامية في منطلقاتها ، بل هي الوجه الآخر للعملة نفسها ٠ فعندما تقول ان تابعي دين معين هو اليهودية ، ايا كان وطنهم ، لا ينتسبون الى ذلك الوطن ولا يمكنهم ان يعيشوا كمواطنين متساويين مع بقية المواطنين من الطوائف الاخرى ، فان ذلك التقاء مباشر مع دعاة اللاسامية ، وعندما يقولون ان الحل الوحيد لمشكلتهم هي ان ينفصلوا عن الامم والمجتمعات التي هم جزء منها عبر تاريخ طويل ، ثم يهاجرون ليستوطنوا ارض شعب آخر ويحلوا محله بالقوة والارهاب يأخذون من غيرهم الموقف نفسه الذي اخذه دعاة اللاسامية منهم ٠

ومن هنا نلاحظ مثلا العلاقة الوثقى بين رودس وهو يوطد استعماره الاستيطاني في جنوب شرقي القارة الافريقية وبين هرتزل الذي راح يخطط ويصمم لاستعماره الاستيطاني على ارض فلسطين ٠ وعندما حصل هرتزل على شهادة حسن سلوك استعماري استيطاني من رودس قدمها للحكومة البريطانية ليستصدر منها قرار التأييد والدعم مقابل ان يبني على ارض فلسطين قاعدة للاستعمار تؤمن مصالحه في اهم النقاط الاستراتيجية في الشرق الاوسط ٠

وهكذا باشرت الحركة الصهيونية متحالفة مع الاستعمار العالمي غزوتها لبلادنا ، واسمحوا لي ان اوجز بعض الحقائق التالية حولها ٠

- كان عدد سكان فلسطين عند بداية الغزو عام ١٨٨١ وقبل قدوم اول موجة استيطان حوالي نصف مليون نسمة كلهم

من العرب ، مسلمين ومسيحيين ومنهـــم حوالي عشرين الفا من يهود فلسطين يعيشون جميعــا في كنف التسامــح الديني الذي اشتهرت به حضارتنا ٠

- وكانت فلسطين ارضــا خضراء معمورة بشعبها العربي الذي يبني الحياة في وطنه ويغني ثقافته ٠
- وعمدت الحركة الصهيونية الى تهجيـــر حوالي خمسين الف يهودي اوروبي بين عـــامي ١٨٨٢ و ١٩١٧ لاجئة الى شتى اساليـــب الاحتيال لتغرسهـــــم في ارضنــا ٠ ونجحت في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيــا ، فجسد التصريح حقيقة التحالف الصهيوني الاستعماري ٠ وعبر هذا التصريح عن مدى ظلم الاستعمار للشعوب حيث اعطت بريطانيا وهي لا تملك وعدا للحركة الصهيونية وهي لا تستحـــق ٠ وخذلت عصبة الامم بتركيبها القديم شعبنــــا العربي وتبخرت وعود ومبادىء ويلسون في الهواء وفرضت علينــا قسرا الاستعمار البريطاني بصورة الانتداب ٠ وتعهـــد صك الانتــداب الذي اصدرته عصبة الامم صراحة بالتمكين للغزوة الصهيونية من ارضنا ٠
- وعلى مـــــدى ثلاثين عاما بعد صدور تصريح بلفور نجحت الحركة الصهيونية مع حليفها الاستعمـــاري في تهجير مزيد من يهود اوروبا واغتصاب اراضي عــرب فلسطين ٠ وهكذا اصبح عدد اليهود في فلسطيــن عام ١٩٤٧ حوالي ٦٠٠ الف يملكون اقل من ٦ بالمئة من اراضـــي فلسطين الخصبة ٠ بينما كان تعداد عرب فلسطين حوالي مليون وربع المليون نسمة ٠
- وبفعل تواطــؤ الدولة المنتدبـــة مع الحركة الصهيونية ودعم الولايات المتحدة لهما صدر عن هذه الجمعيــة وهي في بداية عهدها التوصية بتقسيم وطننا فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وسط تحركات مريبـــة وضغوط شديدة ، فقسمت ما لا يجوز

لها ان تقسم • ارض الوطن الواحــــــد • وحين رفضنا ذلك القرار فلأننا مثل ام الطفـــل الحقيقية التي رفضت ان يقسم سليمان طفلها حين نازعتها عليه امرأة اخرى • ومع ذلك فقد منح قرار التقسيم المستوطنين الاستعماريين ٥٤ بالمئة مــــن ارض فلسطين • وكأن ذلـك لم يكن كافيـــا بالنسبة اليهم ، فشنوا حربا ارهابية ضد السكـان المدنيين العـرب واحتلوا ٨١ بالمئة من مجموع مساحة فلسطين وشردوا مليون عربي• مغتصبين بذلك ٥٢٤ قرية ومدينة عربية • دمـروا منها ٣٨٥ مدينة تدميرا كاملا محاها مــــن الوجود • وحيث فعلوا ذلك اقاموا مستوطناتهم ومستعمراتهم فـــوق الانقـــاض وبين بساتيننا وحقولنا •

ومن هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينيـــة ، ان هذا يعني ان اساس المشكلة ليس خـلافا دينيا او قوميا بيـــن دينين او قوميتين وليس نزاعا عـــلى حدود بين دول متجـــاورة ، انه قضية شعب اغتصـــب وطنـــه وشرد من ارضـــه لتعيش اغلبيتـــه في المنافي والخيام •

وقد استطاع هذا الكيان الصهيوني وبدعم من دول الاستعمار والامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ان يتحايل على هيئة الامم لقبوله في عضويتها ومن ثـــم على شطب قضية فلسطين من جدول اعمالها ، وتضليل الرأي العام العـــالمي بتصوير المشكلة كمشكلة لاجئين بحاجة الى عطف المحسنين او اعادة توطينهم في بلاد الآخرين •

على ان هذه الدولـــة العنصريـــة التي قامت عـلى اساس الاستعمار الاستيطاني لم تكتف بكـــل ذلك حيث جعلت من نفسها قاعدة للامبريالية وراحت تتحول الى ترسانة مـــن الاسلحة لاكمال مهمتها في اخضاع الشعوب العربية والعدوان عليهـــا طمعـــا في المزيد مـــن التوسع على الارض الفلسطينية والاراضـــي العربية •

فالى جانب عشرات الاعتداءات التي شنتها هـذه الدولـة ضد البلاد العربية قامت بحربين توسعيتين كبيرتين عـام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ عرضت خلالهما السلم العالمي لخطر حقيقي ٠

فقد كان من نتائج العدوان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧ ان احتل العدو سينـاء المصرية حتى مشارف قناة السويس ، واحتل الجولان السورية فضلا عـن احتلاله للارض الفلسطينية حتى نهر الاردن ، الامر الذي يشكل وضعـا جديدا في منطقتنا وخلـق ما يسمى بمشكلـة الشرق الاوسط ٠ ومما جعـل الوضع يتفاقم اكثر اصرار العدو على استمرار الاحتلال وتكريسه ، مشكلا رأس حربة للاستعمار العالمي ضد امتنا العربية ٠ وقد ضرب عرض الحائط بكل قرارات مجلس الامـن ونداءات الـرأي العام العالمي للانسحاب من الاراضي التي احتلها بعـد حزيران ٠ ولم تجد كل المساعي السلمية والدبلوماسية لردعه عن هـذه السياسة التوسعية ، فما كان امام امتنا العربية وفي مقدمتها دولتا مصـر وسوريا الا ان تبذل الجهود المضنية في الاستعداد العسكـري من اجل الصمود اولا في وجه هذه الغزوة الهمجية المسلحة بالقوة ، وثانيا من اجل تحرير تلـك الاراضي واستعادة حقـوق الشعب الفلسطيني بعد استنفاذ كل الوسائل السلمية ٠ وضمن هـذا الاطار اندلعت الحرب الرابعة حرب تشرين لتؤكد للعدو الصهيوني عقم سياسته الاحتلالية التوسعية واعتماده على شريعة القوة العسكريـة ، ولكن رغم ذلك فان قادة الكيـان الصهيوني ما زالـوا بعيدين عن الاتعاظ بهذه الدروس ، فهم يعدون العدة للحرب الخامسة ليعودوا من جديد الى سياسة مخاطبة العرب بلغة التفـوق العسكري سياسة العدوان والارهاب والاخضاع والحرب ٠

سيدي الرئيس ،

لشد ما يتألم شعبنا حين يسمع تلـك الدعايات التي تقول ان

اراضيه كانت صحراء فعمَّرها المستوطنـــون الاجانب ، وان وطنه كان خاليا من السكان ، وانه لم يتضررَ احـــد من بني البشر نتيجة قيام هـــذا الكيان الاستيطاني • لا •• يا سيدي الرئيس ، يجب ان تدحض هذه الاكاذيب على هذا المنبر العــــالمي ، ويجب ان يعرف الجميع ان فلسطين كانت مهدا لاقدم الحضارات والثقافات واستمر شعبها العربي بنشر الخضرة والبناء والحضارة والثقافة في ربوعها طوال آلاف السنين •

ويرفع لواء التسامح الديني ضاربا المثل عـلى حرية العقيدة وحارسا امينــــا على مقدسات جميــــع الاديان في وطنه • وانني كأحــد ابناء بيت المقدس احتفظ لنفسي ولشعبــــي بذكريات جميلة وصور رائعة عــــن مظاهر التآخـــي الديني التي كانت تتألق في مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة بها • ولم ينقطع شعبنا عــــن ذلك الا بعد تمكن الغزوة الصهيونية الهمجية مــــن اقامة دولة اسرائيل وتشريده • ولكنه ما زال مصمما على الاستمــــرار في اداء دوره الحضاري والانساني على ارض فلسطيــــن ، ولا يسمح بأن تتحول هذه الارض الى بؤرة للعدوان على الشعوب ، والى معسكر عنصري ضد الحضارة والثقافـــة والتقـدم والسلام • ولهذا فان شعبنا لا يستطيع الا ان يواصل تراث اجداده في الكفــاح ضد الغزاة ، وان يحمل شرف المسؤولية في الدفاع عن وطنه وعن امته العربية وعن الثقافة والحضارة ومهد الديانات السماوية • وتكفينا نظرة سريعة لمواقف اسرائيل العنصرية عندما دعمت منظمـــة الجيش السرية في الجزائر ، وفي دعمهــا للمستعمرين في افريقيا سواء في الكونغو وانغــــولا وموزمبيق وزمبابــــوي وروديسيا وجنوبي افريقيا وفي وقوفها الى جانب حكومـــــة جنوبي فيتنام ضد الثورة الفيتنامية ، فضلا عن مواقفها المتتابعة في هذا السياق الى جانب الاستعماريين والعنصريين في كل مكان وعرقلتها لعمل لجنــــة تصفية الاستعمار ورفضها التصويتَ لمصلحة استقلال بلدان افريقيــــا ووقوفها ضد

مطالب بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وبلدان عديدة اخرى في مؤتمرات « المواد الاولية والتنمية » ، و « قانون البحار » ، و « السكان » و « التغذية » · كل ذلك يعطي دليلا اضافيا على صورة العدو الذي اغتصب بلادنا ، ويكشف عن شرف النضال الذي نخوضه ضده · اننا ندافع عن حلم المستقبل ، وهو يدافع عن اساطير الماضي ·

سيدي الرئيس ،

ان لهذا العدو الذي نواجهه سجلا حافلا ضد اليهود انفسهم فهنالك في داخل الكيان الصهيوني تمييز عنصري بشع ضد اليهود الشرقيين · واذا كنا نحن ندين بكل ما اوتينا من قوة مذابح اليهود تحت الحكم النازي ، فان القادة الصهاينة كان يبدو ان همهم الاكبر حينذاك هو استغلالها لتحقيق الهجرة الى فلسطين ·

سيدي الرئيس ،

لو كان تهجيرهم الى فلسطين بهدف العيش كمواطنين متساوين بالحقوق والواجبات لكنا افسحنا المجال لهم ضمن امكانات وطننا ، كما حدث مع عشرات الآلاف من الارمن والشركس الذين ما زالوا بيننا اخوة مواطنين مثلنا تماما ، اما ان يكون هدف ذلك اغتصاب ارضنا وتشريدنا وتحويلنا الى مواطنين من الدرجة الثانية وانزال المعاملة نفسها بنا فهذا ما لا يمكن ان ينصحنا احد بالقبول به او الاذعان له · ولهذا فان ثورتنا منذ البداية لا تقوم على اسس عرقية او دينية عنصرية ، وليست موجهة للانسان اليهودي من حيث كونه انسانا وانما هي موجهة ضد العنصرية الصهيونية وضد العدوان · وبهذا المعنى فان ثورتنا هي ايضا من اجل الانسان

اليهودي • اننا نناضل من اجل ان يعيش اليهود والمسيحيون والمسلمون بمساواة في الحقوق والواجبات وبلا تمييز عنصري او ديني •

أ ـ اننا اذن يا سيادة الرئيس نفرق بين اليهودية وبين الصهيونية • وفي الوقت الذي نعادي الحركة الصهيونية الاستعمارية • فاننا نحترم الدين اليهودي واننا نحذر اليوم وبعد قرابة قرن من بروز هذه الحركة العنصرية من ان خطرها يتزايد ضد اليهود في العالم ، وضد شعبنا العربي وضد امن العالم ، وسلامته • فالصهيونية لا تزال متمسكة بتهجير اليهود من اوطانهم واصطناع قومية لهم يستبدلون بها قومياتهم الاصلية •

ان الصهيونية تتابع نشاطها التخريبي هذا على الرغم من ظهور فشل الحل الذي قدمته وان ظاهرة النزوح من التجمع الاسرائيلي المستمرة منذ قيامه والتي ستقوى مع سقوط قلاع الاستعمار الاستيطاني العنصري في العالم ، لدليل على هذا الفشل •

ب ـ اننا ندعو جميع الشعوب والحكومات لمجابهة مخططات الصهيونية الرامية الى تهجير مزيد من يهود العالم من اوطانهم ليغتصبوا وطننا • وندعوهم في الوقت نفسه للوقوف في وجه اي اضطهاد للانسان بسبب دينه او جنسه او لونه •

جـ ـ وانني اتساءل يا سيادة الرئيس ، لماذا يدفع شعبنا العربي الفلسطيني الثمن • لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مسؤولية مشكلة الهجرة اليهودية اذا كانت لا زالت مثل هذه المشكلة في مخيلة البعض • واتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة ان وجدت المسؤولية فيفتحوا بلادهم الكبيرة الرقعة والقادرة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم •

سيدي الرئيس ،

ان الذين ينعتون ثورتنا بالارهاب ، انما يفعلون ذلك لكي يضللوا الرأي العام العالمي عن رؤية الحقائق ، عن رؤية وجهنا الذي يمثل جانب العدل والدفاع عن النفس ووجههم الذي يمثل جانب الظلم والارهاب ·

ان الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والارهابي ، فمن يقف في جانب قضية عادلة ومن يقاتل من اجل حرية وطنه واستقلاله ضد الغزو والاحتلال والاستعمار لا يمكن ان تنطبق عليه بأي شكل من الاشكال صفة الارهابي والا اعتبر الشعب الاميركي حين حمل السلاح ضد الاستعمار البريطاني ارهابيا . واعتبرت المقاومة الاوروبية ضد النازية ارهابا ، واعتبر نضال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ارهابا · لا يا سيدي الرئيس ان هذا هو الكفاح العادل والمشروع والذي يكرسه ميثاق هيئة الامم والاعلان العالمي لحقوق الانسان · اما الذي يحمل السلاح ضد القضايا العادلة ·· الذي يشن الحرب لاحتلال اوطان الآخرين ونهبهم واستغلالهم واستعمارهم فذلك هو الارهابي واعماله هي التي يجب ان تدان وينسحب عليه لقب مجرم حرب ذلك ان عدالة القضية هي التي تقرر عدالة السلاح ·

سيدي الرئيس .

ان الارهاب الصهيوني الذي ارتكب بحق الشعب الفلسطيني لاجلائه عن وطنه واقتلاعه من ارضه مدوّن لديكم في وثائق رسمية وزعت في الامم المتحدة · لقد ذبح الآلاف من ابناء شعبنا في قراهم ومدنهم واجبر عشرات الالوف تحت نار البندقية وقصف المدافع والطائرات ان يتركوا بيوتهم وما زرعوا في ارض اجدادهم · وكم من مسيرة اجبر فيها ابناء من شعبنا نساء واطفالا

وشيوخا على الخروج دون زاد او ماء وارغموا على تسلق الجبال والتيه في الصحراء · ان الكواردث التي حلت عـام ١٩٤٨ بأهالي المئات من القـــوى والمـــدن في السهل والجبل ، في القـدس ويافا واللد والرملة والجليل ، لم ولن ينساها مـــن عانى اهوالها لحظة رغما عن التعتيم الاعلامي العالمي الذي نجح في اخفاء هذه الاهوال كمـا اخفى اثر ٣٨٥ قريـــة ومدينة فلسطينيـة دمـــرت في حينه وازيلت من الوجـود · ان نسف ١٩ الف منزل عـــلى مدى السبع سنوات الاخيرة اي ما يساوي تدمير مائتي قرية فلسطينية اخرى تدميرا كاملا والاعـداد الضخمة مـن مشوهي الارهاب والتعذيب ومن في السجون لا يمكن ان يطمسه التعتيم الاعلامي · ولقد وصل ارهابهم الى الحقد حتى على شجرة الزيتون في بلادي التي اعتبروها علما شامخا يذكرهم بسكـان البلاد الاصليين ، يصرخ ان الارض فلسطينية ، فراحـــوا يعملون على اقتلاعهـــا او قتلها بالاهمال والتحطيب · ماذا يمكن ان يسمى تصريح غولدا مائير عندما عبرت عن « قلقها من الاطفال الفلسطينيين الذين يولدون كـــل صباح » · انهم يرون في الطفل الفلسطيني والشجـــرة الفلسطينية عدوا يجب التخلص منه · يا سيادة الرئيس ، طيلـة عشرات السنيـــن وهم يتعقبون قيادات شعبنا الثقافية والسياسيـــة والاجتماعية والفنية بالارهاب والتقتيـــل والاغتيال والتشريـد · لقـــد سرقوا تراثنا الحضاري ، وفولكلورنا الشعبي وادعوه لهـــم ومدوا ارهابهم الى مقدساتنا في مدينة السلام القدس الحبيبــــة وعمدوا الى افقادها طابعها العربي المسيحي الاسلامي من خلال تهجيـر سكانها وضمها لدولتهم ، ولا حاجة لان نسترسل في ذكـــر حرق المسجد الاقصى وسرقة ثروات كنيسة القيامة والتشويه الـــذي لحـــق بعمرانها وطابعها الحضاري · فالقدس بروعتها وبالعبق التاريخي المسيطر عليها تشهد لاجيالنا المتعاقبة التي مرت عليها تاركة في كل ركن من اركانهـــا اثرا خالـــدا وبصمـــــة حنونا ولمسة حضارية ونبضة انسانية ·

وليس غريبا ان تتعانق في سمائها الرسالات السماوية الثلاث وتتهادى في ركبها وآفاقها تنير للبشرية طريق جلجلتها وهي تحمل اشواكها وآلامها لترسم مستقبلها بكل ما فيه من آمال واماني ومعطيات ٠

السيد الرئيس ،

ان العدد القليل من العرب الفلسطينيين الذين لم يستطع العدو تهجيرهم من ارضهم عام ١٩٤٨ هم الآن لاجئون على ارضهم وقد عوملوا في القانون الاسرائيلي كمواطنين من الدرجة الثانية ، بل والثالثة باعتبار ان اليهود الشرقيين هم مواطنو الدرجة الثانية ، ومورست ضدهم كل اشكال التمييز العنصري والارهاب وصودرت اراضيهم ومتلكاتهم ، وتعرضوا لمذابح دامية كما حدث في قرية كفر قاسم ، وهجروا من قراهم وحرموا من العودة لها كما حدث لاهالي قريتي كفر برعم واقرت ٠ كما ان اهلنا عاشوا هناك ثمانية عشر عاما تحت الحكم العرفي لا يحق لهم الانتقال من مكان الى مكان مجاور دون اذن مسبق من الحاكم العسكري ٠ تصور ، يا سيادة الرئيس ، في الوقت الذي يسن فيه المشرع الاسرائيلي قانونا يعطي حقا تلقائيا بالمواطنية لاي يهودي يهاجر الى ارضنا فور ان يطأها ، يسن قانونا آخر يعتبر الفلسطينيين الذين بقوا في فلسطين ، ولم يكونوا في قراهم او مدنهم ، ساعة احتلالها محرومين من المواطنية ٠

السيد الرئيس ،

ان سجل حكام اسرائيل الحافل بجرائم الارهاب يمتد ليشمل عددا من ابناء امتنا العربية الذين بقوا تحت الاحتلال في سيناء او الجولان ، كما ان ذكرى جريمة قصف مدرسة البقر ومصنع ابو

زعبل في مصر العربية ما زالت ماثلة للاذهان ، واما تدمير مدينة القينطرة السورية فما زال شاهدا لكل مـــن يريد ان يرى ما يفعله الارهاب ، واذا فتح سجل الارهـــاب الصهيوني على جنوبي لبنان وهو الارهاب الذي ما زال مستمرا ، فسوف تقشعر الابدان من هول ما يرتكب من اعمال القرصنة والقصـــف والعدوان ، بما في ذلك تهجير المدنيين وتدمير بيوتهم وخطفهم وحرق مزارعهم الى جانب الاعتداءات المستمرة على سيادة الدولة اللبنانية ، والاعداد لسرقة مياه نهر الليطاني ٠ ولنذكر في هذا المجال بالمقررات العديدة التي صدرت عن هذه المنظمة ، والتي تدين اسرائيل بارتكاب الاعتداءات ضد الدول العربية ، وبالاعتداء على حقوق الانسان ، وفيما يتعلق بضم القدس وتغيير وضعها السابق للاحتلال ، وادانتها لمخالفات متعددة لبنود اتفاقيات جنيف في حالة الحرب ٠

**السيد الرئيس ،**

ان التأمل بكل هذه الاعمال لا يمكن ان يطلق عليه من وصف غير وصف الارهاب الهمجي ، ومع ذلك يتجـــرأ اولئك الارهابيون الغزاة العنصريين على تسمية نضـــالات شعبنا العادلة بالاعمال الارهابية ٠ هل يوجد ثمة تجرّؤ عـــلى الباطل والتزييف اشد من هذا ٠ وانني نقول ان على اولئك الذيـــن اغتصبوا ارضنا وارتكبوا من جرائـــم الارهـــاب والتمييز العنصري اكثر مما فعـــل ويفعل العنصريون في جنوبي افريقيا ، ان يتذكـــروا قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة الذي اعلن طرد جنوبي افريقيا من عضويتها ، لان ذلك هو المصير المحتوم لكل الدول العنصرية التي تطبق شريعة الغاب وتغتصب وطن الآخرين وتضطهدهم ٠

السيد الرئيس ،

لقد قاوم شعبنا الفلسطيني خلال ثلاثين عـــاما تحت الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني كل محاولات انتزاع ارضه ، وناضـل في ثورات ست ، ومـــن خـلال عشرات الانتفاضات الشعبية ومن اجل احباط المؤامرة ليبقى على ارضه وفوق تراب وطنه ، قدم في سبيل ذلك ولغاية ١٩٤٨ ثلاثين الف شهيد ( اي ما يوازي ٦ ملايين امريكي بالنسبة لعدد السكان اليوم ) ٠

وعندما اقتلعت غالبيتـــه من الارض الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨ ظل يقاوم في ظروف صعبـــة محاولات افنائه ٠ وحاول شعبنا بكل الطرق استمرار نضاله السياسي من اجل حقوقه ، دون جدوى ٠ وناضل للحفاظ على وجـــوده فتعلم ابناؤه في النزوح والشتات وكدحوا تحت اصعب الظـــروف ليستطيعوا الاستمرار ، واصبح لدى الشعب الفلسطيني آلاف الاطباء والمهندسين والاساتذة والعلماء توجهوا بعملهـــم وامكانياتهم للاقطـــار العربية المحيطة بوطنهم المغتصب فساهموا في البنـــاء والتعمير والتطوير وحصلوا على دخل استخدموه لمساعدة اقربائهـــم الصغار والعجائز الذين استحال عليهم مغادرة مخيمات النزوح ٠ علـــم الاخ اخاه وحافظ على والديه وربى اولاده ولكنه ظل يحلم في قلب ذاته بالعودة الى فلسطين ٠٠ ظل فلسطينيا متمسكا بوطنه لا يهتز ولاؤه لها ولا تهن عزيمته ولا يفتر حماسه ٠ لم يغره شيء للتخـــلي عن فلسطينيته ووطنه فلسطين ٠ لا ولم ينسه الزمن اياها كما توقع المتوقعون ٠

وعندما خابت آمـــال شعبنا بالاسرة الدوليـــة التي نسيته وتغافلت عن حقوقـــه وثبت لشعبنا عجـــز النضال السياسي وحده عن استعادة شبر ارض من وطنه لجأ شعبنا الى الثورة الفلسطينية واعطاها كـــل امكانياته الماديـــة والبشرية وخيرة شبابه ٠ وواجه شعبنا ببسالة ارهابـــا اسرائيليا لا يتخيله بشر ليثنيه عـــن طريق النضـــال ٠

لقد قدم شعبنا في السنوات العشر الاخيـرة من نضاله آلاف الشهداء واضعافهم من الجرحى والمشوهين والاسرى والمعتقلين ، من اجل الا يفنى او يذوب ، ومن اجل انتزاع حقه في تقرير مصيره على وطنه وفي عودته الى ترابه ·

وتعيش جماهير شعبنا الآن تحت الاحتـــلال الصهيوني تقاوم بكل الكبرياء المتأصلة فيها وبكل الشموخ الثوري الملازم لها سواء من زج منها في السجون والمعتقلات او من يعيش داخل السجن الكبير في قفص الاحتـــلال · يقاومون من اجـــل ان تبقى الارض عربية ويكافحـــون الطغيـــان والظلم والارهـــاب بشتى صـــوره المأساوية الخطيرة ·

ومن خلال ثورة شعبنا المسلحـــــة تبلورت قيادته السياسية وترسخت مؤسساته الوطنية وبنيت حركة التحرير الوطنية التي تضم كل فصائله وتنظيماتـــه وقدراته والتي جسدتهـــا منظمة التحرير الفلسطينيـــة ·

ومن خلال حركة التحرير الوطنية الفلسطينية المناضلة نضج نضال شعبنا وتعددت اساليبه فشمل النضال السياسي والاجتماعي بالاضافة للنضال المسلح ، واندفعت منظمتنا تساهم في بناء الانسان الفلسطيني المؤهل لبناء المستقبـــــل الفلسطيني وليس فقط لتعبئته لمواجهة تحديات الحاضر ·

وتعتز منظمة التحرير الفلسطينية بأنها وهي تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الارهـــاب الصهيوني ، قامت بمآثر عديدة حضارية وثقافيـــة فشكلت مؤسسات البحـــث العلمي والتطوير الزراعي ، والرعاية الصحية واحياء التـــراث الحضاري لشعبنا ، وتطوير الفولوكلور الشعبي ، وخرجت من بين صفوفها عددا من الشعراء والفنانين والكتاب الذيـــن يسهمون في تطويـــر الثقافة العربية ، وربما امتد ذلك الى الثقافة العالمية ، وكان المحتوى لكل ذلك يحمل طابعا انسانيا عميقا اثار اعجـــاب كل الاصدقاء الذين

اطلعوا عليه وكنا بذلك النقيض لعدونا الذي قام على هدم الحضارة والثقافة بترويج الافكار العنصرية والاستعمارية وكل ما هو معاد للشعوب والتقدم والعدل والديمقراطية والسلام ٠

**سيادة الرئيس ،**

لقد اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية شرعيتها من طليعتها في التضحية ومن قيادتها للنضال بكافة اشكاله ، واكتسبتها من الجماهير الفلسطينية التي اولتها قيادة العمل واستجابت لتوجيهها ٠ واكتسبتها من تمثيل كل فصيل ونقابة وتجمع وكفاءة فلسطينية في مجلسها الوطني ومؤسساتها الجماهيرية ٠ وقد تدعمت هذه الشرعية بمؤازرة الامة العربية كلها لها ٠ كما تكرس هذا الدعم في مؤتمر القمة العربي الاخير بتأكيد حق منظمة التحرير الفلسطينية في اقامة السلطة الوطنية المستقلة على كل الاراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها بصفتها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني ٠

كما ان شرعيتها تعمقت من خلال دعم الاخوة في حركات التحرر ودول العالم الصديقة المناصرة التي وقفت الى جانب المنظمة تدعمها وتشد ازرها في نضالها من اجل حقوق الشعب الفلسطيني ٠

وهنا لا بد ان اعلن بكل اعتزاز شكر ثوارنا وشعبنا للمواقف المشرفة التي وقفتها مع نضال شعبنا دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والدول الاسلامية والدول الافريقية والدول الصديقة في اوروبا وكذلك الاصدقاء في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ٠

**سيادة الرئيس ،**

ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وهي بهذه الصفة المعبرة عن رغبات واماني هذا الشعب وهي بهذه الصفة تنقل اليكم تلك الرغبات والاماني وتحملكم مسؤولية تاريخية كبيرة تجاه قضيتنا العادلة ٠

سيادة الرئيس ،

لقد تعرض شعبنا لويلات الحرب والدمـــار والتشريد سنين طويلة ، ودفع شعبنا من دماء ابنائه وارواحهم ما لا يعوض بثمن · وعانى من الاحتلال والتشريد والنزوح والارهـــاب ما لم يعان منه شعب آخر · ولكن ذلك كله لا يجعل شعبنا حــاقدا يحلم بالانتقام ، كما انه لا يجعلنا يا سيادة الرئيس نقع في سقطة عدونا العنصرية ، او نفقد الرؤية الحقيقية في تحديد اعدائنا واصدقائنا ·

اننا ندين كل الجرائم التي ارتكبت ضد اليهـــود وكل انواع التمييز الصريح والمقنع الذي عانى منه معتنقو اليهودية ·

سيادة الرئيس ،

انني ثائر من اجل الحرية · واعرف ان كثيرين من الجالسين في هذه القاعـــة كانوا في مثل المواقـــع النضالية التي اقاتل منها الآن واستطاعوا من خلال نضالهم ان يحولوا احلامهم الى حقائق · انهم شركائي في الحلم اذن · من هنا اسألهم ان نمضي في تحويل الحلم المشترك بمستقبل السلام في هذه الارض الفلسطينية المقدسة الى حقائق ساطعة ·

لقد وقف المناضل اليهودي اهود اديف في المحكمة العسكرية الاسرائيلية قائلا : انا لست مخربا ·· انا من المؤمنين باقامة الدولة الديمقراطية على هذه الارض · انه الان في غياهب سجون الزمرة العسكرية الصهيونية مع زملاء له ·

ويمثل الآن ، امام هذه المحاكم ذاتها ، امير شجاع من امراء الكنيسة المسيحية هو المطران كبوجي · انـــه يرفع اصابعه بعلامة النصر ـ شعار ثوارنا ـ ويقول : « انني اعمل من اجل السلام في فلسطين ليعيش الجميع عــلى ارض السلام بسلام » · وسيلقى هذا الامير الراهب المصير ذاته في غياهب السجون ·

فلماذا لا أحلـــم ، يا سيادة الرئيس ، وآمل ، والثورة هي صناعة تحقيق الاحلام والآمال · فلنعمل معا على تحقيق الحلم في ان اعود مع شعبي من منفاي لاعيش مـــع هذا المناضل اليهودي ورفاقه ، ومع هذا المناضل الراهب المسيحي واخوانه في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي واليهودي والمسلم في كنف المساواة والعدل والاخاء ·

الا يستحق هذا الهدف الانساني النبيـــل ان اناضل من اجل تحقيقه مع كل الشرفاء في العالم ؟ ولعـــل اروع ما في هذا الهدف العظيم هو انه من اجل فلسطيـــن ·· ارض القداسة والسلام ·· ارض الاستشهاد والبطولة ·

لقد ناضل اليهود يا سيادة الرئيس في اوروبا وهنا في امريكا من اجل اوطان لا طائفية تنفصل فيها الدول عن الكنيسة وقاتلوا ضد التمييز على اساس الـــدين · فكيف يمكـــن لهم ان يرفضوا هذا النموذج الانساني المشرف عـــلى الارض المقدسة ، ارض السلام والمساواة ؟ وكيف يمكن لهم ان يستمروا في دعم اكثر دول العالم انغلاقا وتمييزا وتعصبا ·

انني اعلن امامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية اننا عندما نتحدث عن آمالنـــا المشتركة من اجل فلسطين الغد فنحن نشمل في تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الآن في فلسطين ويقبلون العيش معنا في سلام ودون تمييز عـــلى ارض فلسطين ·

انني بصفتي رئيسا لمنظمـــــة التحرير وقائدا لقوات الثورة الفلسطينية ادعو اليهود فردا فردا ليعيدوا النظر في طريق الهاوية الذي تقودهم عليه الصهيونية والقيادات الاسرائيليـــة ، وهي التي لم تقدم لهم غير النزيـــف الدموي الدائـــم والاستمرار في خوض الحروب واستخدامهم كوقود دائم لها ·

اننا ندعوكم للخروج الى مجـــال الاختيار الرحب بعيدا عن

محاولات قياداتكم لغرس عقد الماسادةوجعلها قدرا لكم ·

اننا نقدم لكم اكرم دعـــوة ·· ان نعيش معا في اطار السلام العادل في فلسطيننا الديمقراطية ·

انني كرئيس لمنظمة التحريـــــر الفلسطينية ، وكقائد للثورة الفلسطينية اعلن هنا اننا لا نريد اراقة نقطة دم يهودية او عربية ·· ولا نستعذب استمرار القتال دقيقة واحـــدة اذا حل السلام العادل المبني على حقوق شعبنا وتطلعاته وامانيه ·

انني كرئيس لمنظمـــة التحرير الفلسطنيية وكقائـــد للثورة الفلسطينية اتوجه اليكم ان تقفوا مع نضال شعبنـــا من اجل تطبيق حقه في تقرير مصيره · هذا الحـق الـذي كرسه ميثاق منظمتكم واقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة · وانني اتوجه اليكم ايضا ان تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلـــــم ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال اشجاره حـــرا سيدا متمتعا بكافـــة حقوقــه القومية ليشاركوا في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانـــات وطاقات وليحمي قدسه الحبيبة كما فعل دائما عبر التاريخ ويجعلها قبلة حـــــرة لجميع الاديان بعيدا عن الارهاب والقهر ·

كما اتوجه اليكم بأن تمكنوا شعبنـــا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطني على ارضه ·

لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية الثائر ·· فلا تسقطوا الغصن الاخضر من يدي ·

**سيادة الرئيس ،**

الحرب تندلع من فلسطين   والسلم يبدأ في فلسطين ·

# الفصـــل الأول

## خطاب مفتوح الى الرفيق رامي [1]

رفيقنا المناضل
تحية الثورة ،

نكتب لك • ونأمل ان تصلك كلماتنا ، كمـــا وصلتنا كلماتك التي واجهت بها اولئك الذين حكموا عليك بالسجن عشر سنوات ••

وبرغم اننا من الناحية الجغرافية قريبون جدا منك ومن كافة الرفاق ( فنحن على الجانب الآخر من الاسلاك الشائكة التي تحرس

---

١ ـ القى الرفيق رامي ليفنه خطابا خلال محاكمته في حيفا « بتهمة » انضمامه الى تنظيم «الجبهة الحمراء» • كما تكلم في هذه المحاكمة عدد من الرفاق الاخرين معبرين عن الافكار والمواقف نفسها •

وقد تميز من بينهم الرفيق يهودا اديف الذي اعلن عـن مـواقف واراء اكثر وضوحا وحسما •

الكيان الصهيوني ) الا ان كلماتـــك تأخرت حتى وصلتنا • ولكنها وصلت على اي حال ، كالحقيقة ، تصل دوما ان تأخرت ••

قرأناها مرات ، واستكملنا ما غمض منها من حديث صحفي خاص وصلنا ايضا ، وكان المتحدث فيه واحد مـــن رفاق الاتحاد الشيوعي الثوري (نضال) (١) •

اول ما لاحظناه في كلمتك ، وفي حديث الرفاق ، هو المواقف الفكرية والنضالية التي تجمـــع بيننا • لم نبحث عنها كثيرا ، فهي واضحة ، ونحن ايضا نمارسها • ولذا عندما يعبر عنها اي انسان فان في مقدورنا أن ندركها ، وندرك اعماقها من فورنا • ان الانسان يستطيع ان يلتقط شبيهه من وسط الزحام دون ادنى جهد •

وبرغم الملاحظات التي وردت ، اساسا في كلمتك ، وبعضها تردد في حديث الرفاق ، فاننـــا نعتقد ان هنـــاك ارضية مشتركة صالحة لكي نطور معا افكارنا ، ولكي نوضح ما نعتقد انه فهم خاطىء عن افكارنا ، وايضا ملاحظاتنا على بعض افكاركم •

ولكي لا يتشابك الحوار ، فاننا نفضل ان نقسم حديثنا معكم الى اقسام ثلاثة :

اولا : المواقف والافكار المشتركة •
ثانيا : ملاحظاتكم على حركة فتح ، والمقاومة بشكل عام •
ثالثا : ملاحظاتنا على مصدر الخطأ في بعض افكاركم •

ونعتقد انكم لستم بحاجة الى دليل يوضح اننا ـ حركة فتح والمقاومة بشكل عام ـ لا نتأخر عن الحوار مـــع كـــل من نعتقد انه

..............................

١ ـ يعرف هذاالتنظيم ايضا باسمMa'Afak، وهي عند نطقها بالعربية تكون بالهمزة المخففة • وسيرد ذكرها بعد ذلك بالعربية باسم الماهفاك •

يتخذ موقفا ايجابيا من نضالنا • ويكفي ان احـــدى التهم الموجهة لك يا رفيقنا ، هي انك قابلت مناضلا فلسطينيـــا من « فتح » • وما كان من الممكن ان يتم ذلك لولا ان هذه هي خطتنا النضالية • وهي كما ترى ليست « انعكاسا لافكار شوفينية قوميـــة ، ولا هي ممارسة لها نفس الطابع » (١) •

## القسم الاول :

### المواقف والافكار المشتركة :

من المؤكد ان اتفاقنا في بعض الافكار العامة ، لا ينفي اختلافنا حول افكار عامة اخرى ، كما ان الاتفـــاق نفسه لا يعني تطابقا في التصور حول الطريق الذي سيسلكه النضـــال في سبيل تحقيق هذا الهدف العام •

ونحن لا نخشى الخلاف ، فهـــو اثر طبيعي ناتج عن اختلاف زاوية الرؤية التاريخية . وواقع الممارسة الفعلية والظروف الذاتية ايضا •

الا اننا نرى ان السبيل الرئيسي لتوحيد الافكار سواء العامة او التفصيلية انما يكون بتوحيد الممارسة فالممارسة المشتركة تؤدي الى الفكرة الواحدة وتطورها وتدعمها •

هذه مقدمة لا بد منها •

ولنحاول فيما يلي ان نسجل الافكـــار التي التقينا حتى الآن حولها ••

..... .. . .

١ ـ رامي ليفنه يتكلم ، اقوال معتقل سياسي ، الطبعة العربية، ص١١، اصدار القائمة الاشتراكية الثورية ر• س• (فلسطين المحتلة ١٩٧٤ ) •

١ ـ فلسطين الديمقراطية :

تبنيت في خطابك يا رفيق ما طرحه مندوب « فتح » في اجتماع رسمي عن دولة علمانية ديمقراطية يعيش فيهـــا المسلمون واليهود والمسيحيون مع بعضهم البعض (١) ٠

صحيح انك في الخطاب نفسه ، وفي نهايتـــه تقريبا ، نفيت ان تكون قد قمت بما يحقق اذى لامن الدولة (٢) ٠

في تقديرنا ان هذا «النفي» ضروري خلال محاكمة كالتي تمت وانه بالتأكيد لا يعني شيئا بالنسبة لموافقتك الواضحة على شعار « فلسطين الديمقراطية » والتي تعني بـــلا شك القضاء على الكيان الصهيوني المسمى باسرائيل ٠

ولقد تأكد لنا هذا الاستنتاج بالرجوع الى الحديث الصحفـي الذي تم مع احد رفاقك فهو يستنكر «الاعتراف بشرعيـــة دولـــة اسرائيل» (٣)، ويعتبر ذلك «خيانة بالنسبة لمصالح الشعب الفلسطيني الوطنية وحركة التحرر العربي» (٤) ، وهو يرى ان الحل الجـذري « يقضي على الدولة الصهيونية» (٥) ٠

هنا جوهر الاتفاق بيننا ، وهو كاف حتى ولو لم نكن متفقيـن على غير ذلك ، كاف لان نبدأ معا حوارا وممارسة من اجل تبين سبل تحقيقه ، وتجنيد اوسع القوى في سبيل ذلك ٠٠

. ... . ....... .. . .. .... ...

١ ـ ان هذه المحاولة لمعالجة وجود يهودي في المنطقة تظهر جليا وبشكل رسمي في برنامج فتح الذي يتكلم (عن دولة علمانية ديمقراطية يعيش فيهـا المسلمون واليهود والمسيحيون مع بعضهم البعض) » المصدر السابق ص٩ »

٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤ ٠

٣ ـ حديث مع رفيق عضو في الاتحاد الشيوعي الثوري ، ص ٣ ٠

٤ ـ المصدر نفسه ٠

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ١٥ ٠

لا بد ان نوضح مفهومنا عن دولة فلسطين الديمقراطية ، فنحن نؤمن بأن الثوار لا يخفون اهدافهم النهائية ابدا ..

أ ـ نعم هي دولة تضم مسلمين ومسيحيين ويهودا على قدم المساواة . ولكن لا بد ان نوضح اننا لسنا مثاليين ، او نحن نحلم بأن تقوم هذه الدولة بمجرد توفر النيات الحسنة ، ولا هي يمكن ان تخلو من اثار السنين التي مارست فيها الصهيونية كافة اشكال التعصب والعنصرية والقمع والدعايات التي تحشو بها عقول «اليهود» عن العرب على حد تعبيرك (١) . لذا فاننا نعتقد ان السبيل الوحيد لتقليل اثار هذه الجرائم ، هو شن حرب شعبية لتحرير كامل فلسطين ، ونؤمن ان هذه الحرب ستحرر «العقول» مما حشيت به من افكار متعصبة وعنصرية . كما اننا نتوقع ان تؤدي مساهمة **الثوار اليهود** معنا في النضال المسلح ، الى التخفيف من اثار ما تفعله الصهيونية ، وفعلته وستفعله . ان حربنا كما ترون ليست «حربا اهلية» تنتهي بانتصار طبقة او مجموعة من الطبقات ، على طبقة او مجموعة اخرى من الطبقات ، ولكنها حرب من اجل استعادة الارض وتحريرها كاملة ، هذه الارض التي ستكون من حق الذين ناضلوا من اجل تحريرها .

**ان الارض ستكون للسواعد التي تحررها بالسلاح** ، هذا ما نؤمن به وندعو له . لذا فنحن نرى ان مسئوليتكم ، ايها الرفاق ، ليست هينة ، كما ان ظروفكم ليست سهلة ، ان المبادرة والاسراع في

.........................................

١ ـ من خطاب رامي ليفنه :

« اجهزة الدولة تحشو عقول السكان ( الذين هم في معظمهم يهود قادمون من الدول العربية وفلسطينيون عرب) : ان العرب شعب بربري يريد القضاء علينا ولهذا فان علينا ان نهزمهم قبل ان يفعلوا هم ذلك . انهم يعطون هذا التحريض والدعاية لليهود القادمين من الدول العربية الذين عاشوا في هذه المنطقة «الهمجية» لقرون عدة «انتم انفسكم بدائيون وسود» تقول الحكومة الاسرائيلية لليهود الشرقيين وتقول انالعرب اكثر بدائية واسودادا.» ص١٧٠

الاشتراك في هذا النضال المسلح الشعبي ، يقللان بلا شك خسائرنا في المستقبل كما انهما يعجلان نهاية هذا الكيان العنصري البشع ، فيخففان من كوارثه واثار تعصبه على عقول الجماهير سواء التـي قدمت الى فلسطين او التي طردت منها ٠

ب ـ ان هذه الدولة هي عربية ، ولا يمكن ان تكون غير ذلك ، وقد اشرت في خطابك الى ذلك عندما نقلت عن لسان موشه شاريت قوله «لا يوجد عربي واحد لا يرى نفسه جزءا من الشعب العربي الذي حكم هذه البلاد لمئات السنين ٠٠٠» (١) ٠ ونحن نعتقد انـه مـن المستحيل «تاريخيا» ان تفلح الصهيونية في تغيير وجـه فلسطيـن العربي ، فالشعب العربي الفلسطيني ليس الهنود الحمر ٠ ولا يمكن القضاء عليه ولا اذابته كما حدث في امريكا الشمالية ، فهو شعب له حضارة متطورة (٢) ، ومجتمع هو جزء من المجتمع العربي الكبير ، تطور (بغض النظر عن درجة هذا التطور) لاكثر من الفي عام ٠ هو اذن صاحب الموقع الاصيل في الحركة التاريخيـة ٠ هذه الحكرة التي لا بد ان تتطور وتنمو لتصل الى الوحدة العربيـة التقدمية الكبرى ٠

ليس معنى ذلك ان كل من ليس عربيا لا بد ان يغادر فلسطين ، فالوطن العربي عرف ويعرف اقليات غير عربية ، تعيش في مساواة كاملة مع العرب ٠ الا اننا لا نقيس عروبة الانسان بديانته ، كما اننا

..... ..... ..... ..... .....

١ ـ خطاب رامي ليفنه ، ص ٨ ٠

٢ ـ ذكر رامي ليفنه ، المصدر السابق ، حديثا لديان يقول فيه :
«يجب القول بحزم ان دولة اسرائيل قامت على حساب العـرب وفي ديارهم ، اننا (اي اليهود الاسرائيليين) لم نأت الى بلاد خالية (من السكان) لقد كان هناك استيطان عربي في هذه البلاد ٠٠٠
اننا نوطن اليهود في اماكن كان يسكنها العرب ، اننا نحول بلادا عربية الى بلاد يهودية ٠ » (يديعوت احرونوت ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣ ) ٠

لا نحوط العروبة بسور «عرقي» يمنع الانخراط في صفوفها ٠

جـ ـ ان هذه الدولة الفلسطينية العربية الديمقراطية هي جزء او ستكون جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى، ستكون تتويجا لنضال الجماهير العربية من اجل التحرر والحرية ٠ ونحن لا نقول ذلك لاننا نؤمن بالوحدة العربية فقط ، ولكن لاننا نرى ان هذا هو المستبقل التاريخي لامتنا العربية ، كما اننا نرى في الحرب الشعبية التحريرية سبيلا مؤكدا واساسيا لتحرير الجماهير العربية كلها ، وتوحيدها ٠

هذا هو مفهومنا ، ونعتقد انكم توافقوننا عليه ، فقد اشرت في خطابك قائلا : «ان الكفاح المشترك للجماهير المستغلّة لكلا الشعبين هو الطريق الوحيد للتحرر وان هذا التحرر لا يمكن ان يكون تحرر الفلسطينيين السياسي فقط ٠ نحن نعرف انه من اجل التحرر من الارتباط الايديولوجي مع البرجوازية العربية والعمل من اجل نظام يمثل الجماهير المحرومة في المنطقة ككل ومن اجل التحرر من التشرد ومن اجل استرجاع الكرامة ومن اجل التحرر من اليأس والعذاب يجب على الشعب الفلسطيني ان يقبل التحالف مع جماهير اليهود المستغلَين في اسرائيل نفسها ٠ هذه الجماهير نفسها التي تدير ظهرها اليوم لاي تصور حول التعاون بين اليهود والعرب» (١) ٠

متفقون بشكل عام ٠ ونؤكد على نقطتين : **الاولى** : هي ان هذا النضال المشترك **يوجه اساسا ضد الكيان الصهيوني ، واي اغفال لذلك من شأنه ان يحرف اتجاه البنادق ويشتت القوى الثورية المناضلة ضد هذا الكيان ٠ والثانية** : هي ان مسئولية تحقيق الاشكال والصيغ السياسية لهذا التحالف ، هي مسئولية مشتركة ٠ من جانبنا

. . . . . . . . . . . . . . . .

١ ـ خطاب رامي ليفنه « ص ١٠ ٠

نحن لا نتردد ابدا في تناول اي يد تقدم لنا ، فما هي مسئولية القوى الثورية الداعية بين الجماهير اليهودية في الوطن المحتل الان ؟ وكيف يمكن ان نميز بينها ؟ نعتقد ان السبيل الوحيد لذلك هو ممارسة النضال فعلا بكافة اشكاله المسلحة وغير المسلحة . **ذلك هو الفصل بين الثوري وغير الثوري ، بين التقدمي وغير التقدمي ، بين اليساري وغير اليساري**.ذلك هو الطريق الى استقطاب جماهير يهودية لتلتزم بالموقف الفكري والنضالي نفسه . ونحن نعتقد انه من الخطر التعمية على هذا الجانب ليس فقط لانه يضلل قطاعات من الجماهير ويحرف نضالها ، وليس فقط لانه يشوه الافكار التي يحاولون بها تبرير استمرار «الاعتراف بشرعية اسرائيل» ، وانما ايضا **لان اي نضال لا يوجه ضد العدو الرئيسي وبشكل مباشر من شأنه دعم هذا العدو وتثبيت مواقعه .**

بهذا المقياس استطعنا نحن هنا ان نميزكم من بين عشرات الجماعات التي ترتدي مسوح التقدمية واليسار ، ثم هي لا تؤمن بالعنف وسيلة للنضال ، وتنكر علينا حقنا في ان نقاتل من اجل القضاء على الدولة الصهيونية .

**٢ ـ العنف :**

واذ نتفق على الهدف ، يتدعم اتفاقنا عندما نتبنى الوسيلة نفسها : «العنف» .

ولقد دافعت يارفيق عن العنف . برغم ظروف المحاكمة كان موقفك واضحا من هذه المسألة . انتم مع العنف . ونحن نمارسه . تقول في خطابك «لا يمكن ان يكون هناك رد فعل سوى المقاومة» . كما تقول : « ان كل هذا (الموقف المتصلب للدولة الاسرائيلية) يحتم على الجماهير العربية العيش تحت اضطهاد شنيع ويفرض على الجماهير اليهودية (الاسرائيلية) **حربا ازلية** غير عادلة ضد حقائق

التاريخ نفسه » (١) (التخطيط من عندنا) · وتقول ايضا ان نوعية الاستيطان الصهيوني بذاته هي التي خلقت حلقة من العنف والكراهية لانها بنيت على الدماء والفظائع (٢) وتصنف اتهام الدولة لكم بتأييد العنف والدعوة للثورة المسلحة بأنه «لا حدود للنفاق الذي تتسم به الدولة » (٣) · وتقول موضحا «ان النظام لن يزول بمجرد ان ينظم العمال والشغالون والفقراء انفسهم ـ يهودا وعربا معا ـ لكي يستبدلوه بطريقة ديمقراطية بنظام شعبي · انه سيهاجم وسيقوم ضد الجماهير اليهودية والعربية معا بطريقة يائسة · لهذا فنحن نقول للعمال والفلاحين والفقراء : يجب ان تكونوا مستعدين لذلك الهجوم » (٤) ·

انتم اذن تؤمنون بالعنف ، ونعتقد ان التحفظ بأن هذا العنف سيكون فقط عندما يهجم النظام ، انما هو تحفظ فرضته ظروف المحاكمة · ذلك ان النظام يهاجم منذ امد بعيد ، وهو يقمع منذ تسلله وقيامه ، وهو يمارس العنف يوميا بكافة اشكاله كما ذكرت في خطابك ·· لا جواب عليه اذن الا العنف · وقد تأكد لنا ذلك بالرجوع الى الحديث الصحفي نفسه ، اذ يقول الرفاق « ان هناك مهاما ليست فقط عسكرية ، بل سياسية ايضا مطروحة على الثوار وانهم لن يتمكنوا من الانتقال الى مرحلة النضال العسكري الا اذا توفرت بعض الشروط السياسية التي تضمن فعالية النضال المسلح» ·

**توافقون على العنف ، وتدافعون عنه** ، وهي نقطة التقاء ايجابية وهامة ، لا يقلل منها انكم تتحفظون «بضرورة توافر بعض الشروط » · لا شك انه لا بد من توفر الشروط والظروف الملائمة لكل

..................................

١ ـ المصدر نفسه ، ص ٩ ·
٢ ـ المصدر نفسه ·
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٨ ·
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٩ ·

عملية نضالية ، كما لا شك ايضا ان ممارسة العنف لا تمنع بل هي تدعم الممارسات غير العنيفة السياسية الاخرى · لذا فنحن لن نناقش هذا التحفظ تاركين تقدير الظروف ، خصوصا الذاتية لكم ·

هنا ايضا لا بد ان يكون موقفنا واضحا :

أ ـ نحن نؤمن بالعنف **سبيلا وحيدا** لتحرير الارض المغتصبة ولكن ما نؤمن به من عنف يتصف بأنه **عنف جماهيري** منظم ، وهو يتطور الى حرب شعبية شاملة · نحن نعتقد ان من واجبنا ان ننمي قدرات الجماهير على ممارسة العنف المنظم وذلك لا يتحقق ولا يمكن ان يتحقق ما لم توجد القوى المنظمة الواعية التي **تمارس** العنف ، فتدعو وتنظم بممارستها الى جانب دعوتها · كما اننا نعتقد ان **استمرار ممارستنا العنيفة هو الذي من شانه هز الاوهام الاصلاحية والسلبية** التي زرعتها قرون من القهر الواقع على جماهيرنا ، واننا بذلك ايضا نوسع رقعة الصدام مع العدو الصهيوني ارضا وجماهير·

ب ـ ان العنف المنظم يجب ان يهدف الى **تجنيد** اوسع الفئات والقوى الجماهيرية بحيث يتحول الى **حرب شعبية شاملة** ، هي بلا شك ايضا **طويلة الامد** · ذلك لاننا لن نعبىء الجماهير «بقرار» ولن نهزم الافكار القديمة في جولة واحدة · ونحن لا نحارب في فراغ وانما من حولنا اعداؤنا الاذكياء الساعون الى تفتيت صفوفنا وعزلنا ·

ج ـ انهناك مكانا فيهذه الحرب لكل القوى الثورية العربية· **فقضيتنا هي قضية العرب جميعا** · كما اننا نرحب بل نسعى لان يكون بين صفوفنا مناضلون من غير العرب لنحقق بالفعل الموضوعي جذورنا في حركة النضال **الاممي** ضد الاستعمار الذي هو اصل الكيان الصهيوني ·

د ـ اننا نتوقع في مراحل مقبلة ان تساهم معنا وبنشاط فئات من الجماهير اليهودية التي قدمت الى الوطن المحتل فلسطين ، بعد ان تدرك الا خلاص لها ولا تحرر الا بالقضاء على الكيان الصهيوني·

هـ ـ ان الحرب الشعبية الفلسطينية العربية (ضمت وستضم) في مراحل مقبلة ايضا ، جيوشا عربية ويتحـدد موقف وطريقـة كل جيش منها ، بقدر تأثير جماهير البلد المعين ومدى ما حققته من تغيرات سياسية ·

و- اننا برغم اقتناعنا باهمية تنظيم العنف وجماهيريته ، الا اننا نتوقع ان تقع على الدوام اشكال مـــن العنف عفوية او غير جماهيرية ، كرد فعل لوحشية الصهيونية ومؤمراتها ضد جماهيرنا ونحن في هذه الحالة لا نفقد رؤيتنا ابدا ، ولا نلقي اللـوم الا على المستعمرين الغاصبين لارضنا (١) ·

هذه بايجاز الخطوط العامة لفهمنا «للعنف» · يبقى ان ننبـه اننا على الدوام نحاول تطوير اساليبنـا وتعميق جذورها التنظيمية في الداخل · ولكن طالما ان «العنف» عندنا ممارسة ، فان كل ممارسة تجمع الصواب والخطأ ، ولا ضمان بأن يغلب جانب الصواب على جانب الخطأ الا باستمرار هذه الممارسة وارتباطها دوما بالجماهير منبعا للقوى المقاتلة ، ودرعا لحماية امنها ومصـدرا لافكـارهـا وتكتيكاتها ·

كما اننا لا ننزلق الى مقاييس عاطفية نقيس بها الحرب واشكال العنف الاخرى ، وانما نلتزم بما ذكرنا من ان تكون منظمة وجماهيرية وموجهة لخدمة هدفنا الاستراتيجي · وهي بهذا الشكل لا يمكن ان

---

١ ـ يقول انجلز عن حرب الافيون في الصين في ١٨٥٧ :
« بدل الوعظ عن فظائع الصينيين الشنيعة ، كان من الافضل الاعتراف بان هذا احتراب على الارض ومن اجل الامة · حرب شعبية من اجل وجـود الامة الصينية · وعلى الرغم من جميع تحديداتها المسبقة والكثيـرة وعلى الرغم من السخافة وعدم المعرفـة المعقـدة والوحشيـة المتمكنـة فهي حـرب شعبيـة مع ذلك » ·

تكون كما ذكرت في خطابك «اعمالا ارهابية» ، ولا «ممارسة قومية شوفينية وبرجوازية صغيرة» (١) • وسنعود الى هذه الملاحظة فيما بعد •

## ٣ـ استقلالية الارادة الجماهيرية الثورية :

نحن ننادي ونعمل على الدوام **لتحرير الارادة الجماهيرية الثورية الفلسطينية من اي وصاية عربية او غير عربية** • وقد اشرت الى ذلك في خطابك عندما تحدثت عن ان «الانسلاخ عن الحكومات العربية والمشاركة الفعالة للجماهير الفلسطينية نفسها هي شروط لا غنى عنها لدفع النضال الى الامام» (٢) • ولكن يبدو ان هذه الفكرة ، ونضالنا في سبيل تطبيقها ، يتوهان احيانا في خضم الاحداث اليومية • ان ما نريد ان نوضحه **ان دعوتنا الى رفض الوصاية ليست بأي حال دعوة «اقليمية» اي «انفصالية» عن مجموع الامة العربية** •

اننا كما ذكرنا لكم نؤمن بالوحدة العربية ، وبأن الشعب الفلسطيني شعب عربي ، وبأن قضيتنا هي قضية العرب جميعا • ذلك معناه ان كافة العوامل الموجودة على الساحة العربية تؤثر حتى على مسيرة نضالنا •كما نؤثر نحن ايضا على هذه العوامل فرادى ومجتمعة • اننا نؤمن بضرورة تحرير الارادة الثورية لكل الجماهير العربية ، وبالذات للجماهير الفلسطينية فيما يخص حرب التحرير الشعبية من اجل تحرير فلسطين• ذلك لان هذه الجماهير بحكم ظروفها التاريخية، هي اكثر قطاعات الجماهير العربية تأثرا باغتصاب فلسطين ، وبالتالي استعدادا للنضال في سبيل استعادتها • هذه الجماهير الفلسطينية تعد بحكم هذا التطور التاريخي طليعة ومحور النضال

---

١ ــ رامي ليفنه ، المصدر السابق ، ص ١١ •
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٩ •

العربي من اجل تحرير فلسطين ورأس رمحه الضارب قلب الاستعمار الملقب ( باسرائيل ) ٠

## ٤ ـ الفصل بين الصهيونية وبين اليهود كيهود (١) :

وهذه ايضا نقطة التقاء هامة ٠٠ نحـــــن نفصل بلا شك بين الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية وبين اليهود كيهود ٠ وقد طبقنا فهمنا هذا ، في شعار «الدولة الديمقراطيـــة» وفي سعينـــا باستمرار ويوميا لفضح الصهيونية كحركة سياسية استعمـــارية وليست دينية ٠ ولسنا في ذلك مبتدئين بل مستمرين فيما عاشت عليه جماهيرنا العربية قرونا لا تميز الناس بأديانهم ٠ ونحن في الوقت نفسه لا نفهم اليهودية الا انها دين ونعتقد انه فهم صحيح تماما والا وقعنا في شرك العنصرية لو اعتبرناها «عرقا» مميزا ، او « قوميـــة مستقلة » ٠ وصفوفنا تضم من هم يدينون باليهودية ، او ينحـــدرون من ذوي عقيدة يهودية ، ولا يقف ذلك حائلا بينهم وبين الكلاشنكوف نفسه الذي يحمله كل المناضلين ٠

هذا هو موقفنا ، ولكننا على اي حال لا نجد انه موقف سهل كما ان الحفاظ عليه عبء ضخم ، ويجب ان يكـــون مشتركـــا بيننـــا وبينكم ٠

**اذ كيف يمكن ان نميز الصهيوني من غير الصهيوني في الوطن**

..................................... .

١ ـ يقول الرفيق رامي ليفنه في دفاعه ، ص ٩ :

«غير ان الحركة الفلسطينية ارست مفهوما جديدا له معنى عميق ٠ ان الانسلاخ عن الحكومات العربية والمشاركة الفعالة للجماهير الفلسطينيـــة نفسها هي شروط لا غنى عنها لدفع النضال الى الامام واكثر من ذلـــك : ان احد دروس حرب حزيران هو ان شعارات الابادة الموجهة ضد السكان اليهود خلال حرب حزيران ١٩٦٧ تدعم الايديولوجية الصهيونية وانه يجب التفرقـــة بين الصهيونية وبين اليهود كيهود » ٠

**المحتل ؟** • لا يكفي ان يعلن «**المستوطن**» (تأملوا هذه الكلمة) انه ليس صهيونيا لكي يكون غير ذلك ، وانما يجب ان يناضل ضد الكيان الصهيوني ومن اجل القضاء عليه لكي يتحقق له فعلا التحرر من الصهيونية •

**قد تدهشون ان عرفتم اننا نقدر كل التقدير موقف اليهودي الفقير الذي لا يهاجر الى فلسطين رغم كل الاغراءات الصهيونية والاضطهاد الذي تمارسه عليه مجتمعات استعمارية فاشية او شبه فاشية** ، وكيف نحتقر كل الاحتقار الاغنياء اليهود الذين يشجعون فقراء اليهود على الهجرة الى فلسطين ، وهم باقون على عروش دولهم الاستعمارية وشركاتهم الاحتكارية المستغلة •• نحن نعرف يا رفاق ان الكثيرين ممن جاءوا الى الوطن المحتل فلسطين ضللتهم دعايات صهيونية ، وطاردتهم مؤامرات فاشية استعمارية ، ولكن ، رغم اننا لسنا المسئولين عن هذه الاغراءات ، ولا عن تلك المؤامرات، فاننا حين نحدد هدفنا «بدولة ديمقراطية» ، وحين نمارس نشاطنا بدون تميز على اساس العرق او الدين فاننا نفتح باب الخلاص والتحرر امام الكثيرين ، **ولكنه باب يمر منه فقط من يحمل السلاح•**



هذه هي اهم الافكار التي تبين لنا اتفاقنا عليها • وهي في نظرنا كافية كما ذكرنا لكي نستمر معا في حوار وممارسة يطوران هذا اللقاء ، ويعمقان هذه الافكار ، وينميان ويخلقان اشكالا من الممارسة الفعلية الخصبة •

ونحن لا نخدعكم ، ولا نخدع احدا ، عندما نعلن هذه الافكار ولا حاجة لان ندلل على ذلك بأدلة (عملية) ، فنحن نقدمها ارواحا وممارسة في كل يوم •

**بودنا ان يعرف الجميع ، ان مثل هذه الافكار وان كنا نمارسها منذ سنوات ، فاننا نعرف ان امامنا سنوات عديدة قبل ان يتحقق لها الانتصار سواء في «العقول» او على «الارض» ٠**

لسنا «مثاليين» حالمين بأن تنتشر هذه الافكار بمجرد قولها ، فنحن نعرف ترسبات القرون ، ونقيم تماما مهارة الاعداء ، وندرك تشابك العوامل وتعقد الطريق ٠ ولقد لمستم انتم بأنفسكم وفي واقعكم ذلك ، بل نعتقد ان الفلسفة التي تؤمنون بها **تؤكد ان الصراع ضد ظاهرة لا بد ان يترك بصماته على النقيض الناشيء** ٠ وهكذا فان الصراع ضد العنصرية لا بد وان يتأثر بها في بعض جوانبه ٠ ومهما كان هذا التأثير ضئيلا فاننا نراه ضارا ٠ ولذا نسعى لان نقاومه ونصفيه ولا سبيل الىذلك بدون تنمية قدرات تلك المجموعات اليهودية الموجودة داخل الوطن المحتل ، والتي بدأت تدرك خطر استمرار الكيان الصهيوني فضلا عن جريمة اقامته نفسها ٠

من هنا مسؤوليتكم ومسؤولية كافة القوى والجماعات التي تلتقي معنا حول فكرة «**دولة فلسطين الديمقراطية**» ٠ وهي مسئولية نعلم انها شاقة ومرهقة ، ولكننا ايضا نثق بأنها ممكنة وحتمية النجاح ٠

ذلك «**ان كل ضروري ممكن**» ، هكذا قال لينين ٠

## القسم الثـاني :

### ملاحظاتكم على حركة فتح والمقاومة بشكل عام (١)

نرحب بملاحظاتكم ايها الرفاق ·· ولا نخشى من نشرها حتى عن طريقنا · ليس ثوريا من يكره النقد وليس صديقا مخلصا من لا يصارح بملاحظاته ·

نحن لا نتوقع ان نكون متطابقين في ارائنا ، لا الان ، ولا في المستقبل ، فظروفنا مختلفة سواء منها التاريخية او الحاضرة ، كما ان الممارسات مختلفة ايضا في الزمان والمكان ، لذا فمن الطبيعي ان تتعدد الاراء وتختلف، **وتبقى الممارسة هي السبيل لتوحيد المواقف ومن ثم الاراء** ، لتبرز بعد ذلك ملاحظات جديدة ، وهكذا ·

ولقد راجعنا بعناية واهتمام ملاحظات الرفيق رامي ليفنه التي ادلى بها في خطابه امام المحاكمة كما قرأنا تحفظات الرفـــاق في حديثهم الصحفي ، وحاولنا ان نجد مصدر الخلاف الاساسي ، وان نتأكد من صحة الملاحظات التفصيلية ·

وتبين لنا ان الملاحظات تنقسم الى **مجموعتين** ، احداهما مبنية على خلاف حول فكرة اساسية هي نظرتكم الى «**التجمع الاسرائيلي**» وتقديركم انه «**مجتمع قومي**» ، وانه «**مجتمع طبقي**» · والاخـــرى ناتجة **عن عدم وضوح بعض افكارنا ومواقفنا اليومية وهو امـــر**

..... ... ......... .. .... .. .. ............

١ ـ يتناول هذا الفصل الملاحظات النقدية التي يذكرها عدد من الرفاق الذين يتفقون معنا في الافكار الاساسية الخاصة بفلسطين الديمقراطية · وهي الملاحظات التي ورد بعضها في خطاب الرفيق رامي ليفنه والرفاق الاخـريـن خلال المحاكمة ، وترد ايضا في كتابات واحاديث رفاق اخرين ·

مترتب على عدم قيام حوار بيننا ، كما ترتب على الانعزال الموضوعي المفروض علينا معا بحكم الصدام القائم والقيود البوليسية التي يفرضنا عدونا وعدوكم ، الا وهو الكيان الصهيوني ٠

بالنسبة للمجموعة الاولى سنناقشها معكم في الفصول التالية، وسنحاول توضيح موقفنا من هاتين المسألتين : القومية والطبقية ٠

اما بالنسبة للمجموعة الثانية فسنناقشها ملاحظة ، ملاحظة ، ونأمل ان نوضحها قدر الامكان ، فان لم نفلح ففي استمرار الحوار والممارسة المشتركة ضد الصهيونية ضمان لمزيد من الوضوح ٠

## اولا : الانتصار على اسرائيل والثورة الاجتماعية في العالم العربي

تقول الملاحظة الاولى «ان منظمات المقاومة الفلسطينية ـ وبالاخص حركة فتح ـ غير قادرة على حل المشكلة الفلسطينية لاسباب مختلفة منها : ١ ـ لانهم يحلمون بامكانية انتصار عسكري على دولة اسرائيل بدون ثورة اجتماعية عميقة في العالم العربي ٠٠٠ » (١) ٠

. . . .

١ ـ قال الرفيق رامي ليفنه في خطابه امام المحكمة (ص ١٠) :
«اصبح من الواضح لنا ان منظمات المقاومة الفلسطينية ـ وبالاخص حركة فتح ـ غير قادرة على حل المشكلة الفلسطينية لاسباب مختلفة ، منها:
أ ـ لانهم يحلمون بامكانية انتصار عسكري على دولة اسرائيل بدون ثورة اجتماعية عميقة في العالم العربي وبدون فصل حقيقي بين الجماهير اليهودية المستغَلة في اسرائيل والايديولوجية الصهيونية (المسيطرة عليهم حاليا) ٠

ب ـ لانهم يقفون في منتصف الطريق في محاولاتهم تقييم موقفهم حيال وجود الشعب الاسرائيلي ويستعملون معادلات تصنف اليهود كطائفة دينية وتتجنب الاعتراف التام بأن اليهود في اسرائيل هم في الحقيقة مجتمع قومي وليس مجتمعا دينيا ٠

ويهمنا ان نوضح ما يلي :

١ ـ اننا لا نحلم بالانتصار العسكري علىدولة اسرائيل، وانما نحن **نثق** ونسعى لتحقيق **انتصار الثورة** ، وبلا شك فان تحطيم الالة العسكرية الاسرائيلية في سلسلة طويلة من المعارك التي تعتمد على اسلوب حرب الشعب ، سيكون اساس هذا الانتصار الثوري · ليست هذه مماحكة لفظية وانما تحديد هام وضروري نابع من الفرق **بين ان نكون دولة فيمواجهة دولة، نريد اخضاعها كما اخضع «الحلفاء» مثلا «المانيا النازية» وبين ان نكون ثورة شعبية تناضل من اجل تحرير الارض واستعادتها ، والقضاء على الكيان الصهيوني المسمى «باسرائيل» وتصفية كلمؤسساته السياسية والاقتصادية والعسكرية· مع ايماننا بأن ذلك سيؤدي الى تحرير الارض والجماهير العربية من هذه السيطرة الاستعمارية ، كما سيؤدي الى تحرير اليهود انفسهم من الابتزاز والقمع الصهيوني ·**

٢ ـ اننا **لم نفصل** يوما بين الثورة الفلسطينية وبين الثورة العربية ، ولا نتخيل ولم يحدث ان تخيلنا **امكان انتصار** الثورة الفلسطينية **بمعزل** عن الثورة العربية ، او «**بدون**» الثورة العربية على حد التعبير المستخدم ·

٣ ـ ان الثورة العربية ، وقلبها وطليعتها الثورة الفلسطينية ، هي ثورة قومية معادية للاستعمار ونحن نعرف تماما ان الاستعمار هو مصدر التخلف الاجتماعي للامة العربية، ومخطط ومنفذ تقسيمها، وان اقامة الكيان الصهيوني قصد بها تكريس مصالح الاستعمار في المنطقة سواء في ابقاء البلاد العربية مفتتة او متخلفة · **لذا فان**

. . ..... . ...... . .

ج ـ لانهم يرون ان من الممكن الفصل بين النضال ضد الصهيونية من جهة وضد الرجعية (العربية) من جهة اخرى منتظرين النضال ضد الرجعية الى مرحلة لاحقة» ·

**الثورة المسلحة ضد الاستعمار وقاعدته الصهيونية ستؤدي بلا شك الى تفجير طاقات الجماهير العربية وتوحيدها ، وبالتالي تحقيق اعمق تغير اجتماعي في حياة الامة العربية ٠**

٤ ــ اننا ايهاالرفاق تخطينا منذ امد بعيد ، وربما بطريقة عملية في التفكير : سؤال **من يسبق من** ؟ ايهما قبل الآخر ؟ **التحرير ام القضاء على التخلف الاجتماعي بأشكاله ؟**٠٠ فنحن نعرف اولا **ان التحرير هو جوهر ومحور نضالنا طوال المرحلة التاريخية الحالية ، وان «عملية» التحرير لن تتم في يوم وليلة ، وانها غير معزولة اطلاقا عن عملية التغير الاجتماعي في البلاد العربية فهي تؤثر فيها وتتأثر بها** ٠ ولا شك ان الرفاق يوافقون معنا ان العلة تؤثر في المعلول وتتأثر به ، وانها ايضا قد تتبادل المراكز معه بين حين واخر ٠

٥ ــ ان الرفاق يعرفون جيدا **ان الصراع الاجتماعي لا يفتعل،** ولا يستطيع احد ان يتجاهلهاو يوقفه ٠ ويعرفون ان مهمة القوى الثورية الواعية هي دفعه في اتجاه الاحتدام والصدام موجهين ضرباتهم الى الحلقة الرئيسية للنضال في كل مرحلة ٠ ولا شك انهم يوافقوننا ان الحلقة الرئيسية في المرحلة الحالية هي التحرر من الاستعمار بأشكاله المختلفة التي تبلغ اعلى درجة من الحدة على ارض فلسطين ٠ ثم الا يوافقنا الرفاق ان نقل مستوى الصدام مع الاستعمار الى درجة الصدام المسلح ، والملتزم بأن يكون هذا الصدام جماهيريا ، وما يترتب على ذلك من تسليح الجماهير ، وتنظيمها ، **الا يوافقنا الرفاق ان هذا الوضع هو انسب الاوضاع للجماهير المناضلة من اجل مطالبها الاجتماعية ؟** لقد دلت احداث السنوات الماضية على صحة ذلك ، واكدته ٠ ان مؤمرات الاستعمار وعملائه المتتالية التي تهدف الى تصفية البندقية الجماهيرية وفكرة الكفاح المسلح ، تؤكد ايضا صحة هذه الفكرة ٠

## ثانيا : الانتصار على «اسرائيل» ، وعلاقة الجماهير اليهودية بالايديولوجية الصهيونية :

تستمر الملاحظة السابقة في اننا «نحلم بالانتصار ·· بدون فصل حقيقي بين الجماهير اليهودية المستغَلة في اسرائيل والايديولوجية الصهيونية» (المسيطرة عليهم حاليا) (ص ١٠ من خطاب المحاكمة) · **الملاحظة غامضة للاسف** ، ولذا نتساءل ونوضح:

١ ــ نحن نفرق بين الصهيونية كحركة استعمارية عنصرية وبين اليهودية كدين ، واليهود كيهود · ما هو المطلوب منا على وجه التحديد لكي يمكن ان نفصل الانسان عن ايديولوجيته اكثر من ذلك؟ عندما يتعلق الامر بايديولوجية فئة من الناس ، فان الرؤية الفكرية اي التحليل الفكري لهم هو ايضا المقياس · ونحن نعرف جيدا ان الايديولوجية الصهيونية مسيطرة حاليا على الجماهير اليهودية في الوطن المحتل ، لذا نحن **نشن نضالا** على مختلف الساحات وبمختلف الاساليب ضد الصهيونية ، وهذا في رأينا ليس هو **السبيل للقضاء على الصهيونية كعدو مغتصب لنا فحسب ، وانما ايضا لتحرير اليهود من هذه الايديولوجية ·**

٢ ــ نحن نتصور انتصارنا النهائي ، بأنه انتصار على الاستعمار والاغتصاب والعنصرية والعرقية اي على الصهيونية ككيان فعلي له اجهزته ومؤسساته (التي تضم اغلبية البالغين من النساء والرجال للاسف) ، ولا يمكن ان يتطرق شك في **ان تصورنا للانتصار ليسهو بأي حال القضاء على هؤلاء الرجال والنساء ولكنه بفصلهم عن هذا الكيان وبضم جهودهم الى جهودنا ضده·** هل يعتقد الرفاق ان في امكاننا في المرحلة الحالية ، بل وفي المستقبل ايضا ، **ان نفصل بين الانسان والبندقية التي يقاتل بها ضدنا ، وكيف يمكن ذلك ؟**

٣ ــ مع الفارق في الظروف والتشبيه ، هل كان من الممكن

لقوى الانصار في الحرب العالمية الثانية ان تفصل بين ملايين «العمال» الالمان الذين جندتهم النازية في جيوشها وسيطرت عليهم بفكرها ، ان تفصل بين هؤلاء وبين الدولة النازية ؟ ان السبيل الوحيد لتحقيق هذا الفصل بطريقة ثورية ، وليس على طريقة فصل القوات على الجبهات بعد حرب اكتوبر ـ تشرين الاول ، يكون بالقضاء على الصهيونية ومؤسساتها · **يكون بأن تنفصل فعلا الجماهير اليهودية عن الصهيونية ·**

## ثالثا ـ الفصل بين الصهيونية والرجعية (العربية) :

تستطرد الملاحظات النقدية الواردة في خطاب المحاكمة فتقول بعدم قدرة المقاومة وبالاخص حركة «فتح» على حل المشكلة الفلسطينية لانهم «يرون انه من الممكن الفصل بين النضال ضد الصهيونية من جهة وضد الرجعية (العربية) من جهة اخرى ، منتظرين النضال ضد الرجعية الى مرحلة لاحقة» · (١) **ولسنا ندري من اين جاءت هذه الفكرة** ، وكيف انطبعت لدى الرفاق ، الا ان يكونوا قد فسروا الحاحنا على توجه كل البنادق نحو العدو الصهيوني ، بمثل هذا التفسير الذي قدموه · سنحاول فيما يلي ان نوجز افكارنا حول هذا الموضوع ·

١ ـ اوضحنا فيما سبق تصورنا للعلاقة بين الثورة الفلسطينية وبين الثورة العربية · وحين نقول «ثورة» فاننا نعني كافة ابعادها واوجهها القومية والاجتماعية والثقافية ·· الخ ·

٢ ـ ان التناقض الرئيسي الذي يحكم المرحلة التاريخية الحالية للامة العربية كلها هو التناقض بين هذه «الامة» وبين الاستعمار وقاعدته الصهيونية ·

---

١ ـ رامي ليفنه ، المصدر السابق ، ص ١٠ ·

٣ ـ انه لهذا ترىقوى الثورة الفلسطينية وعلىوجه الخصوص «فتح» ضرورة «التوجه الكلي نحو ساحة فلسطين» (١) ··· (اي ضرورة التوجه الكلي نحو مركز التناقض الرئيسي) ، ذلك ان «الوجود الصهيوني هو جذر امراضنا وليس نتاجا من نتائجها»(٢)·

٤ ـ و«فتح» ترى «ان التوجه نحو فلسطين ، **ان اشعال المعركة في الارض المحتلة محك لا يخطىء ابدا ، وميزان صادق حتما يميز الخائن العميل من الوطني المخلص ·· (٣) · ذلك انه عندما يكون الحديث عن تحرير فلسطين كلاما يذاع وبيانات تصدر فان الفئات العميلة اقدر على تنميق العبارات من القوى الثورية (٤) ···** كذالك كان لا بد من اتباع اسلوب حرب التحرير الذي لا يستطيع الاستعمار والصهيونية ان يفشلاه **والذي يستطيع ان يعري العملاء والخونة** » (٥) · (التأكيد لنا) ·

٥ ـ ان تحاشينا الدخول في معارك جانبية ، نابع من قناعاتنا بان الاستعمار والصهيونية وعملاءها يسعون على الدوام لحرف اتجاه النضال عن وجهته التاريخية الصحيحة ، وانحراف الجماهير العربية في معارك جزئية تغطي وجه العدو الرئيسي ، وتشتت القوى التي يمكن ان تتوحد في النضال ضده · خصوصا بالنسبة لقوى الشعب الفلسطيني المشتت عمليا على اراضي بلاد عربية عديدة ، وهو ما حدث بعد نكبة ١٩٤٨ ·

٦ ـ ان اعلان « فتح » عن **عدم تدخلها** في الشؤون المحلية للبلاد العربية نابع من وعيها **انها ليست بديلا للقوى الثورية في**

---

١ ـ فتح، دراسات وتجارب ثورية، من منطلقات العمل الذاتي، ص١١ ·
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢ ·
٣ ـ المصدر نفسه ·
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣ ·
٥ ـ المصدر نفسه ، ص ١٦ ·

« **البلد المعين** ، تاركة محاسبة الخونــــة والعمــلاء والرجعيين الى جماهير **كل** بلد وقواه الثورية · ولو ان « فتح » تبنت غيـــر هذه الخطة لادى ذلك الى حـــرف اتجاه البنــادق الثوريـــة ، وتشتت قواها · **كما كان يمكن ان يؤدي الى اجهاض المبادرات الجماهيرية لكل بلد** · ان رفضنا للوصاية عـــلى الارادة الجماهيرية ينسحب ايضا على اي فكرة تحاول ان تجعلنا نفــرض وصايتنا على ارادة الجماهير العربية في اي بلــد عربي آخر · **ولا يعني ذلك ان كلا منا يعمل بانعزال عن الآخر ، وانمــا نحن نسعى عــلى الدوام «للتنسيق مع القوى الثورية العربية »** (١) · ( التأكيد بالحرف الاسود لنا )·

**٧ ـ ان كل ذلك لا يعني ، اننا لا نملك احكاما وتقييمــا للقوى العربية المختلفة الحكومية منها والجماهيرية ، الرجعيـــة منها والتقدمية ، وانما هناك فارق بين ان نعـــرف وبين ان نعلن · بين ان يكون لدينا تقييم واضح للقــوى ، وبين الدخول في معارك غير ناضجة معها ·**

**رابعا ـ العلاقـــات بين قيادات المقاومة والحكومات الرجعية في المنطقة :**

تشير الملاحظة « د » من خطاب المحاكمـــة ، اشارة طويلة الى علاقات قيادات المقاومة بالبرجوازية العربيـــة ، و « الحكومات الرجعية » الخ ···

هذه الملاحظة تفصلية جدا ، فهي تتعلق بموقف « افراد » هم قيادات المقاومــة ، وننقل لكم هنا ما تقدمــه فتـــح في وثائقها :

**« وثقوا ان « فتح» لا تحتج بالرصاصـــة الاولى لتكريس زعامتها لشعب فلسطين : ان الزعماء الحقيقييـــن لشعب فلسطين هم قواد**

..........

١ ـ المصدر السابق ، ص ١٣ ·

**حرب التحرير الذين يدكون حصون تل ابيب » (١) ٠**

ومع ذلك يهمنا ان نؤكد مرة اخرى على الحقائق التالية :

١ ـ ان الحركة الثورية الفلسطينية ، لا يمكن ان تتحرك في انعزال عن الواقع العربي الرسمي والجماهيري ، فقضية فلسطين هي كما ذكرنا قضية العرب جميعا ، ومحور نضالهم ضد الاستعمار (٢) ٠

٢ ـ ان رفضنا للوصاية الرسمية العربية على الارادة الحرة الثورية الفلسطينية **لا يعني انفصالا عن هذا الواقع العربي** ، كما ان « تحاشينا الدخول في معارك جانبية او تدخلنا في المشاكل المحلية للدول العربية » ليس الا تجنبا لحرف اتجاه بنادقنا ٠ كما انه السبيل للاحتفاظ باستقلالية وتمايز موقفنا وعدم تورطنا في مواقف ذيلية ٠

٣ ـ ان الواقع الحكومي العربي ، **هو في كل وقت محصلة صراع القوى الداخلية لهذا البلد العربي او ذاك** ، وهو واقع لا بد متغير مع تزايد ونمو النضالات الجماهيرية ، وازدياد حدة التناقضات الداخلية ٠ ولما كانت معركة تحرير فلسطين طويلة الامد ، فان انماطا من النظم والحكومات العربية ستتبدل عبر مرحلة التحرير ونحن نثق ان استمرار النضال المسلح هو الكفيل بالاسراع بسقوط العميل والخائن منها ، بل وكشف مدعي الوطنية بينهما ٠

٤ ـ ان منطلقات فتح تحدد بالنص ما يلي : « **ان القيادات تتغير والحكام يتبدلون والدول تتلاشى ولكن الجماهير باقية بقاء أزليا ولا يمكن لنا بأي حال من الاحوال ان نعتمد العناصر الزائلة**

.... . . . . .. . . . . .

١ ـ المصدر السابق ، ص ١٩ ٠

٢ ـ حول بروز دور النظم وتأثيرها في قضية فلسطين ، راجع جذور القضية الفلسطينية لاميل توما ، دراسات فلسطينية ٠

**في معركة مصيرية مثل هذه وان كنا ندرك ان هـذه العوامل الزائلة لها فعلها واثرها الايجابي ولكن الى حين » (١) ٠ (التأكيد لنا )**

٥ ـ اننا في كـل الاحوال ، **لا يمكن ابـدا ان نسوى بين « الكيان الصهيوني » ، وبين اي نظام عربي مهما بلغت درجة ارتباط هذا النظام العربي بالامبريالية** ٠ اذ اننا لا يمكـن ان نسوي بين مركز التناقض الرئيسي وهو الاستعمار بأعـلى درجة الاستيطانية الاجلائية « اسرائيل » وبين « نظام عربي » يستغـل الجماهير ولكنه على اي حال لا يطردها ، ولا يغير طبيعة ارضها ، ولا يؤدي النضال ضده الى تصفيته كما يجب ان يصير مع الكيان الصهيوني ، وانما الى تغيير طبيعة علاقاته كما يمكن ان يصير مع اي نظـام عربي ٠ ولكي نزيد الامر وضوحا فاننا نأخذ جانبا من نضالنا التحريري : **نحن مع الوحدة العربية ، اي وحدة عربية ،** ( ونعتقد ان هذا ايضا هو موقف اللينينية التي تؤكد على عـدم معارضة بل وتأييد كل عمليات التوحيد حتى لو قامت بها قوى رجعية لان ذلك سيؤدي الى توحيد طاقات الجماهيـر في وجـه مستغل واحـد وسلطة قمعية واحدة ) ٠ **ولكننا طبعا ضـد اي تنازل او اي شكـل من اشكال العلاقات مـع « الكيان الصهيوني » الـذي نناضل من اجل القضاء عليـه ٠**

لا يعني ذلك اننا لا نناضل ضد ارتبـاط هـذا النظام او ذاك بالاستعمار وعلى كل الساحات ، **كما لا يعني اننا « نؤجل » النضال** ضد هذه الارتباطات ٠ ولكن الفرق يكمن في ان استمـرار الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني ، من شأنـه ليس فقط دعم النضالات المختلفة ضد كافة اشكال الاستعمار في كـل بلد عربي وانما يعني

---

١ ـ بيان التوقيت ، منطلقات العمل الفدائي ، فتح ، ص ٢٦ ٠

ايضا ، « **كشف زيف المدعيين بالوطنية في البلاد العربية** » (١) ٠ اي ان الحلقة الرئيسية للنضال ضد الاستعمار في الامة العربيـــة هي النضال ضد الكيان الصهيوني من اجل القضاء عـــلى مؤسساته المختلفة ، من اجل القضاء عليه ٠ هـــــذا النضال الذي يرفع حدة الصدام مع الاستعمار عــــلى كـل الساحـــــة العربية وبمختلف المستويات ٠

**ان نظرية التسوية بين النظم العربيـــــة والمرتبطة بالاستعمار وبين** « **الكيان الصهيوني** » راجت مؤخـــرا بأكثر مما كانت عليه قبل حرب اكتوبر ( تشرين الاول ) ، واستند مروجوها عـــلى تزايد نفوذ الولايات المتحدة في المنطقـــــة العربية ، وحـــــاول البعض تصوير رحلات كيسنجر انها « ضغط امريكي » على ( اسرائيل ) ٠ وواضح ان مثل هـــــذا المفهوم **لا يؤدي الا الى تشتيت الجهـــــود الثورية المعاديةللكيان الصهيوني ( قلب الاستعمار ) كما انه يخفي الطبيعة اللاتاريخية لهذا الكيان** ، مفترضا انـــه « كيـــان » له « موقعه » في « الحركة التاريخية » وبالتالي يمكــــــن تغيير طابعه بالقضاء على « ارتباطاته » بالاستعمار وبقائه هو ٠ **فهـــل هذه النتيجة صحيحة ؟ كلا طبعا** ٠٠ والا فمـــــا معنى ضرورة القضـــــــاء عـــــلى الكيان الصهيوني ؟ (٢) ٠

**خامسا : اعمال ارهابية ضد مواطنين ابرياء (!!)**

تقول الملاحظـــــة بالنص : « اذن فان الاعمال الارهابية ضد

---

١ ـ المصدر السابق ٠

٢ ـ ان التسوية بين الكيان الصهيوني ، واي كيان «عربي» هي المدخل الذي يؤدي الى اقتراحات «تصفوية للنضال ، من طراز «التعايش السلمي بين كيانين احدهما «اسرائيل» والاخر «فلسطين» ، ومن طراز «حق تقرير المصير للاسرائيليين» !! ٠٠٠ الخ ٠ اي هي في النهاية تبرر استمــــرار الكيـــان الاغتصابي على رقعة من ارض فلسطين ٠

مواطنين ابرياء تساهم في ابقاء ، بـــــل زيادة الكراهية والخوف المتبادلين بين الشعبين العربي واليهودي ـ وذلـــك بالاضافة الى انها تشكل جرائم بحق بعض المواطنين ووسائـل سيئة لكسب الدعم والتأييد » (١) ٠

هذه الملاحظة تفتح بابا واسعا وأليما في الحـــوار ٠٠ فنحن لسنا « مثاليين » ، ونعرف ان « **الوعي** » **بالظاهـرة ، لا ينفي تماما مشاعر الانسان ، في حال تناقضها معــــه ، لذا يجب ان نؤكد على الحقائق التالية :**

١ ـ انه في حال نشوء قتال فان المسئوليـــة في هذا القتال ، ليست ولا يمكن ان تكون متساوية بين اطرافــــه ٠ وانه لا بد من تحديد المسئولية في هذه الحــــرب على طرف من الاطراف ٠ وقد حددت انت يا رفيق في خطابك مسئوليـة « الاستيطان الصهيوني » الذي خلق « **حلقة من العنف والكراهية لانها بنيت عـــلى الدمـــاء والفظائـع** » ٠

٢ ـ **ترى من هم المواطنون الابرياء ؟** تساءلنا مـــــن قبل من **هو الصهيوني ومن هـــو غير الصهيوني ؟** ٠ وخلصنا الــى ان غير الصهيوني هو ذلك الذي يناضل فعلا ضد الصهيونيـة ٠ كيف يمكن ان نميزه ؟ الا بنضاله ، بمواقفه العمليـــة ٠ وحتى في حالتنا هذه ( كما في حالة اي حرب حيث يوجد بعـــض المعارضيـــن لاهداف جيوش بلادهم ضمـــن صفوفها ) فاننا لا بد ان نوازن بين ان نكف عن القتال ، ويستمر العدو في قتلنا ، وبين ان نقاتل الذين اغتصبوا ارضنا فتقع بعض الخسائر المؤلمة التي لسنا مسئولين اصلا عن خلق ظروف وقوعها ٠

اننا نتوقع ، مع تصاعد النضال المسلح وتزايد اشتراك فئات من الجماهير اليهودية معنا في القتال ضد الكيان الصهيوني ، ان

---

١ ـ رامي ليفنه ، المصدر السابق ، ص ١٠ ٠

نصل عبر ممارسات مشتركة « عملية » الى مزيد من تحديد الاهداف المؤثرة التي توفر علينا الجهـــــد ، وتوفر على الجماهير اليهودية المعادية للصهيونية الخسائر ·

٣ ـ اننا لا نوافق على « **الانتقائية** » في تقييم اعمال العنف · فنقول مثلا بأن حرب اكتوبر (تشرين) مبررة وعادلـــة ، بينما معركة فنـــدق سافوي/في تل ابيـــب « ارهابيـــــــة » · ربمـــا احتلت عمليـــة فندق سافوي موقعا افضل واكثـــر تأثيـــرا في الحركة التاريخية · فحرب اكتوبر ( تشرين ) حرب نظامية حملت معها كل بصمات وتأثيرات القوى الحكوميـــة العربيـــة والدولية ، وبرغم اشتراك الجماهير العربية فيها بأبنائها ، فانها ظلت حربا **نظامية** ، اما عملية « فندق سافوي » فهي حلقة من حلقات نضالنـــا المشروع والعادل من اجل تحرير فلسطين ، خاليـــة من كل اثر للوصاية ، او التبعية الحكومية ، موجهة مباشرة لاحدى المخافر الامامية للكيان الصهيوني · حرب اكتوبر ( تشرين ) كانت محـــدودة ، اما عملية فندق سافوي فهـــي على الطريـــق الـــذي ينتهي بالتحرير الكامل لفلسطين · لسنا نظن اننا في حاجـــة للاستطراد ، ان مثل هذه لاعملية لا يمكن ان توصف بأنها ممارسة « شوفينية قومية برجوازية صغيرة » ، ولا بأنها « اعمال ارهابية » · اما في التفاصيـــل فان الحقيقـــة التي يجب ان نبرزها هي انـــه حتى في « عملية فندق سافوي » لم يسع المناضلون الى قتل الناس بشكل عشوائي ، وانما هم سعوا الى استبدال رهائنهم برفاق لهم أسرى في سجون العدو ، ولكن الغطرسة الصهيونية العنصرية ، أبت الا ان تقتـــل الجميع ، تماما كما حدث في ميونيخ ، وفي عملية مطار اللـــد وفي العمليات المشابهة الاخرى ، وكلها تكشف ان الكيان الصهيوني يفضل الحفاظ على سطوة قمعـــه على ان ينقذ حيـــاة حتى « مواطنيـــه » · **ان هـــذه العمليـــات تكشف بوضـــوح ان المؤسسات الصهيونية تتاجر بارواح اولئك الذين ضللتهـــم فجندتهم لاغتصاب اراضي**

**شعـــب آخر • كمـــا تكشف بوضوح ايضا ان انسانية الثوار (١) كانت على الدوام « ثغـــرة » يحـاول منها العدو قتلهم وقتل من معهم •**

★★

اخيرا ، لعلّنا ، ايها الرفاق ، قد استطعنـــــا ان نوضح قدر الامكان ردنا على ملاحظاتكم •• ونكرر اننا لا نخشى هذه الملاحظات وغيرها ، لاننا لا نخشى النقد ، ولكـــــن كما لاحظتم ، فان بعض ملاحظاتكم ناشىء عن اختلاف حول افكار اساسية ( سنناقشهـــا في الفصول التالية ) ، والبعض الآخر اما تفصيلي ، واما ناشىء عن سوء فهم سببه عدم وجود ممارسة مشتركة •

اننا كحركة ثورية ، لا نتوقع كمـــــا ذكرنا سابقا ، ان تنجح افكارنا وتنتقل بسهولة ، ونعلم ان علينا ان نبذل الكثير من الجهود والتضحيات ، وان نتخطى كثيرا من الصعاب ، والا نكون «مثاليين» لدرجة ان نطلب من الآخرين « التجرد » مـــن ظروفهم الموضوعية ، ولا « واقعيين » لدرجـــة ان نترك انفسنا لمرارة واقـــع جماهيرنا الـــذي تشهدون انتم كم تعاني ، وكـــم هـــي صامـــدة في الوقت نفسه •

**ولكننا نعرف ان القتـــال ، والقتـــال وحـــده ، وبالذات القتال المشترك ضد العدو الواحـــد ، هـــو السبيـل لتقريب النظرة الى**

---

١ ــ في عملية فندق سافوي قبل المناضلون وقف النار في الساعة الثانية والنصف صباحا حتى تتاح الفرصة للعـدو لتقريـر قبـول مطالبهـم • وفي الخامسة والنصف صباحا اقتحم العدو الفندق بعد ان استقدم خيـرة فرقـه المدربة على الاقتحام من خارج تل ابيب، اي ان العدو قد استغل فترة «الهدنة» لتقوية قواته تماما كما يفعل وفعل في كل هدنة معه •

الواقع والمستقبل ، هو السبيل الى الحوار الاكثر صراحة ، والفهم الاكثر عمقا ••

كما اننا نعرف ، ونرجـو ان تشاركـــونا هــذا الرأي ، ان الخلاف على تقييم «ممارسة» لا ينفي الاتفاق على الاهداف العامة ، وانه في حال توفر هذا الاتفاق فان واجب الثوريين هو البحث عن كل موقف مشترك ممكن •

كما ان الاكثر وعيا هو المسئول عن ان يكون اكثـر جهدا من اجل المواقف المشتركة •

# الفصل الثاني

## مدخل

# فلسطين والتجمع الإسرائيلي وحركة التاريخ

السنوات العشر الماضية من النضال المسلح ضد الكيان الصهيوني ، انهت فترة كاملة سادت فيها مفاهيم صهيونية مضللة عن التجمع الاسرائيلي ، ارتدت مسوح الماركسية والتحليل المادي العلمي ..

فمنذ ١٩٤٨ ، وعندما اعلن عن قيام الكيان الصهيوني ، اعترفت الحركة الشيوعية وقتذاك « بقرار التقسيم ودعمت مشروع خلق دولة اسرائيل على انها تجسيد لحقوق الاسرائيليين القومية » (١) . وكان لا بد تبعا لذلك ان تنشأ وتبنى نظريات

---

١ ـ حديث مع الماهفاك (النضال) ـ التنظيم الذي ينتمي اليه الرفيق رامي ليفنه المتهم الاول في قضية الجبهة الحمراء .

فكرية عن ما يسمى بالتناقضات « الداخلية » ، وعـــن « القومية الاسرائيلية ، او اليهودية » · وعبرت هذه النظريات عن نفسها في التحليلات السياسية اليومية ، التي تحدثت عن « الطغمة العسكرية الاسرائيلية » او « العـــــدوان الاسرائيلي » او « الرغبة التوسعية الاسرائيلية » الخ · وكلها كما هو واضح تنطلق من الاقرار بوجود ما يسمى « باسرائيل » الا انها «دولة عدوانية رجعية مرتبطة بالاستعمار» ··· مما اخفى لسنوات طويلة طبيعتهـــا الحقيقية ككيان مصطنع محتوم الزوال ·

ومما ساعد عـــلى استمرار هــــذه النظريات غياب الدور الفلسطيني المتمايز في النضال او الصدام ضد هذا الكيان ما سمح للصهاينة ان يصوروا صراعات المنطقة على انها صدام « عربي ــ اسرائيلي » ، دون ذكر كلمة فلسطين ·

ورغم ان الصدام فعلا هو صدام عربي من جانب واستعماري صهيوني من جانب آخر ، الا ان اغفـــال ذكر اسم فلسطين ، كان يهدف الى تثبيت الكيان الصهيوني كطرف اصيل في الصدام ··· كأن يكون ضئيلا صداما « عربيا ــ امريكيا » ، او صداما « جزائريا ــ فرنسيا » ، وهو صدام لا تكون نتيجته في النهاية القضاء على احد الاطراف ، وان تغيرت موازين العلاقة بين الطرفين ·

لقد سمــح تبرير قرار التقسيم وغيـــاب النضال الفلسطيني المسلح لمنظري الصهيونية ، ومن تسموا باسم «اليسار الاسرائيلي»، الى تصوير ان « اسرائيل » مجتمع وظاهــرة تاريخيـــة لها قوانين حركتها ولها ماض ومستقبل ·· واستنتجوا مـــن هذا المنطق نتائج خاصة عن امة اسرائيلية في طريق التكويـــــن ، او مجتمع قومي يهودي في اسرائيل ·· الخ ، وهي نتائج لا تؤدي الا الى هذا الكيان المصطنع ·

ثم انطلق النضال المسلـــح الفلسطيني ، ونما عبر السنوات العشر الماضية ، اثمر اول ما اثمر سؤالا ملحا امام الجميع : مـــن الذي يحتل موقعا اصيلا في التاريخ ؟ فلسطين ام الكيان الصهيوني

المسمى « اسرائيل » ؟ وبرزت عـــلى السطح افكار جديدة داخل وخارج الارض المحتلة ، داخل وخــــارج صفوف القوى الملتزمة بالماركسية ورؤيتها وتحليلاتها • افكار ترى ان القضاء على الدولة الصهيونية هو « الحل التاريخي » للتناقض القائم ، وتوافق على ان دولة فلسطينية ديمقراطية هي نتاج هذا الحل وهي الهدف الذي يجب النضال في سبيله •••

والمتتبع للافكار المتداولـــة بين القـــوى المناصرة للثورة الفلسطينية الآن ، بل وبين القـــوى المساهمة معها بالنضال ، او المعارضة لها ، يلاحظ بوضوح اثر السنوات العشر الماضية في تطور هذه الافكار واقترابها اكثر فأكثر مـــن التصور الصحيح للقضية كلهـا •••

الا ان ذلك لم يفت على منظري الصهيونيـة ايضا ، خصوصا بعد حـــرب تشرين ـ اكتوبر ، فبدأوا بتغيير بعـــض الشعارات ، وحاولوا ارتداء اثواب المعارضين الفكرية ، ولكنهم في كل الحالات سعوا وما يزالون ، الى تثبيت بعـــض المنطلقات الفكرية الجوهرية الخاطئة والى ترويجها • وفي ظل ظروف يخيم فيها شبح « تسوية دولية » للقضية هدفها تثبيت حـــدود ووجود الكيان الصهيوني ، يكون لزاما علينا الا نكتفي باللقـــاءات السياسية ، او اللقاء حول الهدف الاستراتيجي الخاص بدولـــة فلسطين الديمقراطية ، وانما يجب ان نوضح اكثر مـــن اي وقت مضى الجـــذور الفكرية لهذه اللقاءات وان ندعمها بمزيد من الحوار مـــع الاصدقاء ، وتشديد النضال ضد اضاليل الاعداء •

**ومن الممكن ان نلخص الافكار الجديدة ••• ( بعضها قديمة لم يصف بعد ) فيما يلي :**

١ ــ ان هناك « مجتمعـــا » اسرائيليا ، تمايز عبر السنوات الماضية ، واصبحت له تناقضاته الداخلية ، وقوانين حركته الخاصة

يه (١) والتي خلقت امة اسرائيلية في طريق التكوين ٠

٢ ـ ان هذا المجتمع «مجتمع قومي وليس ديني» ، اي ان هناك امة اسرائيلية (٢) ٠

٣ ـ ان هـــذا المجتمع « مجتمـــع طبقي » مرتبـــط بالسوق الرأسمالية العالمية ، تعاني فيه فئات واسعة من الكادحين الاستغلال الاقتصادي والكبت الاجتماعي كما هو الامر في اي مجتمع رأسمالي آخـــر (٣) ٠

٤ ـ ان تناقضات هذا المجتمع الداخلية يحكمها تناقض خارجي حاد بين هذا المجتمع والدول العربية المحيطة (٤) ، وان هذا الصراع الخارجي يكبت التناقضات الداخلية ٠

٥ ـ ان الصراع في المنطقة هو صراع قائم بشكل افقي بين قوميتين مختلفتين (٥) هما القومية العربيـــة الفلسطينية والقومية اليهودية ٠

٦ ـ ان هناك طبقة عاملة اسرائيلية ، «بروليتاريا اسرائيلية» ، وان هذه الطبقة وان كانت غير ثورية بسبب سيطـرة الايديولوجية الصهيونية الآن الا انها يمكن ان تغير موقفها في المستقبل (٦) ٠

٧ ـ ان انطلاقة ثورية عربية شاملة ، ستفقـد اسرائيل حظوتها عند الامبريالية اذ تصبح بلا فائدة ، وستعرضها لتحديات جماهيرية من الداخل (٧) ٠

---

١ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، حاييم هانجبي واخرون، ص ١ ، وايضا حديث مع الماهفاك ٠

٣،٢ ـ رامي ليفنه ، المصدر السابق ، ص ١٠ ـ ١١ ٠

٤ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، ص ٢ ٠

٥ ـ حديث خاص مع مجموعة الماهفاك ٠

٦ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، ص ٤ ٠

٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٩ ٠

٨ ـ ان النضال يكون فقط على اساس تحالف الشغيلة العرب واليهود ضد ما يسمى بالبرجوازية العربية واليهودية (افتراضا ان هناك برجوازية يهودية ) (١) ٠

٩ ـ ان هذا المجتمع الاسرائيلي « مجتمع خاص » والطبقات فيه « طبقات خاصة » ، وانه لا يمكن تطبيق القوانين الاكاديمية عليه، كما تطبق على المجتمعات الرأسمالية الاخرى (٢) ٠

كل ما سبق من افكار ، وما يتفرع عنها من سياسات وتكتيكات ومواقف ، هي في الحقيقة افكار خاطئة ، ومن الممكن تحديد جوهر الخطأ في ثـــلاثة نقاط : **التاريخية ، والقومية ، والطبقية** ٠ وكما سبق ان ذكرنا ، فان بعض هذه الافكـــار يردده مخلصون يؤمنون بالقضاء على الكيان او الدولة الصهيونيـــة ، كما يردده مغرضون يهدفون الى حـــرف النضال وتشتيتـــه ، وتبرير استمرار الكيان الصهيوني وتثبيته ٠

وقبل أن نبدأ في الحوار حول هذه الافكـــار الثلاثة (٣) يجب ان نضفي فكرة خطيرة تساعد على الدوام لقطع الطريق على تطبيق القوانين العلميـــة على الظاهـــرة الصهيونيـــة ، الا وهي فكرة **الخصوصية** ٠

---

١ ـ خطاب الرفيق رامي ليفنه ص ١٢ والبيان المشترك بين الماتصبن الاسرائيلي ومجموعة التجمع الشيوعي الثوري (لبنان) ٠

٢ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، ص ٢، وايضا الماركسية والدولة الصهيونية للكاتب اديب ديمتري ٠

٣ ـ نظرا لان الحوار يدور اساسا مع الجماعات التي تعلن التزامها بالماركسية اللينينية ، فان الحوار في اغلبه سيدور اعتمادا على المفاهيم العامة للماركسية واحكامها ٠

## القسم الاول

### بين الخصوصية وعنصرية الفكر الصهيوني :

١ ـ ان خطر حجة الوضع الخـــاص ، او الطبيعة الخاصة ، لظاهرة ما ، هو انها تساق لقطع الطريق على اي محاولة استقراء علمية تاريخية للظاهرة بحيث يمكن بعد ذلك رفــض النتائج المتوقعة سلفا وتبرير الواقع اللاتاريخي ومحاولة تثبيته ·

٢ ـ ان القول بخصوصية « الكيان الصهيوني » و « طبقاته » يلتقي في الجوهر مع فكرة الصهيونية العنصريــة ، عن خصوصية العرق اليهودي ويساهم في تبرير اقامة دولة لهم ·

٣ ـ ان التحفــظ بالخصوصية يرفــض كل محاولة لتطبيق القوانين العلمية على ما يدور داخل الكيان الصهيوني او « التجمع الاسرائيلي » ، ويؤدي الى تفريغ المصطلحات العلمية من مضمونها المتفق عليه ، مثل الحديث عن « الطبقة » او الصراع الطبقي ، ثــم هي ليست طبقة بالمعنى المفهوم عامة والصراع الطبقي ايضا لا يؤدي الى ما يؤدي اليه في المجتمعات « الكلاسيكية » (!!) على حد تعبير كتاب « الطبيعة الطبقية في المجتمـــع الاسرائيلي » · هي اذن حجة لاغلاق باب الحوار العلمي عند اي منعطف ·

٤ ـ ان من المسلم به ان لكل ظاهرة سماتها الخاصة ، ولكــن هذه السمات ليست خارج اطار وقياس القوانين العامة للحركـــة التاريخية · وعندما نتناول ظاهرة ما ، فاننا نتناولها ضمن الظواهر المحيطة ، والظاهرة الكلية العامة في حركتها التاريخية ونستخلص قوانينهاالخاصة لحركتها ، حتى وان برزت خصوصيتها في مرحلة من الزمن · وبغير ذلك نقع في «الذاتية» ، وفي منهج «الاختيـــار» للموضوع الاقتصادي المعين وصياغة المقالات الاقتصادية بمعزل عن المجرى التاريخي «للعملية الاقتصادية» ·

٥ ـ ان التذرع «بالخصوصية» يؤدي الى الوقوع في «المثالية» اذ يخرج الظاهرة المعنية بالدراسة من دائرة البحث عن قوانين حركتها ، وتكون بذلك خارج الدائرة المادية للنشاط الانساني ، خارج التاريخ • يقول انجلز في «انتي دوهرنغ» ان المادية المعاصرة ترى في التاريخ عملية تطور الانسانية ، اذ ان مهمته هي اكتشاف قوانين الحركة لهذه العملية •

ـ ان التمسك بالمعنى العلمي للمصطلحات المستخدمة في التحليل الفكري (مثل طبقة ، وامة ، وقومية ، وتاريخ ، وصراع طبقي •• الخ) ليس من قبيل التشنج الشكلي حول الالفاظ وانما هو محاولة للوصول بالحوار الى نتائج عملية وتطهير الافكار من البصمات الصهيونية العنصرية • وقد اثبتت السنوات الماضية ان التهاون في ابسط المفاهيم يؤدي الى تضليل وحرف نضال الجماهير بل الى المساهمة في قمعها فكريا وعمليا •

٧ ـ اخيرا يقول لينين متحدثا عن دور الطوائف المنبوذة من السكان في محاربة العداء ضدها بأن تكف عن ان تكون جسدا غريبا في الامة : «ذلك هو الحل الوحيد الممكن للمسألة اليهودية وعلينا ان نساند كل ما يساهم في وضع حد **للخصوصية** اليهودية» (التأكيد من عندنا) •(مقالة البوند في الحزب ـ لينين) •

هذه ملاحظات سريعة على حجة «الخصوصية» في الظاهرة الصهيونية • ولننتقل لمناقشة الافكار الاساسية المختلف عليها •

## القسم الثاني

### العملية التاريخية ، بين فلسطين والدولة الصهيونية :

يقول ف· كيللي ، وم· كوفالزون في كتابهما «المادية التاريخية»:

«ان المادية التاريخية تدرس العملية التاريخية ككل واحد والعلاقات المتبادلة بين جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة والقوانين العامة والقوى المحركة للتطور التاريخي · ان المادية التاريخية هي النظرية العامة للعملية التاريخية» ·

ويقول انجلز :

«ان الشيء الذي له اهمية عند ماركس هو اكتشاف قانون الظواهر التي كان يعنى ببحثها ولا تنحصر اهمية هذا القانون الذي يهيمن على هذه الظواهر عنده في حدود ما لها من شكل معين وعلاقات متبادلة ضمن فترة تاريخية معينة ، بل يزيد على ذلك اهمية عنده قانون تغيراتها وتطوراتها اي انتقالها من شكل الى اخر ، اي من سلسلة واحدة من العلاقات الى سلسلة مختلفة اخرى» (١) ·

ورغم وضوح هذه المفاهيم ، ورغم انها كانت السمة المميزة للفكر الماركسي عن غيره من الافكار الا ان هذا الجانب بالتحديد ، **جانب اكتشاف قانون حركة الظاهرة ، وموقعها من الحركة التاريخية** غاب عن المسرح طوال السنوات الماضية ، واعتبر معظم «المنظرين» وجود ظاهرة اسرائيل، كأنه تطور طبيعي للحركة التاريخية، وتناسى هؤلاء ان فلسطين ، «اي المجتمع الفلسطيني العربي» ظل ظاهرة متماسكة واضحة حتى عام ١٩٤٨ وانه بعد ذلك تحول الى مجتمع

---

١ ـ ماركس ، انجلز ، اعمال مختارة ، م٢ ، ص ٣٥ ·

«مستعمَر» حيث احتلت الارض ، وطردت الجماهير من فوق هـــذه الارض وحاولت الصهيونية والاستعمار طمس اسم فلسطين تمامـا حتى ساد الكثيرين مفهوم خاطىء ومضلل ، بان «اسرائيـــل» هي الظاهرة التاريخية المعنية بالبحث، سواء في قوانين حركتها او في مستقبل علاقاتها وتناقضاتها ٠

ورغم وضوح الرؤية التاريخية من جانبنا ، **اذ نرى ان فلسطين هي الظاهرة التاريخية الاصلية بينما «اسرائيل» ظاهرة مؤقتة ودخيلة،** الا انا مضطرون لتأكيد ما نعتقد انه بديهية ، وسنتعـرض للحجج الظاهرة او الضمنية الواردة سواء في احاديث بعض الاصدقاء ، او اضاليل النظريين الصهاينة :

١ ـ هناك قول ماركسي مشهور يقول : «لكي نفهم حقيقة ما ، لا يكفي ان نعرف اسلوب الانتاج الجديد ، بل من الضروري ايضـا ان نعرف **التاريخ السابق** الذي **تطورت** خلاله» (التأكيد من عندنا) ٠ من المؤكد انالتجمع الاسرائيلي الحالي ليس بأيحال تطورا للمجتمع العربي الفلسطيني الذي قام على الارض المغتصبة طوال مئات سابقة من السنين وكانت له قوانين حركته الخاصة به ، وعلاقاته الانتاجية المحددة ٠ وانما قام المجتمع الاسرائيلي على انقاض المجتمع العربي الفلسطيني وتشريد سكانه وهو بالشكل الذي قام به لا يزيد عن كونه ظاهرة مصدرة من العالم الاستعماري الى المنطقة العربية ٠ تماما كما يمكـــن ان تقـــوم الولايات المتحـــدة الامريكية بعملية انزال استعمارية ضخمة قوامها جيش تعداده مليونان منالجنود والمجندات وتقيم له قاعدة محاطة بالاسلاك الشائكة والمكهربة ٠

٢ ـ ان هذه الظاهرة ، «التجمع الاسرائيلي» ، ليس لها بأي حال تاريخ اجتماعي متمايز لا في فلسطين ولا حتى خارج فلسطين (بحيث يمكن تخيل هجرة جماعية واسعة من مكان الى اخر كما حدث في العصور البدائية) ،و لا هي امتدادا لحركة مجتمع متميز طورته تناقضاته الداخلية الى ما هو عليه الآن ٠ وانما هي جماعات بشرية

لا يجمعها سوى« الدين» ويفرقها الى حد **التمايز القومي** : اللغـة ، والتكوين النفسي ، والدور الذي تلعبه في الانتاج ، بل كان بعضها يستغل البعض الاخر في مجتمعاته السابقة ٠

٣ ـ ان الاقلام الصهيونية حاولت الحديث عن تاريخ فلم تجد سوى اساطير عمرها ألفي عـام وعقيـدة دينيـة مختلف على تفسيرها (١) ٠ ثم حاولت الحديث عن تاريخ اسرائيلي حديث (كأن ٢٥ سنة تصلح لان تكون تاريخا) وهي ما تزال تحاول ٠ صحيح ان الصهيونية نجحت الى حد ما في احياء اللغة التي ماتت (٢) واعطاء طابع خاص «للقاعدة» التي اقيمت ٠ ولكن هذا النجاح فضلا عن انه ليس شاملا ولا معجزة ، فانه لم يدم ولا يمكن ان يدوم لان تطـور الظاهرة الصهيونية الاسرائيلية نفسها يحتم فشل مثل هذه المحاولات المصطنعة لصنع التاريخ (٣) ٠ ويكفي ان نذكر ان تركيب المجتمـع البشري نفسه يتغير مع كل موجة هجرة من الخارج ، وهجـرة الى الخارج ٠ وان السلطات الصهيونية اضطرت عقب ١٩٦٧ الى التخلي عن برامج اعداد المهاجرين الجدد وصياغتهـم باللغـة والثقافـة المحددين ، قبل دمجهم ٠ وان موجات المهاجرين الشرقيين ما تزال تعيش بمثل الاحياء المغلقة التي كانت تعيش فيها قبل الهجرة٠٠ الخ٠ وكما ان هذا التجمع هو تجمع بشري غير متجانس ، فانه من الناحية الاقتصادية يمثل امتدادا لاعلى درجات النمو الرأسمـالي ، لاعلـى مراحل الاستعمار (سواء في ذلك مصـادر الدخـل او علاقـات الاستغلال ، او صراعات الاحتكارات) وهو من الناحية الفكرية يمثل

---

١ ـ لنذكر ان الخلاف ما يزال قائما حول تعريف من هو اليهودي ٠

٢ ـ لا تزال المؤتمرات الصهيونية العالميـة نفسهـا تستخـدم اللغـة الفرنسية والانجليزية خلال اجتماعاتها ٠

٣ ـ لا يمكن لمجموعة من الافراد ، او سلطة ما ، ان تصنع التاريخ ، وفق ارادتها ٠٠٠ !

ادنى درجات الانحطاط الفكري في تاريخ الانسانية (فكـــر فاشي عنصري هو انعكاس صادق للعلاقات الاقتصاديـــة الاحتكاريـــة العالمية) ٠

٤ ـ ان فكرة امكان تطور امة اسرائيلية على غرار تطور الامة الامريكية في امريكا الشمالية ، يرفضها الواقـــع التاريخي ، سواء للظاهرة الامريكية او للظاهرة الفلسطينية ويمكن تلخيص الفـــروق فيما يلي :

ا ـ ان مجتمعات الهنود الحمر كانت قـــد وصلت الى طريـــق مسدود في تطور علاقاتها ووسائل انتاجها، ولم تكن قد شكلت وحدة اجتماعية على رقعة متمايزة من الارض هي امريكا الشمالية مثلا ، بل كانت عند بدء الهجرة الى امريكا الشمالية مجتمعات بدائية مقضيا عليها بالفناء او العقم ٠ وهو ما ليس واقعا في حالة المجتمع العربي الفلسطيني الذي كانت ولا تزال له اطره المتمايزة التي هي جزء ايضا من المجتمع العربي الكبير الذي تحكمه قوانين موضوعية وتحركـــه تناقضاته الداخلية في الاتجاه التاريخي المحتوم لمثيله من المجتمعات ٠

ب ـ ان موجات الهجرة الى امريكا الشمالية كانت مجموعات من اولئك الذين ضاقت بهم سبل الحياة في ظل استبداد المجتمعات الاقطاعية في اوروبا ، ولم يجمع بينها ، لا الدين ، ولا المذهب ، ولا العرق ، ولا البلد ، ولا اللغة ، ولا اي رابط سوى دافع العثور على فرص جديدة للحياة ، او حياة افضل مما كانوا يعيشون وانهم كانوا في مجموعهم «طلائع» برجوازية هارية من قهر اقطاعي ٠ الامـــر بالعكس بالنسبة لموجات الهجرة الصهيونية الى فلسطين ٠ فهؤلاء الاخيرون جندتهم خطة استعمارية تهدف الى استعمار بلد وشعب اخر ٠ والاستعمار في سبيل انجاح خطتـــه حـــرص على ان يغلف الخطة بدعوة «عرقية عنصرية» جلبت السمة الواحدة للمهاجريـــن وهي «الدين» بغض النظر عـــن اختلاف الوضع والدور الاجتماعي السابق ٠

جـ ـ ان «التجمع الامريكي» الحديث بدأ بتراكم اولي للرأسمال، مستثمرا الثروات الطبيعية القائمة بينما «التجمع الاسرائيلي» قام ويعيش على الامدادات الاستعمارية القادمة من الخارج • واقتصر استثماره للثروات الطبيعية في فلسطين على ما اغتصبه من ارض «مستثمرة قبلا من سكانها الاصليين» •

٤ ـ لقد راهن مهندسو الصهيونية على عامل حقيقي وهـام ، ذلك هو امكانية ان تذوب الجماهير الفلسطينية في المجتمعات العربية المحيطة بفلسطين حيث انهم عرب ، وجزء من الشعب العربي ، ولكن الذي حدث ، ان قيام «الكيان الصهيوني» شكل نوعا من الاستعمـار المباشر المستمر للامة العربية كلها، وانه معتشرد العرب الفلسطينيين تولدت ، وكان لا بد ان تتولد ، مشاعر فلسطينية متمايزة ، وان هذه الجماهير الفلسطينية حملت معها حيثما ذهبت تحذيرا ماديا للعرب جميعا بالغزو الصهيوني لاراضيهم وهكذا تحقق موضوعيا توسيـع رقعة الصدام مع الاستعمار والصهيونية مـع تبلور الوعي العربي الفلسطيني بأهمية الارض وضرورة استعادتها • صحيح ان الوصول الى هذه النتيجة تطلب ما يقارب من السبعة عشر عاما من التخبـط والتشتت والتجارب العفوية الخاطئة ، ولكـن البداية الصحيحة انطلقت في النهاية على اي حال ، وذلك بانطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة •

٥ ـ ان السنوات الماضية من النضال المسلح ضـد الغـزو والاغتصاب الصهيوني ، قد استعادت الى حد كبير الاطار العـام للشعب العربي الفلسطيني ، بحيث ضعفت الى حد كبير ( ولا نقـول قضي عليها) آثار التشتت المفروض على هذه الجماهير ، وغيـاب الوعاء الاجتماعي اللازم لتفاعـل تناقضاته الاجتماعية • لقد تحقق للجماهير العربية الفلسطينية اطار عام هو الثورة المسلحة (الصراع ايجابيا ضد الغزو والاغتصاب) ، ومن المؤكد انه مع استمرار هـذا النضال المسلح ، فان علاقات ثورية ستحكم الفئات والجماعـات

المختلفة للشعب العربي الفلسطيني ، لتثمر في النهاية المجتمع العربي الفلسطيني التقدمي على الارض المحررة ·

٦ ـ ان المستقبل التاريخي «للتجمع الاسرائيلي» هو الزوال ، وذلك بانهيار الكيان الصهيوني وكافة مؤسساته (بفعل الثورة الشعبية المسلحة ضده) ، **ولا يعني ذلك ابادة المجموعات البشرية المشكلة له وانما يعني تحريرهم هم انفسهم من السيطرة والقمع الاستعماري** ، بحيث يحتلون مكانهم ضمن المجتمع العربي الفلسطيني وحسب علاقاته الاجتماعية بحيث يتحول دورهم (وبشرط مساهمتهم هم ايضا في عملية التحرير) من ادوات للقمع والاغتصاب في يد الامبريالية العالمية ، الى فئات ومجموعات بشرية ضمن مجتمع موحد يتمايز فيه الناس حسب دورهم في الانتاج واوضاعهم الطبقية لا حسب اديانهم واصولهم العرقية ·

●●●

## القسم الثالث

فلئن كان هذا هو الماضي والمستقبل التاريخيان « للتجمع الاسرائيلي» من ناحية ، والماضي والمستقبل التاريخيان للمجتمع العربي الفلسطيني من ناحية اخرى ، يبقى ان نناقش سؤالين هامين:

١ ـ ما هي اخطار التغافل عن النظرة التاريخية للواقع القائم حاليا على ارض فلسطين المحتلة ؟

٢ ـ ما هو القانون الذي يحكم حركة هذا الواقع بصفته تجمعا مصطنعا غازيا ومغتصبا ؟

### اولا خطر التغافل عن النظرة التاريخية :

ان التغافل عن النظرة التاريخية لما هو واقع الان على ارض فلسطين المحتلة يؤدي الى اخطاء فكرية فاحشة ، يترتب عليها مواقف

سياسية معادية لحركة التحرر الوطني ، وحركة الشعوب التقدمية بشكل عام • ذلك ان اعتبار « التجمع الاسرائيلي » «مجتمعا قوميا » يحتل مكانا اصيلا في الحركة التاريخية لشعوب المنطقة العربية ، يؤدي الى القبول بفكرة ان الحرب ضد هذا « التجمع » ، انما تشكل «**تناقضا خارجيا**» (١) يخضع التناقضات الداخلية له • الامر على العكس ، **فالتناقض الرئيسي الذي يحكم المرحلة التاريخية الحالية للشعب العربي الفلسطيني ، بل للشعوب العربية كلها ، هو التناقض بينها وبين الاستعمار وقاعدته الصهيونية • وهو تناقض لا يمكن ان يكون «خارج» الظاهرة التاريخية** ، حتى وان نجحت القوى الغاصبة في طرد قطاعات واسعة من الجماهير خارج الارض (١) ، الا اذا ادعى المرددون لهذه الفكرة ، ان هناك ظاهرتين تاريخيتين (!!) لنفس المجتمع وفي نفس المرحلة (!!) • ليس هناك الا ظاهرة تاريخية واحدة والاخرى او الاخريات تكون ظواهر مؤقتة وغير تاريخية ( اي ليس لها سابق تطور ولا مستقبل تاريخي ) • من هنا خطأ رفاق الاتحاد الشيوعي الثوري «الماهفاك» عندما يقولون «*النزاع في فلسطين قائم بشكل افقي بين قوميتين مختلفتين*» • **نعم هو نزاع قائم بشكل افقي ، ولكن ليس بين قوميتين** ، وانما بين **قومية واحدة هي العرب الفلسطينيون وبين قوة غازية استعمارية هي التجمع الاسرائيلي** (القائم على تضامن كل المطاردين والمستعمرين •• حسب قول *الرفاق* انفسهم) • لا توجد قومية اخرى ، وسنناقش ذلك تفصيلا فيما بعد • ولو سلمنا نظريا بقومية اخرى لوجب ان نسلم بضرورة تطورها ، وبالتالي بضرورة استمرارها والحفاظ على كيانها ، وهو امر مرفوض بالاستقراء العلمي التاريخي ، وبالواقع

---

١ ــ ان النضال من اجل استعادة الارض ، ووجود قسم غير قليل من الجماهير العربية على الارض المحتلة ، يدعم بروز وجه التناقض الرئيسي التاريخي موضوعيا في الصراع ضد الغزو الصهيوني ، وان كان حتى الان هو الوجه المسود ولكنه الصاعد على اي حال •

النضالي الجماهيري ، والرفاق يشاركوننا هـذا الرفض عندمـا يوافقوننا على رفض «الصلح» مع الصهيونية ، لانه ليس من المعقول «ان تطلب من المظلوم الا يتحرك في حين ان الظالم ما زال قائمـا وظالما» (١) ٠

ان التغافل عن النظرة التاريخية كما هو واقع الان في فلسطين المحتلة يؤدي الى تمرير افكار تقول «بالقومية الاسرائيليـة» (٢) ، وتصور الصراعات القائمة داخل التجمع باعتبارها «تناقضـات وصراعات طبقية» (٣) ، مع ما يترتب على هذه الافكار من نتـائج تتناقض والاستنتاجات السياسية التي وصل اليها العديد من الرفاق داخل هذا التجمع بضرورة القضاء على الكيان الصهيوني وضرورة بناء دولة فلسطين الديمقراطية ٠

## ثانيا ـ القانون الذي يحكم حركة التجمع الاسرائيلي :

يقول مفكرو الماركسية (٤) : «ان المادية التاريخية تجد لزاما عليها ايجاد كل ماهو عام ومتكرر خلف الخصائص الفردية لتاريـخ الشعوب والبلدان المختلفة ٠ وهذا من شأنه ان يمكننا من معـرفـة قوانين التاريخ ، لانه لا يمكن الحديث عن القوانين مطلقا الا حينما يوجد التكرار» ٠

وسبق ان ذكرنا قول انجلز : «ان الشيء الوحيد الذي له اهمية عند ماركس هو اكتشاف قانون الظواهر التي كان يعنى ببحثها ٠٠٠» فما هو اذن القانون الذي يحكم ظاهرة «التجمع الاسرائيلي» ؟٠٠

................ ....... .......... .....

١ ـ حديث خاص مع الماهفاك ٠
٢،٣ ـ سنعود للنقاش بالتفصيل في الاجزاء التالية ٠
٤ ـ المادية التاريخية ، ف٠ كيللي ، ترجمة احمـد داود ، نشـر دار الجماهير ، ص ٤٤ ٠ ٠

نعود الى النقطة السابقة ، فلو اننا اعتبرنا هذا «التجمـــع» ظاهرة تاريخية مستقلة، كما يتناولها البعض، بحسن نية او عن سوء قصد ، لكان لزاما علينا ان نسلم بأن الحرب ضد هذا التجمع هي نوع من«التناقض الخارجي» وانثمة قانونا داخليا «تفرزه التناقضات الداخلية» يتحكم في تطور هذه الظاهرة · ذلك ان التناقض الداخلي هو الرئيسي ولا يمكن ابدا ان يلغيه او ينفيه تناقض خارجي ·· اما وقد بينا خطأ هذه الفكرة ، واكدنا على ضرورة اعتبار ان الظاهرة التاريخية هي فلسطين وليست الكيان الصهيوني ، فان البحث عـن القانون الذي يحكم «ظاهرة الكيان الصهيوني» لم يعد صعبا ، بل هو واضح كل الوضوح ·

ان الصراع بين «ظاهرة» الشعب العربي الفلسطيني ، وبيـن التجمع الاسرائيلي ، هو صراع بين قوى ثورية وطنية وبين قـــوى استعمارية غاصبة · **وهذا الصراع محكوم بالقانـون العـام الذي يحكم الصدام بين حركة التحرر الوطني العالمية وبيـن الاستعمـار العالمي ·**

هذا القانون العام يوضح لنا تطور الظاهرتيـن ، ظاهـــرة «الاستعمار» من جانب ، وظاهرة حركة التحرر الوطني من جانب اخر ، وهو يبشر بحتمية انتصار حركة التحرر الوطني وزوال كافة اشكال الاستعمار ، وهي حتمية تاريخية تتحقق بالنضال الشـــاق الواعي الطويل الامد ، وعبر طريق متعرج ، ومراكز صدام متغيرة ومتنقلة على الساحات المختلفة ، كما ان هذا الصراع يخضع ويؤثر في كافة الصراعات (التناقضات) الاخرى التي تكمن في كل الظواهر المساهمة فيـــه ، سواء كانت في الجانب الاستعمـــاري او الجانب الجماهيري ·

فكما ذكرنا سابقا ، ليس «التجمع الاسرائيلي» ، او «الكيـان الصهيوني» كلا متجانسا ، ولا يمكن ان يكـون ، وانمـا يحـــوي تناقضاته الداخلية ، وهي تناقضات نابعـة مـن طبيعتـه كقاعـــدة

استعمارية ، هي على وجه التحديد جزء من الامبريالية العالميــة ، وتحمل كل تناقضاتها ومصيرها ، وايضا من طبيعته العنصرية حيث حرص المستعمرون على ان يستقدموا الى فلسطين مجموعات بشرية منتقاة على اساس «العقيدة الدينية» ، ومعبأة على اساس «التمايز العرقي» . **لذا فان ازدياد حدة التناقض الرئيسي (بين حركة التحرر العربي الفلسطيني وبين الاستعمار الصهيوني) ستؤدي بلا شك الى ازدياد حدة الصراعات الامبريالية الاحتكارية داخل هذا الكيــان ، كما ستؤدي بالتاكيد الى تعميق الانقسام العرقي بين سكانه انفسهم، اي بين اليهود الغربيين «الاشكنازيم» وبيــن اليهـــود الشرقييــن «السفارديم»** . ومن المفترض حتى الان ، (ما لم تتدخـــل عوامـــل جديدة) ان يقف «السفارديم» الى جوار الشعب العربي الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية والكيان الصهيوني ، وفي تلك الحالة فانهم سيستعيدون حريتهم من القهر العنصري الواقع عليهم من جـــانب الاشكنازيم ، **كما سيستعيدون وضعهم «الاجتماعي» كجـزء مـــن الطبقات الفقيرة والكادحة العربية التي تعاني من الاستغلال والنهب الامبريالي (١)** .

ان طول او قصر الوقت الذي سيمضي قبل ان يبــرز هـــذا الانقسام بشكل صحيح وفعال ومسلح (٢) ، يعتمد الى حد كبير على استمرار النضال المسلح للجماهير العربية ضد الكيان الصهيوني ،

---

١ ـ لا يعني ذلك انه لن تنضم جماعات من اليهود الغربيين الى صفوف الثورة المسلحة ضد الكيان الصهيوني ، ولكننا نتحدث هنا عن تلك القوى التي يفترض ان مصلحتها الموضوعية في القضاء على هذا الكيان هي اكثر ثباتا من غيرهـــا .

٢ ـ الانقسام واقع حاليا ، الا انه لم يتخذ بعد شكله الصحيح تاريخيا ، فاليهود الشرقيون يعانون من قهر عنصري من جانب اليهود الغربيين ولكنهم حتى الان لم يواجهوه بالحل السليم الوحيد وهو حمل السلاح ضد هذا الكيان العنصري كله وضمن صفوف الثورة الفلسطينية المسلحة .

باعتبارها مركز التناقض الرئيسي في مواجهة الصهيونية ، وبالتالي مركز الاستقطاب التاريخي لكل القوى المقهورة من جانب الصهيونية٠

نحن نعرف ذلك ، والعدو يعرفه ايضا ، لذا ، فانهـــا مسؤولية تاريخية على القوى الواعية الملتزمة ان تحـرص على استمـــرار النضال المسلح ، والا تعطي للصهيونية فرصة التقاط انفاسها ، او تمييع الصراع ضدهـــا ، بمختلف المؤامـرات ، وبالذات بالتعمية الفكرية ، والتغطية على الحقائق التاريخية ٠

# الفصل الثالث

## بين البحث عن حل والبحث عن هوية

مدخــل :

ثلاثة ملايين من البشر تجمعوا على ارض فلسطين ٠٠
تقاطروا في السبعين عاما الاخيرة ، ومن مئة واثنين مـــن البلاد ،

وصلوا في موجات مختلفة الزمان والمكان ،وا هم من كل ذلك مختلفة الدوافع ٠٠

وعلى ارض فلسطين حاولت «الصهيونية» ان تخلــق منهـــم «مجتمعا» ٠٠ له تاريخ موحد ، وحاضر منسق ، ومستقبل ثابت ٠٠
كان اول ما حاولته الصهيونية واجهزتها ومؤسساتها هو طمس اسم «فلسطين» وتذويب شخصية شعبهـــا والادعاء بأن « اسرائيل» هي الظاهرة التي يجب ان ينطلق منها وحولها كل حوار او تفكير او اجراء ٠

ولقد آن الاوان ان نقرر في شجاعة وجرأة ان الكثيرين منـــا انساقوا في هذه المؤامرة بحيث مرت سنوات طويلة (خصوصا بعـد ١٩٤٨) والجميع ، سواء كان معارضا للكيان الصهيوني او مؤيدا له ، يسلم بقيام هذا «الكيان الصهيوني» كأنه حقيقة تاريخية وليس مجرد ظاهرة مؤقتة عابرة لا بد من تفككها وانتهائها ··

ثم انطلق النضال المسلح ، فكشف عن التناقضات المميتة التي يحملها هذا «الكيان» في داخله كما اعاد الى الاذهان والواقع العملي الظاهرة التاريخية الاصيلة، ألا وهي فلسطين والشعب الفلسطيني · وبرز السؤال مرة اخرى «من هؤلاء ·· من هم الثلاثة ملايين ، وما مستقبلهم ؟ » ·

لقد طرح الكفاح المسلح الفلسطيني بقوة السؤال على الملايين الثلاثة ، وعلى الجماعات والمؤسسات السياسيــة المعنيــة ، سواء داخل او خارج فلسطين ·

وضع الكفاح المسلح الفلسطيني حقيقة واقعـة تجددت ، هي الحقيقة الفلسطينية امام حقيقة واقعة عاشت بغيابه هي الحقيقـــة «الصهيونية» · الا ان الحقيقة الاولى تاريخية بينما الحقيقة الثانية مؤقتة ·

لذا فعندما تسأل احد العرب الفلسطينيين من انتم ؟ فالاجابة واضحة سهلة واحدة لا غموض فيهـا ولا تـردد ، نحـن العـــرب الفلسطينيون، اصحاب فلسطين الشرعيين· اما عندما يوجه السؤال الى الملايين الثلاثة ، فان الاجابة تتفرع وتتضارب فيما بينهم بل وحتى بين من ينطقون باسمهم في مجالات الفكر والسياسية ·

ولما كان التحديد العلمي «لهوية» اي جماعة بشريــة امـــرا ضروريا لكي يمكن تحديد مستقبل هذه الجماعة ···

ولما كانت بعض الافكار في هذا المجال ، يرفعها ويرددها مــن نعتبرهم على المدى التاريخي ضمن معسكر الثـورة المسلحـة التي

ستحرر فلسطين من الاغتصاب الصهيوني ••

واذ نقر، ان بعض هذه الافكار قد وجد مكانا في اذهان البعض في صفوف العرب ، خصوصا اولئك الذين لهم علاقــــة بدرجــة او بأخرى بالنضال ضد الصهيونية ••

لكل ذلك ، ولاننا ايضا مطالبون بتوضيح افكارنا لاصدقائنا ، فسنحاول جمع ما هو مطروح من افكار حول هوية هذا «التجمــــع البشري» ومستقبله ، ومناقشتها ، مؤكدين ما سبق من ان هــــذا التجمع وان يكن حقيقة واقعة الان الا انه لم يكن كذلك في الماضي ، ولن يكون في المستقبل • وان فلسطين كانت وما زالت وستظل هــي الظاهرة التاريخية الاصيلة التي تعطي هويتها لابنائها ، وهي ايضا تحتفظ في باطنها بجذور هذه الهوية العربية القومية •

* * *

من الممكن تقسيم الافكار المتداولة حــول هويــــة «التجمــــع البشري» الموجود تحت سيطرة الكيان الصهيوني الىثلاث مجموعات من الأفكار ••

المجموعة الاولى وهي القائلة بالقومية اليهودية •

والمجموعة الثانية وهي التي تقول بالقومية الاسرائيليــة او الامة الاسرائيلية •

المجموعة الثالثة تضم خليطا من الافكار غير المحــددة تخلط بين الاثنين او تضفي عليها اسماء جديدة ••

وأفكار المجموعة الاولى ، ليست جديدة ، والقائلون بالقومية اليهودية ، قدامى ومحدثون، من القدامى هرتزل ، وقد نجد من سبقه ايضا للحديث عن «اليهود» كقومية مستقلــة ، وكــل الاحـــزاب والمؤسسات الصهيونية القديمة • اما الجدد فأن ابرزهم ، وهو امر يثير الدهشة فعلا ، هم من الشباب الذين ادركوا وهم في داخـــل الكيان الصهيوني كثيرا من الحقائق الصحيحة وناضلوا في سبيلها، ولكنهم كما ذكرنا من قبل ما يزالون يرددون فكرة القومية اليهودية•

من القدامى نقتبس فقط اخر ما خرج به «رابين» بعد ان القى الاخ ياسر عرفات ، «ابو عمار» ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسم حركة فتح، خطابه في الامم المتحدة ، موضحاً الحل الثوري الانساني الوحيد للمشكلة اليهودية ، الا وهو قيام دولة «فلسطين الديمقراطية» • عندئذ خرج رابين في غضب قائلا : «يتكلم زعيم منظمات الارهابيين في الامم المتحدة وجوهر كلامه ان اليهود ليسوا امة ، ولا تحق لهم دولة خاصة بهم » (١) •

ان مايصرح به رابين هو استمرار لما صرح به وروج له كل مفكري الصهيونية ، وهم بالقطع ادرى الناس بعدم صحة هذه الفكرة وانما يستخدمونها وسيلة لسوق الملايين من يهود العالم الى احياء مغلقة عليهم ، تمهيدا لنقل بعضهم الى ارض فلسطين •

ولكن المثير والمؤسف حقا ان تردد بعض الجماعات التي تناضل ضد الصهيونية هذه الفكرة • فنجد رفيقا كالرفيق رامي ليفنه يقول خلال محاكمته في قضية الجبهة الحمراء في حيفا : «ان اليهود في اسرائيل هم في الحقيقة مجتمع **قومي وليس دينيا** » ( التأكيد من عندنا) • كما يقول رفاقه في الاتحاد الشيوعي الثوري «الماهفاك» انهم يرون الصراع في المنطقة افقيا اي بين قوميتين هما القومية العربية والقومية اليهودية (٢) (٣) • اما المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ( ماتزبن الماركسية) فترفع شعارا يقول «في اسرائيل ،

---

١ ــ هآرتس ، ١٤ ــ ١١ ، عن م• د• ف• ١٦ ــ ١١ •
٢ ــ حديث خاص غير منشور •
٣ ــ اصدر رفاق الماهفاك نقدا ذاتيا ، ولكنهم انتقلوا من فكرة القومية اليهودية الى فكرة القومية الاسرائيلية ، او الشخصية الاسرائيلية المتميزة تاريخيا ، واستمروا يلومون «فتح» لانها لم تقدم حلا يضمن للشعب الاسرائيلي «حقوقه القومية» • عن نشرة بعنوان «القضية الفلسطينية وحق تقرير المصير» ص ٢٢ ــ اصدار نضال ، سنة ١٩٧٤ •

تطوير المشاعر النقدية التي ولدتها الحرب الاخيرة وسط الجماهيـر الى وعي طبقي معاد للصهيونية يسمح بفك «الوحدة القومية المقدسة» ويضم الشغيلة اليهود الىنضال الجماهير العربية في سبيل جمهورية اشتراكية عربية موحدة تضمن ليسامان الجماهير اليهودية فحسب، بل ايضا **حقوقنا القومية** وتحررها الاجتماعي » (١) · (التأكيد من عندنا ) ·

وهناك بين ما يطرحه الصهاينة الاول (الرواد) وبين ما يصل اليه شباب التجمع الاسرائيلي فروق ودرجـــات بالطبع ، الا انها كلها تقوم على فكرة ان «اليهودية» «قومية» وهم يختلفون في تطبيقهم لهذه الفكرة · **فالصهاينة الاول** يرون ان «اسرائيل» **هي دولة اليهود** التي يجب ان يدين لها بالولاء كل يهود العالـم وانها ايضا مسؤولة عن كل يهود العالم ، وان من حق اي يهودي في العالم ان يحصل على الجنسية الاسرائيليـــة (قانونا) بمجـــرد ان تطأ قدمــــه ارض فلسطين المحتلة (من الناحية العملية تصدر اسرائيل جوازات سفر اسرائيلية لاي يهودي يطلب ذلك حتى دون ان يصل الى فلسطين) · بينما يرى الشباب المعارضون للصهيونية ، ولكنهم لم يتخلصوا بعد من كل اثارها الفكرية ، ان اليهودية «قومية» وان ذلك حسب رأيهم لا يجوز ان يسمح لشعب ان يبني دولـــة عـــلى حساب آخر( ٢) ، وان ذلك يحتم ان يتضمن اي حل للمشكلة ان يعامل اليهود معاملة **الاقلية القومية** ذات الحق في تطوير ثقافتها وآدابها · وانهم في هذه الحالة لا يعاملون بصفتهم طائفة دينية (عندئذ يكون من حقهم فقـط ممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة ويحرم عليهم ممارسة تطوير اي نوع من انواع الثقافات والاداب التي تقسم الجماهير ) (٣) ·

..... ........ .... .... ...... ..

١ ــ عن بيان موزع باللغة العربية في بيروت بتاريخ اواخر نوفمبـــر تشرين ثاني ١٩٧٣ ·

٢ ــ راجع كتاب الفهود السود في اسرائيل للكاتب كوشيـــن شميش ، ماسبيرو ، باريس ، ١٩٧٢

٣ ــ ذلك هو معنى حديث الرفيق ليفنه عن انهم مجتمع قومي لا ديني ·

وهكذا يرى الشباب المعارضون للصهيونية ، انه من الضروري الاعتراف بالشعب العربي الفلسطيني ، بل وبعضهم يتعاون فعلاً مع ثورته المسلحة ٠ الا ان معظم هؤلاء ينطلقون من منطلق « اممي » بمعنى انهم يرون من واجب الكادحين او الفقراء او العمال في كل « امة » ان يتكاتفوا للنضال ضد الاستعمار والرجعية والاستغلال(١)، اي انهم ينطلقون من **مرحلة انتهاء « القوميات » لا من مرحلة نموها كما هو حادث فعلا بالنسبة للقومية العربية ٠**

ولو انتقلنا الى المجموعة الثانية من الافكار في هذا المجال ، لوجدناها تدور حول فكرة قيام امة اسرائيلية ٠

يقول اسحق دويتشر ( الذي يقدم نفسه في كتابه «اليهودي غير اليهودي » قائلا : وانا بالطبع تخليت منذ زمن طويل عــــن عدائي للصهيونية) ، يقول «ان تأكيد الذات الاسرائيلي العبري هذا يعول عليه ان يصهر كل عناصر اسرائيل المتباينة في امة واحدة وان يمنح تلك الامة وحدة روحيةثقافية» ويقول «ان النزاع العربي الاسرائيلي على السطح هو صدام بين قوميتين متنافستين ، كل منهما تتحرك داخل دائرة مغلقة من الصحة الذاتية والمطامح المتضخمة » (٢) ٠

ويقول يوري افنيري في كتابه «اسرائيل دون صهيونية» : «لقد ولدت امة جديدة في فلسطين واصبحتجزءا من الشرق الاوسط »(٣)٠

........ ........ ...... ....

١ ــ ماتزين والجبهة الحمراء والجناح اليساري للفهود السود ٠

٢ ــ اسحق دويتشر ، اليهودي غير اليهودي ، ص ١٣٧ ٠

٣ ــ لاحظ التشابه في اسلوب «اليهودي غير اليهودي» و« اسرائيل دون صهيونية» ٠

لاحظ ايضا ان يوري افنيري يضع قدما في فكرة القومية اليهوديــة ، وقدما اخرى في فكرة الامة الاسرائيلية هو يحاول ان يوفق بين الفكرتين ونراه يقول «كان على حركتنا القومية (!!) ان تقيم لها يد سامية لا خط عرقية التقسيم منسقة مع حركة القومية العربية ، نضال مشترك هدفه توحيد النقطة السامية ( افنيري ــ اسرائيل دون صهيونية) ٠

ويلتقي بهذه الاقوال الصريحة عدد كبير من الاراء المعلنة والمواقف الفعلية • فكل الموافقين على قرار التقسيم ، والمعترفين بقيام دولة اسرائيل ، يوافقون ضمنا على هذا المفهوم • ويتضح ذلك بجلاء عندما يتحدثون عن توسعية اسرائيل » وضرورة انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، والبحث في امكان اقامة علاقات سلمية بين اسرائيل» وجاراتها، والحديث عن دولة «ثنائية القومية» والحديث حتى الان عن حق جميع دول المنطقة او شعوبها في الامن والسيادة •

ويحاول كل هؤلاء وانصارهم اثبات ان ظاهرة جديدة قد نمت على ارض فلسطين وان هذه الظاهرة هي «اسرائيل» وهي ظاهرة «مستقلة» تنمو وتتطور وبالتالي يمكن ، بل يجب ، ان يتضمن الحل، اي حل ، مراعاة هذه الظاهرة الجديدة •

ان خطورة هذه الفكرة ـ فكر الامة او الظاهرة الاسرائيلية المستقلة تكمن في ان حملتها ومردديها هم بشكل عام من **معارضي الصهيونية** • فهم جميعا يطالبون «بوقف الهجرة الى فلسطين» «وبالاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني» ، بل واحيانا «بالدولة الديمقراطية العلمانية الواحدة في فلسطين» ولكنهم في الحالة الاخيرة يرفضون الفكرة التي قدمتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» من انها دولة تضم كل الطوائف في مساواة كاملة ، ويرون ان «يكون فيها **للعرب والاسرائيليين** حقوق وواجبات متساوية وداخل هذه الدولة يحق للعرب والاسرائيليين تنمية ثقافتهم في اطار تقدمي ديمقراطي» (راجع حديث الرفيق نايف حواتمه لمراسل يدعوت احرونوت والمنشور في جريدة النهار اللبنانية ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ ) •

من الواضح ان هذه الفكرة ـ فكرة الامة او الظاهرة الاسرائيلية المميزة ـ برزت من خلال تطور الصراع ضد الصهيونية وكيانها الرسمي «اسرائيل» ، فلقد وجدت بعض القوى السياسية نفسها امام تناقض حاد بين ما كانت تعلنه من افكار وسياسات وبين ما تجسد

**في لحظة تآمرية استعمارية انزلق بعضهم لتأييدها ، ومـن ثم كـان الهروب من «القومية اليهوديـة» الى «القوميـة الاسرائيلية» كمبرر لاستمرار مواقف هذه القوى المؤيدة حتى الآن لبقاء الكيان الصهيوني .**
هذا عن القوى القديمة . اما القوى الشابة فان من الممكن الافتراض بأنها فتحت اعينها على حقيقة هذا الكيان البشعة من كونه كيـانـا اغتصابيا يقوم على ارض شعب يعامل امامهم معاملة مواطني الدرجة الثانية ، ومن كونه ايضا كيانا لم يلغ «العنصرية» التي قام بدعوى مواجهتها بل عمقها بين اليهود انفسهم . كما ان بعض هذه القـوى القديمة والجديدة ما يزال ينظر بطريقة ميكانيكية الى «الظاهـــرة الاسرائيلية» مغفلا كما ذكرنا في الفصل السابق «انها ظاهرة بـلا تاريخ» ويحاول ان يطبق عليها قوانين التطور باعتبارها « مجتمعا » ستستقطب قواه «الطبقية» وبالتالي يتصف باطاره العـام الا وهـو الاسرائيلية .

ان فكرة الامة او الظاهرة الاسرائيلية المميزة هي بالنسبـة للقوى القديمة تبرير لمواقفها السابقة ، وهي بالنسبة للقوى الجديدة محاولة تفسير مواقفها الحالية . انها كما سيتضح **«فكرة وسطية» توفيقية في قضية لا مجال للوسطية فيها ولا التوفيق .**

من هذه الطبيعة «الوسطية» للفكرة نجد ان كـلا الطرفيـــن النقيضين يرفضانها : الطرف الصهيوني المغتصب ، والطرف العربي الثوري . مع ذلك فهي بالنسبة للطرف الصهيوني الاستعماري،شاطىء نجاة يلجأ اليها ويستغلها محافظا على بقائه، (ودون الهدف الجوهري لقيام الكيان الصهيوني ) . اما بالنسبة للطرف العربي الثوري فانها ستار وعائق امام القوى والجماعات الثورية من ان تصل الى الافكار الصحيحة (١) .

........ .................... . .......... .......

١ ـ يجب ان نشدد هنا انه مع هذا الاعتبار الفكري الا وهو خطر الافكار الوسطية على الفكر الثوري فان الثوار في مجال المواقف اليومية العمليـــة

بقيت المجموعة الثالثة للافكار : وهذه تبدو متفرقة لا رابط بينها ، ولكنها في الحقيقة تقوم على فكرة جوهرية واحدة ، هي فكرة صراع الحضارات او صراع الثقافات ٠

ومن الغريب اننا نجد في هذا المجال «اشخاصا» لهم موقف معروف بجوار النضال الفلسطيني ، بل انهم «عرب» في معظم الحالات ٠ وابرز الامثلة على هؤلاء ، وعلى هذه الافكار هي الفكرة التي طرحها السيد صادق المهدي (١) في حديثه المنشور في جريدة «النهار» اللبنانية بتاريخ ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٤ والتي يقترح فيها قيام «وطن عبري» هو نفسه «دولة اسرائيل» الحالية بعد انسحابها من الاراضي التي احتلتها في ١٩٦٧ ، وتخلي اليهود الموجودين فيها عن «الاهداف الصهيونية» ٠٠ الى اخر ما جاء في الحديث المذكور٠ وفي الوقت نفسه تقريبا طرح اثنان من الكتاب العرب هما الاخوة محمود حسين (٢) الفكرة نفسها تقريبا ، ربما بشكل اخر وفي شكل اخر ، ولكنهما افترضا ان الصراع الدائر في المنطقة ، حتى بعد ان يتحرر من نفوذ ودول الكبرى فانه سيصير الى صراع بين محور يهودي اسرائيلي ، محور اسلامي عربي ، وقد شرحا فكرتهما مبرزين دور الذين وعواطف الشعبين «اليهودي والعربي» اي باختصار هو صراع

..................................

يسعون على الدوام لتوجيه نضالهم ضد النقيض الاساسي ، محاولين تجميع الجهود حولهم بما في ذلك جهود «الوسطيين» ففضلا عن ان هذا هو المنهج الثوري الصحيح ، فانه ايضا الطريق لكي يتبين المخلصون صحة هذه الافكار، وحقيقة وابعاد ما يمكن ان تصل اليه هذه الافكار الوسطية ٠

١ ـ السيد صادق المهدي رئيس حزب الامة السوداني (حديث لجريدة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٤) ٠

٢ـ فضلنا استخدام هذا الاسم بالرغم من ان صاحبيه اعلنا عن شخصيتهما ولكنهما ما يزالان معروفين بالاسم السري الاول وهو محمود حسين ٠

حضارات يسميها السيد صادق المهدي حضارة عبرية (يطالب بانهاء دور الوطن العبري كمركز اوروبي في قلب الشرق الاوسط وانتمائه تماما الىمنطقة الشرق الاوسط وان يشارك ايجابيا في مصير المنطقة وفي كل المنظمات الاقليمية ٠٠) ويسميها الاخوان محمـود حسيـن صراع محاور حضارية في المنطقة ايضا ٠

وفي هذا المجال يلتقي مع اصحاب هذه النظريات اولئك الذين ينادون « باسرائيل » «شرق اوسطية » ٠ (راجع مقال كسييل فيدرمان وهو اكبر رجال القطاع الخاص في اسرائيل يملك مصنعا فيه ٤٠٠٠ عامل صهيوني والمقال مترجم ومنشور في جريدة «النهار» ١٠ ــ ٧ ــ ١٩٧٤ ، وراجع ايضا مقالات مجلة «اسرائيـل وفلسطيـن» التي تصدر بالانجليزية والفرنسية ٠ بالاضافة الى الاتجاه العام للكتابات الاستعمارية التي تعتبر ان المشكلة هي مشكلة شرق اوسطية وليست مشكلة صراع قومي ضد الاستعمار) ٠ وهكذا نجد ان افكار صراع الحضارات تتخذ اشكالا وتعابير مختلفة ٠ ولكنها تتفق جميعا في انها تغفل الحقيقة التاريخية الخاصة بحتمية انتصار الحركة القومية العربية (بمضمونها الاجتماعي التاريخي) على الحركة الصهيونية الاستعمارية (بمضمونها العنصري الاستغـلالي) ٠ اي ان هـــذه الافكار ترفض موضوعيا الرؤية التاريخية لمستقبل الامة العربية ٠

هذه هي المجموعات الثلاث للافكار التي تتناول «هوية» التجمع الاسرائيلي وهي جميعا ، كما يتضح ، تقوم على اساس ان هنـــاك **اسسا وعوامل موضوعية لقيام واستمرار ظاهرة بشرية غير عربية مميزة ومتماسكة فوق ارض فلسطين ( كلهـــا او بعضهـــــا ) ٠**
ويستوي ، بعد ذلك ، ان يسميها البعض قومية يهودية او قوميـــة اسرائيلية او امة شرق اوسطية ، او حضارة يهوديـــة ، او وطنـــا عبريا ، الى اخر هذه التسميات ٠

**فهل هناك بالفعل عوامل موضوعية تاريخية لمثل هذه الظاهرة؟**

بينا في الفصل السابق عدم تاريخية هذه الظاهرة ، وفي هذا الفصل سنتعرض للعوامل الضرورية تاريخيا لكي تتمايز ظاهـــرة بشرية في وطن او امة او حتى عشيرة ، مع التنبيه بأن كل ما سنذكره او سنتناوله من عوامل ، لا بد ان نقدره من زاوية الحركة التاريخية، حتى وان ناقشناه في مرحلة زمنية محددة ٠

## القسم الاول

### حول القومية اليهودية :

الكثيرون تناولوا مسألة «القومية اليهودية» و«امة اليهـود» بالبحث والدراسة ٠ ومن قبل قيام الكيان الصهيوني بأكثر من نصف قرن من الزمان ، وحتى الان ، صدرت عشرات ، بل مئـــات مـــن الدراسات ، التي تناقش ما اذا كانت اسس وجذور مثل هذه القومية موجودة او حتى كانت موجودة ٠

ويخلط الكثيرون بين ما حملته سنوات العقد الاخير من القرن الماضي وما تلاها من دعوة صهيونية الى دولة يهودية ، سعى دعاتها بعد ذلك الى دعم دعوتهم باثارة مـا يسمى بالقوميــة اليهوديــة ، يخلطون بين هذه الدعوة الجديدة وبين ما كان واقعا حقيقيا قبلهــا بقرون ، الا وهو المسألة اليهودية «او المشكلة اليهودية» (١) ٠

لقد ظهرت الدعوة الجديدة (الدولة اليهودية) في مرحلة كان الرأسمال فيها يتخطى حدوده «القومية» التي نما في داخلها ، منتقلا الى مرحلة الاحتكار والامبريالية ٠ لم تظهر في بلاد المستعمرات حتى

..................................

١ ـ راجع كارل ماركس ، المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيتـاني ، بيروت ، وراجع ايضا كتاب بديعة اميـن ، المشكلـة اليهوديـة والحركـة الصهيونية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٤ ٠

يمكن انيقال انها تبلورت كرد فعل ايجابي وتقدمي للقهر الاستعماري وانما ظهرت في البلاد الاستعمارية ، بحيث لا يبقى مجال لتفسير ظهورها الا انها بالفعل كانت وما تزال الانعكاس الفكري الفوقي لتطور الرأسمال الى المرحلة الاحتكارية الاستعمارية ، **اي ان الدعوة الصهيونية (الدولة الصهيونية او القومية اليهودية او امة اليهود) هي اولى الدعاوى الفاشية في عصرنا الحديث ·**

ان الدعوة القومية في عصر نشوء الرأسمالية غيرها في عصر الرأسمالية الاحتكارية ، في الاولى هي تقدمية ، اما في الاخيرة فهي بالقطع رجعية عنصرية تبرر سيطرة رأس المال الاقتصادي على اراضي واقتصاد وشعوب اخرى ·

فالامة هي جماعة من الناس تآلفت تاريخيا · وعند تناول مسألة الامة لا بد من تناولها تاريخيا لان اهميتها ومحتواها يختلفان في المراحل المختلفة (١) ·

ولقد تعرض كارل ماركس وعدد اخر من قادة الفكر والثورة للمشكلة اليهودية ، ولكن لينين على وجه الخصوص ، وبسبب من الواقع الذي كان يواجهه في روسيا القيصرية ، هو الذي تعرض بشكل محدد لمشكلة الامة اليهودية او القومية اليهودية ، ذلك انه واجه انقساما فعليا في صفوف الطبقة العاملة ، قادة حزب «البوند» (٢) ، كما انه عاصر نشوء ونمو الدعوة الصهيونية · ولقد ادان لينين على الدوام فكرة الامة اليهودية او القومية اليهودية ، وحذر منها باعتبارها فكرة **رجعية كلية «لا عندما يدعو اليها دعاتها الصرحاء (الصهاينة) ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء**

---

١ ـ راجع الامة في قاموس الفلسفة ، الطبعة الانجليزية ، موسكو ، ١٩٦٧ ·

٢ ـ البوند : هو الاتحاد العمالي اليهودي لليتوانيا وروسيا وبولونيا وهو اول منظمة اشتراكية ديمقراطية ظهرت في روسيا سنة ١٨٩٧ ·

الذين يحاولون ان يمزجوها بافكار الديمقراطية الاجتماعية (البوند)٠
ان فكرة القومية اليهودية ضد مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تروج في صفوفها مباشرة او بشكل غير مباشر روحا معادية للتمثل: « انها روح الجيتو » (١) ٠

كما يقول : « ان اليهود الالمان والفرنسيين لا يشبهون مطلقا اليهود البولنديين والروس ، والسمات المميزة لليهود لا تحمل شيئا مما يكون القومية ٠ واذا كان لنا ان نعترف باليهود كقومية فانها ستكون امة مصطنعة » (٢) ٠

ولو اضفنا الى ذلك انه لا توجد ايضا اي سمات مشتركة بين يهود اوروبا بشكل عام ويهود آسيا وافريقيا ، لتأكد حكم لينين ٠

ومع ذلك فقد اتخذت الصهيونية بعد لينين اردية ماركسية متعددة الالوان والاتجاهات بل ان التآلف الحاكم في الكيان الصهيوني ، منذ قيامه ، تعلن احزابه انها احزاب ماركسية وتقوم في داخل الكيان الصهيوني مؤسسات سياسية عديدة تحمل وترفع اعلاما ماركسية ولينينية ٠

هل تغيرت الظروف ؟ هل برزت سمات مشتركة بين يهود العالم بحيث حولتهم الى امة يهودية ، او برزت هويتهم القومية كيهود ؟٠٠

ربما كان من الممكن ادعاء ذلك في ابحاث ودراسات مختلفة قبل قيام الكيان الصهيوني ٠ اما وقد قام الكيان الصهيوني منذ سبعة وعشرين عاما ، فان المنهج العلمي يقضي بأن نختبر صدق الاحكام والتحليلات الفكرية والسياسية في التطبيق ٠٠

---

١ ــ لينين ، الاعمال الكاملة ، المجلد ٦ ٠

٢ ــ المصدر نفسه ٠

لقد نجح دعاة القومية اليهودية وهـــم الصهاينة ، نجحوا في اقامة دولة لليهود كما يدّعون ، اسموهـا « اسرائيل » وكان منطقيا اذا كانت هـــذه الدولة تعبيـــرا مجسدا عن « القومية اليهودية الواحدة » ان يثبت قيامها صحـــة افكار دعاتها ٠ فهل حدث ذلك فعـــلا ؟٠٠

ان نتائج سبعة وعشرين عاما تدلنا على عكس ذلك ، بل تؤكد صحة الادانات السابقة لفكرة القومية اليهودية ٠ ومـــن الممكن ان نوجز هذه النتائج ونقسمها الى ثلاث مجموعات فيما يلي :

**١ ــ بروز التقسيم العرقي في صفوف اليهود انفسهم :**

لا ينكر احد الآن ، ولا حتـــى غلاة الصهاينـــة ، ان التجمع الاسرائيلي منقسم على نفسه الى قسمين كبيرين هم اليهود الغربيين ( الاشكنازيم ) واليهـــود الشرقيين ( السفارديم ) ٠ وتتسع يوما بعد يوم الهوة بينهما ، ولقد بلغ هذا الانقسام حـــدا عبر عن نفسه في المؤسسات السياسيـــة « الجديـدة » التي تمثـــل فقط اليهود الشرقيين كالفهـــود السود ، وفي المظاهرات والاضطرابات التي تنفجر بين الحين والآخر مظهرة التفرقـة العنصرية بين القسمين ٠ لقد فشل الصهاينة في «صهر» اليهود القادمين الى فلسطين المحتلة ، رغم كل الجهود المبذولة والمخططـــة ، والتي اعتمدت على اجهزة الدولة وخاصة المؤسسة العسكرية (١) ٠

لو ان قيام الحركة الصهيونية كان تعبيرا عـن حركة قومية صاعدة هي القومية اليهودية كمـــا يدّعون لاختلفت النتائج ، فمن

١ ــ يؤدي جميع سكان الكيان الصهيوني الخدمة العسكرية ، وفيها يتعلم الجميع اللغة العبرية ويتعاملون بها فيما بينهم ، كما يتلقون تثقيفا موجهـا بهدف توحيد الشخصية الاسرائيلية ٠ ومع ذلك فان النتائج تدفـع بالقـادة الصهاينة الى مناقشة مشكلة الانقسام علنا (راجع قـدري حفني ، تجسيـد الوهم ) ٠

المفروض ان تجسيد القوميـة في مؤسسة نظامية من شأنه الاسراع ببلورة هذه الشخصية القومية واذابة كل ما علق بها من انقسامات سابقة وخلق قاعدة مادية لتطورها ٠ ولكن النتائج عكس ذلك ٠

**٢ ـ اتساع الهوة بين اليهود داخـــل الكيان الصهيوني واليهود خارجه :**

وكما ابرز قيام الكيان الصهيوني رجعية فكرة القومية اليهودية وجوهرها العنصري العرقي بانقسام سكانه الى قسمين ، فان قيام هذا الكيان ايضا ميز على الفور بيـــن اليهـــود المقيمين خارجه ، وأولئك المقيمين تحت سيطرته في الارض المحتلة ٠٠

من قبـــل قيام « الكيان الصهيوني » كانت الصهيونية مجرد حركة سياسية ، وافكار تتداول ، ولكنها بعـــد قيامه اصبحت كيانا ماديا واصبح الموقف من الصهيونية ايضا موقفا عمليا ، فاليهودي الذي لا يهاجر الى اسرائيل هو يهـــودي « غير صهيوني » حتى لو اعلن التزامه واقتناعه بالصهيونية ٠ كمـــا ان اليهودي الذي يهاجر الى «فلسطين المحتلة » هو صهيوني حتى وان كانت دوافعه للهجرة غير ذلك ( كما حدث مع اغلبية المهاجرين مـــن اليهود العرب بعد ١٩٥٧ ) ٠ لقد ادى قيام الكيان الصهيوني الى اعادة تقسيم اليهود في العالم وبشكل عملي ٠ وهكذا نفهم لماذا كان بن جوريون يتحدث عن اليهود اللاصهيونيين بمرارة قائلا « انهم لا جذور لهم » و « انهم كوزموبوليتيون مقطوعو الجـــذور ولا يمكن ان يكون هناك اسوأ من ذلك » (١) ، كما نفهم خطاب بنحاس سابيـر في المؤتمر العالمي للمدرسين اليهـــود الذي قال فيـــه : « مع الوقت ستكون الهجرة مرتبطة بتعميق الثقافة اليهودية في بلدان الشتات لان الثقافة القائمة على القيم اليهودية ستحمـــل الشباب على ان يعلـم ان مكانه في اسرائيل » (٢) ٠

١ ـ اسحق دويتشر ، اليهودي غير اليهودي ٠
٢ ـ ر٠ ١٠ ١٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٤ ٠

كما يؤكد هذه الحقيقة الاقتراح الذي تبنّاه المؤتمر الصهيوني المنعقد في القدس في ١٨ ـ ٢٨ـ١ـ١٩٧٢ الذي تقدم به يجيئك ليكيط زعيم شباب حزب العمل الاسرائيلي الذي قال « اننا نريد ان نفرض على كل صهيوني واجب الهجرة الى اسرائيل · ليتوقفوا عن الحديث عن الهجرة وليهاجروا فعلا وفي طليعتهم الزعماء ليكونوا قدوة حية للشباب اليهودي · اننا نقترح عقوبات ايضا : الزعيم الصهيوني الذي لا يهاجر الى اسرائيل خلال اربع سنوات من انتخابه لا ينتخب مرة اخرى لاي منصب صهيوني » · وقد تبنى الاقتراح حزبا حيروت ومفدال وصوّت عليه المؤتمر بأغلبية ١٠٤ ضد ٦٢ صوتا ·· وقد اشار آربيه بينكوس رئيس المنظمة الى ان قول بن جوريون في الخمسينات « ان كل من لا يهاجر لا يُعتبر صهيونيا » لم يؤد الى زيادة عدد المهاجرين « ولو مهاجرا واحدا » (١) ·

كما يعلن رئيس وفد يمثل المؤتمر اليهودي العالمي قام بجولة في اميركا اللاتينية : « ان هناك خطرا يهدد جيل الشباب اليهود في هذه البلدان الذين اخذوا يبتعدون عن التعاليم اليهودية · ان هناك **ازمة اجيال خطيرة** بين اليهود في امريكا الجنوبية ، وان ٢٥ بالمئة من الشباب يتزوجون زواجا مختلطا ويبتعدون عن دينهم » ودعا اعضاء الوفد لبذل مجهود كبير لتقريب الشباب من التعاليم اليهودية « قبل ان يفوت الاوان » (٢) التأكيد من عندنا ) · ان يعلنوا ذلك امر له دلالة · فالصهاينة لا يعلنون مثل هذه القضايا الا عندما تبلغ درجة من الحدة لا يمكن اخفاؤها · وان يحاولوا

---

١ ـ قدري حفني ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية ـ الاشكنازيم ، تحت النشر ، عن ن· م· د· ف· ملحق العدد ٤ ، ١٦ ـ ٢ ـ ٧٢ ، راجع ايضا مقال هاني عبد الله عن المؤتمر الصهيوني ٢٨ ، شؤون فلسطينية ، ع ٢٨ ، آب ١٩٧٢ ·

٢ ـ راجع ر· ٠١· ٠٩· ، ٢٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ ·

تفسير ذلك بأنها ازمة اجيال ، محاولة للتعمية على المسار التاريخي الصحيح للمشكلة اليهودية ! الا وهو التمثل ٠

ان الاجهزة الصهيونية تتحدث بمرارة ، وحقد ، وخوف ، عن انخفاض نسبة نزوح اليهود من بلاد اوروبا الى فلسطين (١) وعن اتجاه النزوح الى الولايات المتحـدة (٢) وازدياد نسبة النزوح من

. .. .. ............... ..........

١ ـ راجع حول انخفاض نسبة نـــزوح الفرنسيين اليهود ، ف٠ أ٠ ، ٢٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ ٠

٢ ـ في تقرير لمؤسسة الدراسات الفلسطينية نشر بجريـدة «النهـار» البيروتية في ١٤ـ١٢ـ١٩٧٤ ذكر وزير الاستيعاب ( دافار ، ٢١ـ١١ـ١٩٧٤)ان ١٧ بالمئة من اليهود السوفيات ، الذين تسلموا اذونات بالخروج ، تساقطوا في فيينا في الاونة الاخيرة وان هذه النسبة قد زادت في الشهر الحالي وشدد ابراهام تيروش (معاريف ١ـ١١ـ١٩٧٤) على الارتفاع المستمر في اعـداد المتساقطين مفترضا ان هذا الارتفاع سيستمر وقال : «زاد عدد الخارجين من الاتحاد السوفياتي من اليهود الذين لم يهاجروا الى اسرائيل دائما ، ففي العام الماضي كانت النسبة ٤بالمئة من مجموع الخارجين ٠ وفي بداية هذه السنة ارتفعت الى ٧ـ٨بالمئة وفي شهري ايلول وتشرين اول وصلت الى نحو ٢٥ بالمئة ٠ واضاف تيروش : « ومن الصعب الافتراض انه من الممكن تقليص هذه النسبة في شكل ملحوظ في وقت قصير ، ومن المحتمل ان تستمر عمليـة ارتفاع نسبة المتساقطين» ٠٠٠ اما «يديعوت احرونوت» ( ١٨ـ١١ـ١٩٧٤ ) فقالت «ان نسبة التساقط بين مهاجري الاتحاد السوفياتي في تشريـن الاول ١٩٧٤ ، قد وصلت الى ٣٨بالمئة وانها اخذت في الارتفاع منذ بداية تشريـن الثاني الى ان بلغت ٥٠ بالمئة » ٠ ولاحظ ناحوم بارينغ ( دافار ، ١٠ ـ ١١ـ ١٩٧٤) ازديادا في وتيرة الهجرة من الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة٠ في العام ١٩٧٣ وصل الى هناك ١٤٤٩ يهوديا ، و ٣٥٠٠ مهاجر ، وهناك تقدير ان عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة سيصل في ١٩٧٥ الى عشرة الاف من اليهود السوفيات وبحسب دان مرغليت (هارتس ، ١ـ١٢ـ١٩٧٤) وصل في الشهور العشرة الاخيرة ٣٠بالمئة من المهاجرين اليهود السوفيات الىالولايات المتحدة ، وليس الى اسرائيل ٠ وحذر من انعكاسات هذا الوضع على الهجرة من الاتحاد السوفياتي ، ودعا الى التنسيق في هذا الموضـوع مـع يهـــود

اسرائيل الى خارجها (١) ، بل ان الاجهـــزة الصهيونية تشن في السنوات الاخيرة حملات التخويف والارهاب ضـــد اليهود المقيمين

.. ... . . . . . ..

←

الولايات المتحدة . وقال «يتطور الان وضع يحتمل ان يتخذه الروس ذريعة لعدم الوفاء بالتزاماتهم . فحتى الان كانت قواعد اللعبة واضحة : كـــان اليهود السوفيات يتلقون «طلبات» لجمع شمـــل العائـــلات من اقربائهم في اسرائيل . ومع انه لم يكن في استطاعة موسكو الموافقة على فكرة السمـــاح لمواطنيها بالهجرة الى اية دولة في العالم الغربي ، فقد برر شعـــار جمع شمل العائلات ، ظاهريا ... اعتبار اسرائيل «حالة خاصة» ولكن كيف يمكن ان نبرر للسوفيات المعطيات التي تثبت توجه نحو ٣٠بالمئة من المهاجرين اليهود في الشهور العشرة الاخيرة ، نحو الولايات المتحدة وليس نحو اسرائيل ؟ » .

١ ــ ويعتقد المعلقون الاسرائيليون الرسميون ، وغيـر الرسميـيـن ، ان ظاهرة النزوح اشد خطرا من ظاهرة التساقط في الطريق ، لما تعكسه مـن سلبيات حول الوضع العام في اسرائيل ، وبسبب الدعاية السيئة التي يبثها النازحون في الخارج ، في تعليل اسباب نزوحهم . وقد اثار التقرير الـذي قدمه بوريس كرسني ، مبعوث وزارة الاستيعاب وقسم الهجرة في الوكالـة اليهودية الى اوروبا ، عاصفة شديدة داخل اسرائيل فقد ذكـــر كرسني في تقريره ان ٣٠بالمئة من مهاجري الاتحاد السوفياتي صرحوا بأنهم نزحوا عن البلد بسبب خوفهم من الخدمة في الجيش (معاريف، ٢١ــ١١ــ١٩٧٤) .

وطالب عضو الكنيست حبيب شمعوني ، في جلسة العمـــل التابعـــة للكنيست التي كانت مجتمعة في مواضيع الهجرة والاستيعاب، باجراء مناقشة مستعجلة حول هذا الموضوع (عل همشمار، ١ــ١٢ــ١٩٧٤) . وتضمن التقرير معطيات عن اعداد النازحين الموجودين في مختلف الدول الاوروبيـــة : ففي بروكسل ٨٥٠ نازحا من مهاجري الاتحاد السوفياتي متوسط اعمـارهم ٢٩ سنة ونحو ١٨ بالمئة منهم اكاديميون وفي ايطاليا ٤٥٠ نازحا و٣٠٠ في المانيا و٢٥٠ في فرنسا و٢٠٠ في النمسا ، وبعض النازحين في هولندا وبريطانيا اي يتجاوز مجموعهم الالفين من اصل مجموع مهاجري الاتحاد السوفيـــاتي . وقدرت (معاريف ، ٣ــ١٠ــ١٩٧٤) بناء على دراسات وزارة الاستيعاب حول

→

في بلادهم ، محاولة تصوير « اسرائيل » بأنهـــا حصن الامن لهم ، ولكن النضال الثوري العربي المسلح ، وتفاقــم التناقضات العرقية الداخلية لا يتركان لها فرصــــة النجاح كمـــا فعلت في الثلاثينات والاربعينات قبل قيام الكيان الصهيوني نفسه ·

فلئن كان الاتجاه الطبيعي لليهـــود خارج فلسطين هو الى « التمثل » في مجتمعاتهـــم الاصيلة فان الاتجــــاه داخـل الكيان الصهيوني هو الى العكس ·

«فالسابرا» « الذين ولدوا وتربوا في البلاد ليس لديهم احساس بالانتماء الى اليهودية العالمية » وبالتالي لا يرون «اليهودية العالمية»

.............................. ...... .        ..

→

نزوح مهاجري الاتحاد السوفياتي، انه نزح في السنوات الثلاث الماضية٥٠٠٠ من مهاجري الاتحاد السوفياتي على الاقل ·

وفي ٢٩ـ١٠ـ١٩٧٤ نشرت «معاريف» معطيات من دراسة اخرى اجرتها وزارة الاستيعاب حول ظاهرة النزوح بالنسبة الى المجموع الكلي للمهاجرين، جاء فيها : «لقد نزح في السنة ٧٣ـ٧٤ ، ٤بالمئة ،من مهاجري ٧٠ـ٧١ (٠٠٠) وبينما وصل معدل النزوح بعد سنة ، الى ٣بالمئة بين اولئك الذيـن وصلـوا في ٧٢ـ٧٣ بصفة مهاجرين (خصوصا من الاتحاد السوفياتي وصـل الى ٩ بالمئة بين المهاجرين المحتملين من الغرب) بعد سنة من هجرتهم» ·

اما بالنسبة الى النزوح بشكل عام فليست هناك ارقام دقيقـة يمكـــن الاستناد اليها لكن التقديرات تشير الى نزوح بمعدل ١٠،٠٠٠ شخص سنويا· فحسب معطيات كتاب الاحصاء السنوي ١٩٧٤ غادر اسرائيل منذ اقامتهـا حتى نهاية العام ١٩٧٣ ولم يعد الى البلد ٢٦٣ر٤٠٠ شخص · ( «هآرتس » ، ٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ ) ·

منتمية الى اسرائيل » (١) ٠

و « السابرا » هـــــم المولودون في فلسطين المحتلة من آباء مهاجرين ، وهم « اشكنازيون » سعى « الـرواد » الاول للمهاجرين الى ان يخلقوا منهم نموذجا للانسان اليهودي الجديـد في فلسطين المحتلـــة ، اي انهـــم النموذج القـــومي الاجتماعي « للمستوطن اليهودي » (٢) ٠

## ٣ ـ تعميق الخلافات الدينية وتنوع التفسيرات المذهبية (٣) :

ادى قيام الكيان الصهيوني ايضـــــا الى ان توضع العقيدة اليهودية نفسها موضع التدقيق فطالما ان قانون هـــذا الكيان يعطي الجنسية لاي يهودي تطأ اقدامه ارض فلسطين فقد ترتب على ذلك تحديد من هو اليهودي بالضرورة ؟ وقد ادى هذا الخلاف الذي اتخذ « طابعا دينيا » الى ازمات سياسية ٠ فقد اعتمد الصهيونيون الاول « الدين » مقياسا للجنسية ، وهم لا يستطيعون الآن التخلي عن هذه الفكرة العنصرية بعد ان جسدوها في كيان نظامي ٠ وانتقل الخلاف من رجال الدين ( وهـــم ليسوا معزولين عن التنظيمات السياسية ) الى الاحزاب السياسية الى المحاكم الدينية والمدنية الى البرلمان والى الصحافة بالطبع ٠

وحتى شهر تموز ـ يوليو ١٩٧٤ ، كانت المناقشات والازمات حول هذا الموضوع ما تزال حادة وتؤثر تاثيرا مباشرا على اشتراك

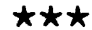
١ ـ اليهودي غير اليهودي ، اسحق دويتشر ، ص ٨٧ ٠

٢ ـ د٠ قدري حفني ، شباب عجوز ، دراسة غير منشورة ٠

٣ ـ للاستزادة : راجع كتاب الدولة والدين في اسرائيل ، دراســـات فلسطينية ٣٧ للدكتور اسعد رزوق ٠

حزب المفدال في حكومـــة رابين مثلا (١) • ومـــن المؤكد ان هذه المشكلة ستزداد حدة مع الايام • فوجهة النظـــر الدينية اليهودية تعتبر ان من لم يولد من ام يهودية ليس يهوديـا ، وفي الوقت نفسه تعارض الجهات الدينية الزواج المختلـــط ، الى جانب عشرات من التفاصيل التي تذوب ، او التي لا تضع لها جماهير اليهـود اعتبارا كبيرا في حياتها اليوميـة في مجتمعاتهـــا الاصيلة ، والتي تبرز بحدة عندما يطأ احدهم ارض فلسطيـن المحتلة • فهنا جواز المرور مرهون بصيغة محددة قانونية !! اليس من الغريب بعد ذلك وقد افتقد « اليهـود » تصورا موحـــدا حول « اليهودية » ان يقـــال انها قوميـــة ••

الخلاصة ، ان الصهيونية في « التطبيـــق » ، اي في شكلها المجسد بالكيان الصهيوني قد اثبتت انه لا توجـــد قومية يهودية ، ولا امة يهودية • كما اثبتت ايضا استحالة قيـــام مؤسسة نظامية حكومية ( دولة ) على اساس « الدين » وحده • ذلك لا ينفي وجود « مشكلة يهودية » وهي مشكلة اوجدتها اشكال الاستغلال المختلفة عبر تاريخ المجتمعات البشرية • وهي لا حل لهـا الا بالقضاء على كل اشكال الاستغلال نفسها مما يسمح بالغاء كافـة اشكال التقسيم والتمييز بين البشر • ان « **التمثل** » هو حل المشكلـــة اليهودية ، بينما قيام الكيان الصهيوني واستمراره هو تعقيد لها وعرقلة في طريق حلها كما سنبين في فصل لاحق •



---

١ ــ راجع ر٠٦٠١٠ ، ١٠ــ٧ــ١٩٧٤ ، حول صيغة الحاخام الاكبر جورين عن من هو اليهودي •

## القسم الثاني

### ثانيا ـ حول مستقبل ظاهرة التجمع الاسرائيلي :

في ١٩٤٨ ، وقبلها بسنوات قليلة ، نجحت مؤامرات الاستعمار والصهيونيـة في ان تتجسد عـلى ارض فلسطين مؤسسات ذات طابع خاص (١) ، اعلنت عن نفسها في «دولة» هي «اسرائيل» ٠

ولا شك ان تلك الخطـوة شكلت **تغييرا جوهريا** على الساحة الفلسطينية ، واضافت عاملا جديدا الى العوامل المتفاعلة على هذه الساحة ٠

في مواجهـة هذا العامل ، اختلفت المواقـف ، وتغيرت ، بعضها الى مزيد من العنصرية ( القوى الصهيونية ) ، وبعضها الى عنصرية معاكسة ( القاء اليهود في البحـر ) ، وبعضها في ذلك الوقت واجه اختيارا صعبا ٠ ان المعارضة لقيام كيان صهيوني لم تنجح ، ولذا فعندما قام « الكيـان » وحظي بالتأييد الفعلي حتى من معارضيه (٢) حاول البعض منهم الوصول الى مخرج بأن طرح فكرة « تطور المجتمـع الاسرائيلي » نفسه الى ظاهرة متمايزة ليس

---

١ ـ مستوطنات وشركات ومباني وتغطيات عسكرية وسياسية اقتصرت العضوية فيها والمساهمة في نشاطاتها على «اليهود» وحدهم ، وتقودهم جميعا الوكالة اليهودية التي تتحدث باسم الحركة الصهيونية ٠

٢ ـ الموافقة على قرار التقسيم من جانب الذين ظلوا يعارضونه حتى عشية تنفيذه ٠

فقط عن السكان العرب الاصليين ، وانما ايضا عن سكان البلاد التي قدموا منها : اي تطـــور هذا المجتمـــع البشري الى أمة مستقلة ؛ والبعض يكتفي ، لعلمه بعدم امكان فكرة الامة هذه للصمود ، بالقول بأنه تطور الى « جماعة بشرية متمايزة » اي اقلية قومية ، او قومية ناقصة ٠٠ الى آخر تلك المحــــاولات التي بررت وتبرر استمرار هذا الكيان واقتصار المواقف منه على معارضة « سياسته التوسعية » او « قوانين التمييـــز فيه » او « سياسته العدوانيـــة » او « ارتباطه بالامبريالية الامريكية » دون معارضة استمراره ٠

ولكن الايام حملت لهؤلاء ما يناقض افكارهـــم ، فقادة الكيان الصهيوني الآن **يعترفون** صراحة بأن هناك مشكلة في داخل التجمع الاسرائيلي اسمها مشكلة « الاستيعاب » ويحـــاول بعضهم تصوير هذه المشكلة بأنها بسبب « نقص المساكن » او « اخطاء لدى اجهزة الهجرة » او « تقاعس العاملين في الوكالـــة اليهودية (١) ٠ وكلها اسباب نعتقد انها ثانوية ، بل نعتقد ان الاسباب الجوهرية لما يواجهه هذا التجمع البشري تكمن في افتقاره الى شروط تمايزه التاريخية ، بحيث يمكن ان يشكل امة ، او حتى يشكل ظاهرة متمايزة ٠

ان الامة ، او اي جماعة بشرية متمايزة ، لا بد ان تتوفر لها شروط معينة ، يمكن ان نعددها بايجاز فيما يلي :

١ ــ ان يتوفر للمجموعة البشرية المعنية **تآلف تاريخي** ٠

٢ ــ ان يتوفر لهذه المجموعة ، وبالضرورة في حالـــة التآلف ، **لغة واحدة** ٠

٣ ــ ان **تستقر** هذه المجموعة البشرية على **ارض** محددة ، حدودها

---

١ ــ هناك اشارات كثيرة الى ذلك في الصحف الاسرائيليـة ، ولكـن حديث بنحاس سابير مع صحيفة «معيريب» المنشور في العدد (١١) من نشرة الارض يجملها جميعا ويعترف بأن المشكلة هي مسؤولية «الثلاثة ملايين يهودي الذين يرفضون التفاعل مع القادمين الجدد» ٠

اللغة والتبادل والسوق والانتاج واستخلاص الثروة على مدى تاريخي ٠

٤ ــ ان يكون لهؤلاء ثقافة مشتركة تعبر عن تكوين نفسي مشترك٠
٥ ــ ان يكون لهم اقتصاد مشترك بحيث يمكــــن تمييزه في الواقع الاقتصادي المتشابك ، حتى وان كان خاضعا او تابعا ٠

هذه هي الشروط اللازم توفرها لكي تتمايـــز مجموعة بشرية عن اخرى ٠ ومن الطبيعي انه ليس شرطـــا ان تكون كلها مكتملة ، بل يكفي ان تكتمل لها الشروط الثلاثــــة الاولى « التآلف ــ اللغة ــ الارض » حتى تكتمل لها بقية الشروط بعــــد ذلك ، وانما ذكرناها جميعا لنبين انها جميعا غير قائمة ٠

## اولا ــ هل تآلف سكان التجمع الاسرائيلي تاريخي ؟

ونضيف ايضا ، وهل هناك فرصة تاريخية مقبلة لتآلفهــم ؟

الاجابة لا قطعا ، الامر على العكس ، فان هذا التجمع يعاني « **تمايزا** » **لا** «**تآلفا**» كما كان يتوقع له ٠

في نيسان ــ ابريــــل ١٩٧٤ اجتمــــع ستون مندوبا يمثلون « الاتحاد العالمي لليهود الشرقيين » « وكان هدف هذه الاجتماعات تقريب اليهود الشرقيين من الحركة الصهيونية وزيادة تمثيلهم في المؤتمر اليهودي العالمي والوكالة اليهودية والعمل من اجل القضاء على الفوارق الاجتماعية والطائفية » وكـــــان من ضمن القرارات « العمل بالتعاون مع رئيس الدولـــــة للقضـــاء على **الهوة الطائفية** والاجتماعية في اسرائيل » (١) ٠

و « النزوح » من فلسطين « ليس ظاهـــرة جديدة بل هي قائمة منذ تأسيس الدولة » (٢) ولكنها طبعا في ازدياد ، لدرجة انهم الآن

---

١ ــ ر٠١٠١٠ ، ٣٠ــ٤ــ١٩٧٤ ٠
٢ ــ ر٠١٠١٠ ، معلق اسرائيلي ، ٣٠ــ٣ــ١٩٧٤ ٠

يناقشون علنا ما يسمى « بمشكلة الاستيعاب الاجتماعي » ، فيقول ابراهام تيروس في « معاريف » في ٥ـ١١ـ١٩٧٤ « يبدو اكثر فأكثر ان الاستيعاب الاجتماعي هو عامل حاسم في ارتباط المهاجر وتجذره في البلد في شكل لا يقل عن الاستيعاب في العمل وعن ايجاد سكن ملائم له · فالمهاجر يسكن شقة جيدة ويعمل في مهنته ، لكنه يجد نفسه بعد انتهاء يوم العمل في « **سجن اجتماعي** » (١) (التأكيد من عندنا) ·

سجن اجتماعي ·· هذا هو ما ينتظر « المهاجر » الى فلسطين المحتلة ·· اي ان « التمايز » وصل حدا يجعل الانسان يعيش منفردا ··

ولنضف الى هذا « التصريح » عشرات ، بل مئات من التصريحات والدراسات والابحاث التي تتناول ما يعد « اخطر ما يواجه » الكيان الصهيوني الا وهو التمايز بين الاشكنازيم والسفارديم ، اي بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وما بينهم من «فجوة» **تتزايد** على الدوام ··

هذا هو واقع التجمع البشري في الكيان الصهيوني ، وهو « واقع » له اسبابه الموضوعية اي التي تفرض « وجوده » على هذا الشكل ، وحركته في **اتجاه اللاتآلف** اي في **اتجاه التمايز والانقسام** ·

ورغم انه من البديهي ان التآلف يحتاج لعامل او اكثر من عوامل تشكيل الامة او الجماعة البشرية المتمايزة مثل اللغة كوسيلة للتخاطب ، او علاقات اقتصادية متبادلة ، او مهام ودور انتاجي واحد ( وهو ما ليس متوفرا كما سنبين فيما بعد ) الا اننا سنمضي في مناقشة المنادين بوجود هذا التآلف بحجة مرور ربع قرن على قيام هذا الكيان ، او مرور اكثر من ٧٥ عاما على بدء

.........

١ ـ ن·م·د·ف· ، ١٤ـ١٢ـ١٩٧٤ ·

الهجرة ، ويفترضون ان ذلك يمكن ان يخلق « تآلفا » تاريخيا ، بين سكانـه ·

لم يكن التآلف ممكنا ، **وهو غير ممكن** في المستقبـل للاسباب التالية :

١ ــ الجماعات التي قدمت الى فلسطيـــن ، لم تأت من بلد واحد ، ولم يكن يجمعها قبل ان تأتي الا « الـــدين » وحتى بالنسبة للدين كانت تختلف عن بعضها البعض وما تزال مختلفة حتى الآن ·

٢ ــ ان هـــذه الجماعات لم تصـــل الى فلسطين في وقت واحد ، **ولا حتى** في اوقات **متقاربة** ، **ولا حتى** في اوقات **متشابهة** ، فقد بدأت الهجرة مع مطلع القرن ، واستمـرت بتدرجات متفاوتة · ومنذ مطلـع القـــرن حتى الآن تغيرت ظـــروف العالم ، وظروف فلسطين ، وحتى ظروف المستوطنات الصهيونيـة ، بحيث ان «١/٨ سكان اسرائيل جاءوا قبل عام ١٩٤٨ ، ومن هؤلاء ٥/٦ جاءوا من الغرب » (١) · ولكن هذه النسبة انقلبت بعد ذلـــك وهبطت نسبة القادمين من اوروبا وامريكا بحيث لم تتعدّ ٣٠ بالمئة في ١٩٦٥ (٢)· بينما زادت نسبة السكان القادمين من آسيا وافريقيا من ٨ر٤ بالمئة عام ١٩٤٨ الى ٧٥ر٤٨ بالمئة في ١٩٦٢ (٣) ·

٣ــ بالاضافة الى ان هذه الجماعات لم تصل في وقت واحد ، ولا من مكان واحد ، فانها ايضا لم تصل في ظـــروف متشابهة : لا من حيث **دوافع «المجيء»** ولا **«ظروف المجيء»** المحليـة والعالمية ولا

1 — The Challenge of Israel , Misha Lowish , Israel University press 1968 , p. 189 .

٢ ــ سكان اسرائيل ، تحليـــل وتنبؤات ، دراسات فلسطينية ، احمد حجاج ·

٣ــ اسرائيل امة مفتعلة ، د· فرانتس شايدل ، دمشق · كمـا يمكـــن الحصول على مزيد من الارقام حول نسبة السكان القادمين الى فلسطيـــن المحتلة حسب بلادهم الاصلية بالرجوع الى المصادر الثلاث السابقة وغيرها مما يتناول الاحصاءات السكانية في اسرائيل ·

ظروف «الاستيعاب» في فلسطين المحتلة · هذا بالاضافة الى الذين ولدوا في فلسطين المحتلة من ابناء مهاجرين قدامى · هذا ما يفسر تفاوت معدلات الهجرة الى فلسطين المحتلة ، وتذبذبها · بل ان الاحصاءات تشير الى ان الهجرة من فلسطين المحتلة الى خارجها ( الهجرة المعاكسة ) زادت عن الهجرة اليها في عام ١٩٢٧ ، اما في عام ١٩٢٨ فان صافي عدد المهاجرين كان عشرة اشخاص (١) · كما ان ظروف الهجرة في مطلع القرن تختلف قطعا عن ظروفها في منتصف القرن ـ وهذا ما يفسر لماذا غلب عنصر الاشكنازيم على موجات الهجرة الاولى بسبب ازمة النظام الرأسمالي وبروز الفاشية والنازية ، بينما غلب عنصر السفارديم بعد قيام الكيان الصهيوني (٢) · كما يفسر ايضا ازدياد موجات الهجرة بعد حرب يونيو ـ حزيران ١٩٦٧ ، وعودتها الى الهبوط بعد ذلك ، وازدياد نسبة النزوح والتساقط بعد حرب تشرين ـ اكتوبر ١٩٧٣ ·

٤ ـ ان وسائل « الاستيعاب » الصهيونية التي كان من المأمول ان تعيد صياغة الموجات القادمة من المهاجرين صياغة واحدة قد فشلت وستفشل · فالى جانب ما يواجه الكيان الصهيوني من ازمات اقتصادية ، نجد « التناقض » الذي يعيش فيه سكان هذا الكيان حيث هم على صلة « يومية » بأهلهم في البلاد التي قدموا منها ـ سواء عن طريق تطور اجهزة الاتصال كالاذاعة والوسائط المشابهة الاخرى على المستوى العالمي ، او حتى بالزيارات والتراسل المباشر

..................

١ ـ راجع الصهيونية واسرائيل وآسيا ، ج· هـ· جانس ·

٢ ـ اسباب هجرة السفارديم متعددة ولكن اهمها قيام الكيان الصهيوني، وحرب ١٩٥٦ وما سببته من ردود فعل داخل البلاد العربية ، ومؤامرات الصهاينة انفسهم لتهجير اليهود من هذه البلاد ، والدعايات التي ضللت السفارديم حول الجنة الاسرائيلية ·· الخ · راجع في هذا الشأن :

The Challenge of Israel , Misha Lowish , I.U.P. , 1968 .

بينهم وبين اقاربهم ـ وحيث هم في الوقت نفسه يعيشون « ظروفا خاصة بهم » ، كل ذلك يجعلهم لا يستقرون على صيغة ثابتة لهم جميعا · ان المراسلين يسجلون ان « الاسرة » القادمة من رومانيا مثلا وتقيم في ضواحي حيفا ، لا تزور « الاسرة » القادمة من «الاتحاد السوفييتي » والقاطنة في جوارها ، وانما تسافر حتى بئر السبع لتزور « اسرة رومانية » اخرى تعرفها · كما تكشف التقارير عن التمييز العرقي داخل هـذا الكيان ان « يهود » بولندا في ضواحي تل ابيب رفضوا بشدة السكن مع « يهود » المانيا في الحي نفسه · حتى « المؤسسة العسكرية » ( جيش اسرائيل ) التي كانوا يأملون وما يزالون ، ان تقوم بصهر القادمين وتوحيدهم ، والتي يتعلم فيها المجند العبرية كما يتعلم كيف يقتل العرب ، حتى هذه المؤسسة فشلت باعتراف شلومو هليل ، وهو يهودي شرقي ، واحد اثنين من بينهم وصل الى مرتبة « الوزير » · يقول : « لقد اعتقدنا طوال السنوات الماضية ان مؤسسة الجيش الاسرائيلي ستتمكن من صهر الفوارق الاجتماعية القائمة بيننا في بوتقة واحدة · اما اليوم فقد اصبحنا نعرف بأن هذه المؤسسة لم تستطع حل هذه المشكلة بعد ان خرج الناس من الجيش بنفس الشعور الذي دخلوا به » (١) (٢) ·

لم يكونوا متآلفين ، ولم يتآلفوا ، ولن يحـدث ذلك ايضا في المستقبل ، اذ لا يتوفر « لهم » عـامل واحد في سبيل التآلف ·

١ـ معريب، ١٣ـ١٠ـ١٩٧٤، عننشرة الارض العدد الرابع للسنة الثانية·

٢ـ لنقارن هذه النتيجة المعترف بها بما يقدره واحد من علماء الاجتماع عندما يقول «ان الطابع القومي هو ذلك الجزء من الطابع الذي يكون مشتركا بين مجموعات اجتماعية بارزة والذي وفقا لتعريف علماء الاجتماع المعاصرين يكون نتاجا لخبرة تلك الجماعات · وفي المجتمع الصهيوني ليس اكثر شمولا من الخدمة العسكرية ، ومع ذلك فانها فشلت في توحيدهم» ·

The Psychology of Personality, Reisman, David N. Y., 62.

## ثانيا : هل لسكان التجمع الصهيوني لغة واحدة ؟

التالف بين المجموعات البشرية يؤدي الى ظهور اللغة : تقول ايلينا مودرجنسكايا « ان لتكوّن الامم جذوره في النشاط التاريخي للجماهير الكادحة فتوسيع نشاطات الناس المنتجــــة وصلاتهم ادى الى ظهور اللغة » (١) ٠

واللغة ايضا تؤدي الى التالف ، فاللغة وعاء التاريخ ٠

وتتضافر الدعايات الصهيونية بأنها احيت اللغــــة العبرية ٠ فهل صحيح ان للتجمع الاسرائيلي لغة واحدة ؟ وهــــل هذه اللغة هي « وعاء تاريخ » هذا التجمع ، وهل ظهـــــرت هذه اللغة نتيجة للنشاط التاريخي للجماهير الكادحــــــة ؟ الاجابـــة واضحة : لا قطعا ٠٠٠

فاللغة الموجودة الآن والمستعملة «رسميا» ( هي لغة الادارات والصحافة الصهيونية ) ليست هي بأي حال لغة التوراة « العبرية » ذلك انه « نشأت كلمــــات جديـــدة عــــلى يد المعلمين والمؤلفين والصحفيين والعلماء ورجال الادارات والتقنيين ٠ كما ان مصدرا هاما «لاغناء» اللغة كان نشاط المترجمين من اللغات الاجنبية الذين وجدوا المصادر العبرية غير كافية لاغراضهم ٠ كما انتــــج الاطفال والشباب الآلاف من التعابير العامية والسائغة دخل اغلبهــا في لغة الحديث العادي برغـــــم ان بعضهـــــا ما يــــزال يستثير عبوس

..........

١ ـ الامم والمسألة القومية ، مودرجنسكايا ايلينا، دار التقدم ، موسكو٠

المترجمين » (١) ·

ولا يتكلم كل سكان التجمع الاسرائيلي العبرية · في ١٩٤٨ « كان ٣/٤ السكان يتكلمون العبرية وهبطت النسبة هذه الى ٦٠ بالمئة في عام ١٩٥٠ » (٢) ·

وهناك الى جانب الصحافة التي تصدر بالعبرية الجرائد الآتية : جيروسالم بوست بالانجليزية ، واليوم بالعربية ، وصحف اخرى باللغات الالمانية والهنغارية والفرنسية والبولندية واليديشية والبلغارية والرومانية بالاضافة الى دوريات بهذه اللغات وباللغات الاسبانية والالدينوا والفارسية (٣) ·

« كما تقدم الاذاعة الاسرائيلية برامج باليديشية واغاني فولكلورية في برامجها العامة وكثيرا ما تقدم عروضا مسرحية باليديشية واحيانا باللغات الاخرى » (٤) ·

وتقول الدراسات المنشورة عن المجتمع الاسرائيلي « ان ثلثي اليهود الذين يزيد عمرهم عن العامين يتحدثون لغة اخرى بالاضافة الى العبرية » (٥) ولو عرفنا ان ٩٧٦ر٠٠٠ من السكان (٦) ولدوا في فلسطين المحتلة ، اي حوالي ثلث المستوطنين ، وان الاحصاء السابق يشمل من يزيد عمرهم عن « عامين » وان كل المولودين يلقنون العبرية من خلال مؤسسات التنشئة الموجهة ، لتأكد لنا ان الطفل يلقن لغة اخرى في البيت هي لغة آبائه · ذلك « ان الدور يبدأ بأن يتعلم الطفل

.. .. .. ......... ........... ...............

1 — The Challenge of Israel , p. 213 .

٢ ، ٣ ، ٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٢١٤ ·

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ ·

6 — Statistical Abstract of Israel , 1967 .

اولا لغة المحيطين به ، اي اسرته ، فالاسرة هي معلم اللغة الاول » (١) ٠

والاسر اليهودية التي انتقلت او نقلت الى فلسطين لم تكن تتكلم العبرية في بلادها الاصلية ذلك « انه بين اندثار اللغة العبرية ومحاولة احياءها مضى ما يقرب من عشرين قرنا من الزمان حافلات بأحداث جسام ٠ لقد تشتت اليهود واندمج منهم من اندمج من شعوب جديدة واختلط منهم من اختلط بأبناء الامم والقوميات والاديان المختلفة ولم يعد ثمة «جنس» يهودي له لغته المتميزة الواحدة المشتركة » (٢) ٠ هذه هي الحقيقة الواقعية ، والدليل القاطع عليها ، ان الداعية الاول « لدولة اليهودية » تيودور هرتزل في مخططاته للدولة اليهودية تصور ان يتكلم المهاجرون لغاتهم المختلفة وتوقع ان تصبح « **الالمانية اللغة الام** » (٣) ( التأكيد من عندنا ) ٠ كان ذلك هو التصور في مطلع القرن ، ولكن القائمين على شؤون التجمع الصهيوني ادركوا اهمية احياء او اصطناع هذه اللغة « العبرية » كمقوم اساسي لقوميتهم المصطنعة (٤) ٠ وليس الغريب هو محاولة احياء لغة ميتة فحسب (٥) وانما الغريب حقا

..... ... ..... .... ..... .

١ ـ قدري حفني ، تجسيد الوهم ، ص ١٤٩ ، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، الاهرام ، مصر ٠

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ٠

٣ ـ المذكرات ص ١٧١ ، هرتزل ، عن كتاب الصهيونية واسرائيل واسيا ، ج٠ هـ٠ جانسن ٠

٤ ـ قدري حفني ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية الاشكنازيم ، ص ١٣١ ٠

٥ ـ حديث للمستشرق الايطالي اميرتو روزيتانو مع مجلة المجاهد الجزائرية، ديسمبر ـ كانون اول ١٩٦٨ ٠

هو انها لم تكن اللغة الأم لاحد على الاطلاق وانه لم يكن ثمة متكلمون بأي لهجات وثيقة الصلة بها (١) ٠

اللغة العبرية « غير السائدة » وانما الرسميـة ، والمستخدمة الآن في التجمع الاسرائيلي ، هي لغة قديمـة ، ماتت ، واعادوا لها الحياة قصدا ، وهو عمل ضد التاريخ (٢) ولذا لن ينجح ، « ليس فقط لان المنجزات الاسرائيلية في مجـال التعليـم القومي رغم ما تحظى به مشكلاتها حاليا من اهتمام بالغ واعتمادات مالية تعد اقل بكثير من المنجزات الاسرائيلية في الزراعـة او الصناعة او الامن القومي » على حد قول جورج فريدمان في كتابه « اهي نهاية الشعب اليهودي » (٣) ، وانما ايضا لان الخبرة التاريخية تقول انه لا يمكن صك لغة حسب الطلب ، وانما هي كما ذكرنا نتاج النشاط التاريخي للجماهير ٠ هذا النشاط الـذي أدى الى تمايز الجماعات البشرية فتمايزت بذلك لغاتهم ومن ثم عـرفت تمايزهم هم ٠ بينما الرؤية التاريخية تدلنا على ان اتجاه الجماعات البشرية الآن ليس هو بأي حال الى مزيد من التمايز ، بل هو على العكس على طريق الاندماج ٠

**ان اللغة اساس القومية ٠ هذا قول حق ، ولكن « اللغة » هنا هي كما ذكرنا نتاج النشاط التاريخي للجماعات البشرية ، وليست نتاجا «لقرار»** ، ومشروع ، تنفذه مؤسسات لا يستطيـع حتى قادتها ان يؤمنوا به فعلا ٠ يشهد اسحق دويتشر ( ذلـك الذي تخلى عن عدائه للصهيونية منذ زمن ) في كتابـه « الهيودي غير اليهودي » يشهد بأنه « في تل ابيب ، في مبنى الهستدروت الجديد المهيب يكون بعض القادة على رسلهم عندمـا يتحدثون بالروسيـة اكثر منهم عندما يتحدثون اي لغة اخرى ، رغم انهم هاجروا مـن روسيا منذ

.... ........................ .. .........

Language problems of Developing Nations

١ ــ حاييم بلانك في

عن رسالة الدكتور قدري حفني السابق ذكرها ٠

٢ ــ حديث المستشرق الايطالي اميرتو روزيتانو السابق ذكره ٠

٣ ــطبعة نيويورك ، ص ١٦٨ ٠

اكثر من ثلاثين عاما » (١) • هذا عن القادة ، وفي تل ابيب ، وبعد ان هاجروا بثلاثين عاما ، فكيف يكون الحال مع الذين هجروا منذ اعوام قليلة ولم يستطيعوا حتى الآن استيعابهم ؟!

**ثالثا : هل لهذا التجمع الاسرائيلي ارض ؟**

انهم طبعا موجودون الآن على ارض •• فكل انسان موجود على ارض ما • ولكن المقصود « بالارض » عند الحديث عن القومية، او الامة ، او حتى التمايز التاريخي لجماعة بشرية ، **هي « الارض » التي لها حدود** • ولا نقصد الحدود السياسية ، فهذه قد تختلف من عصر الى عصر ، ومن مرحلة الى مرحلة ، وانما الحدود التي تتكاتف عوامل طبيعية وجغرافية وتاريخية على تحديدها ، فتستقر عليها هذه الجماعة البشرية وتنشط لتعميق استقرارها على هذه الارض وانتمائها لها •

ومنذ زمن بعيد بعيد ، استقرت الجماعات البشرية التي تشكلت لكل منها لغة مميزة وعلاقات انتاج متبادلة ومحددة ، استقرت على بقع من الارض • ومع تطور المجتمع سرعان ما تبلور عن استقرارها هذا حدود سياسية واصبحت وطنا لكل منها ، واكتسبت هذه البقاع من الارض اسماء تعرف بها على الخارطة المرسومة والمكتوبة •

ولا شك ان الحدود السياسية تغيرت وتتغير من عصر الى عصر ، ومرحلة الى مرحلة ، ولكن «الارض» بشكل عام تظل محافظة على وجودها ، ويدور القتال حول حدودها ، **فان ذابت هذه الحدود فالى مزيد من « الوحدة القومية » وبروز دول ( اي حدود سياسية ) اوسع واقوى واكبر •**

---

١ ــ ص ٩٥ •

وتبين الدراسات التاريخية ان اللغـــة لعبت دورا اساسيا في تحديد حدود « الارض » اي ارض الوطن · ذلك ان اللغة هي وسيلة « التبادل » الاقتصادي اليومي ، كما انها وسيلـة التبادل والتفاعل الثقافي والفكري بل والتصاهر والتزاوج والعلاقات بين الناس · اذ « لا يمكن ان تقوم اية صلات جماعية بين قوم يتكلمون لغات مختلفة دون ان يفهم احدهم لآخر » (١) ·

ولكن اللغة وحدها ، وان حددت حدود أرض الوطن ، لم تلعب، من الناحية التاريخية ، الدور المباشر في الاستقـــرار على ارض · وانما الذي لعب هذا الدور هو النشاط الانتاجي الجماعي للجماعة البشرية ، الذي اعتمد اساسا على استخلاص ثروات الامة بواسطة زراعتها · وهكذا فانه عندما كانت احدى الجماعات البشرية المتجولة تعثر على بقعة ارض تتوفر فيها ظروف مناسبـــة طبيعية وجغرافية واقتصادية ، فانها كانت تتحول عن تجوالها ( الصيد والرعي ) الى الاستقرار ( الزراعة ) الذي عبر عن وجوده تاريخيا بانتقال المجتمع البشري من مرحلة المشاعية البدائية الى مرحلة المجتمع العبودي فالاقطاعي · لذلك تحولت الارض ، الى احــــدى قوى الانتاج ، اذ نشأت بينها وبين الانسان « علاقة » هي احــــد نوعين متحدين من العلاقات تحدد اسلوب الانتاج ، وكان النوع الثاني هو العلاقة بين الانسان والانسان · ومع تطور وتراكم العمل الانساني عبر القرون

..........................................

١ ـ المادية التاريخية ، ف· كيللي ـ م· كوفالزون ، ترجمـة احمــد داوود ، دار الجماهير ، دمشق ، ص ٨٨ ·

مستخدما الارض ، كمصــــدر للثروة وكوسيلــة للانتاج (١) ، اصبحت الارض « وطنا » يلعب دورا ليس فقط في الانتاج ، وانما ايضا فيما ينعكس عن العلاقة به في البناء الفوقي من مشاعر قومية، هي في جانب اساسي منها مشاعر الانتماء لهذه الارض (٢) ٠

**هناك اذن شروط لا بد من توافرها لكي يمكن القول بان هذه « الارض » هي وطن هذا « الشعب » ٠ هذه الشروط بايجاز هي :**

١ ـ ان تكون هذه الجماعة البشريــة ( الشعب ) قد تواجدت عبر مراحل تاريخية على هذه الارض ، وعملت فوقهــا ( اي نشطت انتاجيا وبشكل جماعي ) ٠

٢ ـ ان كانت الارض ، مــــن خلال النشاط الانتاجي البشري الجماعي ، هي مصدر « التراكم الاولي » لهذه الجماعة البشرية ، بحيث تجمع لها ثروات مادية يدور الصراع حــــول طريقة توزيعها ( صراع طبقي ) ، اي ان هذه الجماعة اصبحت « مجتمعا » من خلال تطور نشاطها الانتاجي وعلاقاتها فيما بينها ، وان العلاقة هي بين الارض وبين هذا المجتمع ٠

يقــــول ف٠ كيللـــــي و م٠ كوفالزون في كتابهمــــا « المادية التاريخية » : « ان العمل يوجد في المجتمـــع فقط وان الانتاج هو دائما اجتماعي ، ولهذا فان علاقة الانسان بالطبيعة في عملية النشاط العملي ينبغي الا ينظــــر لها كعلاقة انسان معين وانمــــا كعلاقة المجتمع بالطبيعة ٠ ان علاقة الانسان بالطبيعة توجد دائما في اطار مــن العلاقات الاجتماعية المعينة وعندما يدخـــل الناس في **علاقات الانتاج الضرورية** فانهم يدركون تلك العلاقات بصورة او بأخرى ٠

---

١ ـ اي كموضوع للعمل ووسيلة في الوقت نفسه ٠

٢ ـ ليسا غريبا ان تكون كلمة الوطن هي كلمة البيت في معظم لغــات العالم ٠

وهكذا فان وعـــي الطبيعة ووعـــي الحياة الاجتماعيـة هو بكليته نتاج للتطور الاجتمـاعي وينشأ عـــن متطلبات الانتاج الاجتماعي ويوجد في المجتمع فقط وللمجتمع ، ولهذا كان وعيا اجتماعيا» (١)٠ ( التأكيد من عندنا ) ٠

٣ ـ ان الشعور بالانتماء الى ارض بعينها ٠٠ وطـــن ، هو جزء من « الوعي الاجتماعي » الذي يجمع بين الوعي الاعتيادي وبين الوعي العلمي بالواقع (٢) وان هذا الوعي الاعتيادي يشمل :

أ ـ التجربة المتراكمة خـــلال قرون كثيرة والناتجة عن النشاط العملي وكذلك المعارف الضرورية للعمل ٠

ب ـ المقاييس الاخلاقية التي تكونت في الحياة اليومية وفي العمل وكذلك الحـــق العادي ومجموعـــة التصورات عـن العالم المحيط ٠

جـ ـ الانتاج الفني الشعبي الذي يعكس تجربة الجماهير الحياتية ومطامحها في شكل اجمالي (٣) ٠

٤ ـ ان هذا « الوعي الاجتمـــاعي » بالانتماء لأرض بعينها ـ لوطن ـ يخضع ، شأنه شأن كافـــة ظواهـــر الوعي الاجتماعي الاخرى ، لعملية التبادل الجدلية في التأثر والتأثير بالواقع الفعلي، لذا فان نشاطا انسانيا كالدفاع عـــن الارض في وجه غزو مثلا من شأنه تعميق الاحساس بالانتماء لهـــذه الارض والعكس صحيح بالنسبة للرأسمالية الاحتكارية مثلا ، وهي التي لا تعترف بحدود وطن او حتى بانتمائها لوطن ٠

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٦٦ ٠

٢ ـ انتي دوهرنج ، ص ٦٦ ٠ استخدم انجلز تعبير الوعي الاعتيادي للتمييز بينه وبين الوعي النظري العلمي ٠

٣ ـ المادية التاريخية ، ص ٦٨ ٠

مما سبق يتأكد اولا خطأ الفكرة القائلة « بالقومية اليهودية » فلم يحدث ان كان « لليهود » نشاط اجتماعي منفصل عن بقية الشعوب التي عاشوا بينها ومعها فوق الارض نفسها (١) ٠

ويبقى ان نناقش هل يمكن ان تقوم الارض التي اغتصبها الصهاينة بدور الوطن لهم ٠

وسنطرح فيما يلي كل الاسئلة ، ونحاول الاجابة عنها :

١ ـ هل بقيت ارض فلسطين طوال ٢٠٠٠ عام في الوعي الاجتماعي للذين قدموا الى ارضها بعد ذلك ؟ وهل كانت بذلك دافعا لهم للمجيء ؟

هذا ما يدّعيه الصهاينة : ان « ارض الميعاد » هي التي تجذب المستوطنين اليها ٠ لو ان هذه المقولة صحيحة ، لأمكن تصور تحول فلطسين المحتلةالى وطن لهؤلاء المستوطنين ولكنها غير صحيحة ٠٠ والأدلة على كذب هذا الادعاء هي :

أ ـ ان هرتزل وهو الداعية الاول لدولة الصهاينة ، لم يكن يتخيل فلسطين وحدها مكانا لهذه الدولة ، بل تخيل معها الارجنتين ، وطرحت بعد ذلك اوغندا كوطن ممكن ٠ ولو ان فلسطين كانت فعلا موجودة في الوعي الاجتماعي ليهود العالم ، لكان من الطبيعي عندئذ ان لا يصير عليها اي خلاف ، ولا ان تطرح بدائل غيرها خصوصا من الذي تصدى للدعوة للدولة الصهيونية ، اي هرتزل (٢) ٠

---

١ ـ سبق مناقشة فكرة القومية اليهودية وعدم صحتها بل رجعيتها كلية ٠ لا توجد ارض واحدة محددة ، بالمقاييس التي ذكرناها لليهود فيالعالم لذا سنقتصر النقاش على ظاهرة «التجمع الاسرائيلي» الذي احتل واغتصب ارضا، وادعى انه بذلك قد توفر له احد عوامل تطور الامم فضلا عن نشوئها٠

٢ ـ الدكتور اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ص ٥٢ ٠

ب ـ ان اغلبية «اليهود» في العالـــم حتى الآن موجودون في بلاد متعددة ، ومستقرون في هذه الاوطان ، ولم تفلح كل دعايات الصهاينة ومؤامراتهم في جلب اكثر من ١٥ بالمئة من مجموع يهود العالم الى فلسطين (١) ٠

جـ ـ ان دوافع اغلبية الذين جاءوا الى فلسطين المحتلة لم تكن بأية حال دينية او قوميـة ، وانمــا كانت غيــر ذلك ومتعددة ، باستثناء الجيـل الاول « الحالوتزيم » ( الرواد ) وهؤلاء لا يشكلون الا ١\٨ اليهود الموجودين حاليا ( وصلوا قبـــل ١٩٤٨ ) (٢) والباقون جاءوا ( وذهب بعضهم ) بحثا عن فرص أفضل للحياة (٣) ٠

د ـ ان هناك هيئات دينية عديدة يهوديـــة ما تـزال ترغض بشدة الفكرة القائلـة باعتبـــار فلسطين هي « اسرائيل الموعودة » لليهود ٠ وهذه المعارضة بدأت مع بدايـــة الدعوة الصهيونية وما تزال مستمرة (٤) ٠

٢ ـ هل هناك « وطن » محدد لهذا التجمع البشري بحيث يمكن ان يعكس وجوده في وعيهم الاجتماعي ؟

الحقائق تنفي ذلك ٠٠ من ناحية لم يحدد قادة الصهاينة حتى الآن حدودا لدولتهم ٠ وبياناتهم الاولى وتعبئتهـم العنصرية تتحدث عن دولة من النيل الى الفرات ٠ كمـــا ان استيلاءهم على الارض

..........

١ ، ٢ ـ توزيع تعداد اليهود في بلاد العالم ، راجع تقرير مركز التخطيط حول الهجرة والهجرة المعاكسة ٠

٣ ـ يقول مئير تلمي في مؤتمر حزب مابام الاسرائيلي الاخير: «انجدلية فرادتنا وخصوصيتنا القومية قد انبنت على خلفية ضائقة المهجر، والمقدرة على اندفاعنا في البلد سواء في المادة الانسانية ام في تدفق رأس المال» (المجلس الـ٢٤ للحزب ، ٢ـ١١ـ١٩٧٤) ٠

٤ ـ راجع كتاب الدولة والدين في اسرائيل، سلسلة دراسات فلسطينية للدكتور اسعد رزوق ٠

الفلسطينية بدأ منذ مطلع القرن وبوسائـــــل ليس من بينها ابدا ما يشجع على الانتماء في كل الظروف وانما استولوا عليها بالمؤامرة والمذبحة وشراء اراضي من اقطاعيين وطرد الفلاحين الاصليين ٠ ثم ان الصهاينة لم يكونوا مسيطرين عند اعلان قيام دولتهم الا على ٦ بالمئة من اراضي فلسطين فقط ٠ وعند قيام هــــذا الكيان تغيرت حدوده « السياسية » عدة مرات وما تزال خاضعـــة للتغيير اي ان المستوطن المجند في الجيش لا يعرف له حدودا يدافع عنها حتى الآن ( وانما يعرف كيـــانا يسمى الدولــــة ) ٠ ان الارض التي يعرفها المستوطن الصهيوني هي « موطىء قدميه » ولا شيء آخر ، لذا يحتج سكان مستعمرات الجولان اذا مــــا لاح في افق التسوية انهم قـد يجلون عنها ، بينمـــا تطالب قـــوى كثيرة بالانسحاب من الجولان وسيناء مقابل تسوية ولو مؤقتة ٠

ان المؤسسات الصهيونية لم تنجـــح ، حتى مع الجيل الجديد والشاب ، في ان تزرع في وعيـــه الاجتماعي اي انتماء للارض او للوطن الذي ولد فوق ترابه ، وذلك برغم سيطرتهـــا الكاملة تقريبا على عملية التنشئة الاجتماعية ٠ واخذ قـادة الكيان « يشكون من اهتزاز العقيدة الصهيونية » لدى الشباب في « اسرائيل » ، واخذوا يواجهون بأسئلة من طراز « ان حقنا عـلى ارض اسرائيل يتناقض مع التطلعات القومية للكيان الفلسطيني كيف يمكن حل هذه القضية في نظركم » ؟ ( سؤال مـــن يورام طوهار تلميذ في الصف الحادي عشر ) ٠٠ « ما هو حق اسرائيل التاريخي في منطقة الساحل التي لم يسكنها اليهود في التاريخ القديم ؟ » ( سؤال مـن التلميذ عوفر فلسوف ، الصف الثاني عشر ) ٠ و « هل البقاء لمدة ٢٥ سنة في مكان ما كايلات مثلا يعطينا الحق التاريخي لملكية هذا المكان ؟ والا فما هي المقاييس التي بموجبها يتقـــرر « الحق التاريخـــي » على

مستوطنة مـــا ؟ » ( سؤال مــــن رينا شوارتز ، الصف الحادي عشر ) (١) ٠

**ان احدا لا يمكن ان يدّعي ان هناك تصورا واحدا لحدود هذا « الوطن » لدى القاطنين على ارض فلسطين المحتلة الآن ٠ وفي هذا الكفاية ٠**

٣ ـ هل يمكن ان تنشأ بين هذا التجمع البشري وبين الارض القاطن عليها علاقة تاريخية من خلال النشاط الانتاجي لهم ؟٠٠

نستعيد هنا سؤال التلميذة رينا شوارتز حول البقاء لمدة ٢٥ سنة في مكان ما ، وعلاقة ذلك بالحق التاريخـــي لملكيته ٠٠ لها كل الحق في التساؤل والاستنكار ٠٠

والحقيقة انه امر سخيف ومضحك، ان يتخيل انسان عاقل في العالم ان مجرد تواجد مجموعة من الناس في مكان ما لمدة ٢٥ سنة تعطيهم **حقا تاريخيا** فيه ٠

فلا التاريخ البعيد ، ولا القريب ، ولا العقل ، ولا المنطق يمكن ان يقبل هذا الادعاء ٠ ولقد بقي المستعمرون الفرنسيون في الجزائر ١٣٢ سنة ولـــم يكتسبوا حقا تاريخيـــا فيها ، وبقي المستعمرون البرتغاليون في انجولا وموزمبيق اكثر من ٢٥٠ سنة ولم يكتسبوا حقا تاريخيا فيها ٠ وهم لم يكونوا مجرد جيش احتـلال ، وانما زرعوا واقاموا علاقات اقتصادية ومؤسسات اداريـــة وتعليمية ٠٠ الخ ، ومع ذلك لم يكتسبوا حقـــا تاريخيا ولـــم تتعمق جذورهم في هذه الارض ٠

ومع ذلك ولأننا نسمع بين الحين والآخـر حججا تتحدث عن امكان تمايز هذه الجماعة البشريـــة قوميا او حضاريـــا ، لنا ان نستعرض العوامل الموضوعيـــة التي يجب توفرها لقيام « علاقة

---

١ ـ نشرة الارض ، العدد (١٥) السنة الاولى ٠

تاريخية » بين التجمع الاسرائيلي والارض المحتلة · لقد ادرك قادة الصهاينة اهمية قيام علاقة بين المستوطنيـــن والارض لذا : « لقد اعطيت الزراعة الاولوية القصوى في السياسة الاقتصادية للحكومة وللاجهزة العامة الاخرى ، وبالتالي فانها تلقت مــن الاهتمام ما لا يتفق مع حجم دورها الاقتصادي · وما تـــــزال المواقف السياسية والاقتصادية تؤثر على عملية اتخاذ القرارات بشأنها ، بحيث تتغلب على الاعتبارات الاقتصادية البحتة » (١) · كما اعتبروا « ان تطور الزراعة له الاهمية السياسية الاولى في عملية التوطن اليهودي في هذا البلد » (٢) ·

وهم يقولون صراحة في مقدمة احدى نشراتهـــم الاعلامية : « عندما تصبح الامة مرتبطة ارتباطا بالارض وتشكل الزراعة فيها دعامة اساسية في اقتصادها القومي ، عندئذ يتحقق الامــل النهائي القديم ، قدم العصور ، لانبعاث الشعب اليهودي ، لان جذور الشعب ستكون وقتئذ عميقة في وطنه القديم الجديد معا » (٣) ·

وكل ما قالوه في هذا الصـــــدد ·· صحيح ·· ولكن القول شيء ، والواقع شيء آخر · فلا يكفي ان نقول انه عندما يثمر القمح نستطيع ان نحصل على الطحين ، وانمـــا يجب ان تكون الظروف ملائمة مثلا لزراعة القمـــح ، وان تكـــون التجربة قد دلت على ذلك ايضا · فهل تدل تجربة ثلاثين عامـــا على نجاح محاولات ربط « الامــة » بالارض وهـــل نجحت محاولة جعـــل الزراعة دعامة اساسية في الاقتصاد ؟·· الاجابــة بالنفي ، والادلـــة من ارقامهم هـــم : (٤)

1 , 2 — Israel Economic Development , Economic pl-aning centre , Israel .

٣ ـ راجع : خليل ابو رجيلي ، الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، دراسات فلسطينية ، ص ١ ·

٤ ـ الارقام مأخوذة من نشرات احصائية اسرائيلية مباشرة او نقلا عن

١ ـ بلغت قيمة الزراعة بالنسبة للناتج « القومي » اجمالي في ١٩٦٨ ، ٨ر٧ بالمئة ، وكانت في ١٩٥٢ ، ٦ر١١ بالمئــة ٠ ولا يرجع ذلك الى خطط تصنيع جديدة مثلا كما يحــدث في البلاد الزراعية الآخذة في النمو ، فالكيان الصهيوني امتداد صناعي اصلا ومشكلته هي تطوير الزراعة لا الصناعة ٠

٢ ـ بلغت نسبة العاملين في الزراعة ( في ١٩٦٨ ) بالنسبة لمجموع العاملين ٢ر١١ بالمئة وكانت ٦ر١٧ بالمئة في ١٩٥٢ ٠

٣ ـ تتراوح نسبة الذين يهجرون الزراعــة نهائيا ، وينتقلون للعمل في المدن ، بين ١٥ ـ ٢٠ بالمئة من بين المهاجرين الجدد الذين يوجهون للزراعة سنويا (١) ٠

. . ... ..... ............... ......

←

كتب قيمة في هذا المجال اهمها : الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلــة ، واحصاءات فلسطينية ، والبطالة في اسرائيل ، وكلها من سلسلة دراســات فلسطينية للاساتذة خليل ابو رجيلي والياس خوري والياس سعد ٠

١ ـ «ويلخص مأساة هؤلاء المهاجرين الذين يتركون الزراعة ، جواب بعض المزارعين الذين سئلوا عن شعورهم في الموشاف فأجابوا بصرخة الم قائلين: «نعمل كالحمير من الفجر حتى المساء ٠٠ ولا نزال نئــن تحت عبء الضرائب والرسوم لا سيما رسوم الماء ٠ نحن مزارعو هذا الجيل ، ضحايا قيام دولة اسرائيل» ٠ وقالت مزارعة كانت تعيش سابقا في الدار البيضاء : «لا اشعر بالسعادة ابدا ، لقد خدعتنا الوكالة اليهودية ونتأسف كثيرا على ترك مدينتنا ٠ لا يستطيع ابي وامي، رغم كل الجهود، ان يتعودوا على هــذه الحياة الشاقة ، حياة الفلاحين في النقب ٠٠ فحياة الموشاف ليست شاقــة فحسب بل معدومة من كل تعزية : فالحياة الاجتماعية مفقودة والتعاون ايضا، وكل انسان يعيش لنفسه فقط ولا يفكر بغيره ٠ آه لو نستطيع العــودة الى موطننا الاصلي في الدار البيضاء ٠ لقد كنا سعداء فيها ، لكن لن نستطيع ذلك قبل ان ندفع كل التكاليف الى الوكالة اليهودية» ٠ الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، دراسات فلسطينية ٠

٤ ـ ان الارض لم تعد مصدرا للريع او للتراكم الاولي ، وانما هي جزء من وسائل الانتاج المسيطر عليهـــا برؤوس اموال عالمية احتكارية · لقد استولوا على الارض ، وطردوا اصحابها ، وكانت الارض مستثمرة من قبل اصحابها الاصليين قبـل مجيئهم ، وجاءوا بالآلات لرفع انتاجية الارض كما استقدموا من يعمل عليها بعد ان حرموا استخدام الايدي العربية التي الفتها · وانتهـــى الامر بأن تتوزع ملكية الاراضي المحتلة في الكيان الصهيوني كما يلي :

الدولة والهيئة الوطنية للانمـــاء : ٠٠٠ر٢٠٥ر١٥ دونم اي ٥ر٧٦ بالمئة · الصندوق القومي اليهودي : ٠٠٠ر٥٧٠ر٣ دونم اي ٠ر١٨ بالمئة · ملكيات خاصة ! عرب ويهود ٠٠٠ر٤٨٠ر١ دونم اي ٥ر٥ بالمئة ·

والآن تبلغ حصة العرب ٥ر٢ بالمئة من الاراضي التي تسيطر عليها الدولة الصهيونية ، بعد ان كانوا في السابق يمتلكون اغلبيتها الساحقة ·

وهكذا نرى ان ملكية ٥ر٩٤ بالمئـــة من الاراضي هي لهيئات صهيونية وليست لافراد او جماعات مستقلة ، والجميـع يعرف ان مصادر تمويل هذه الهيئات هي مؤسسات احتكارية عالميـــة او حكومات استعمارية ، تشبه الى حد بعيد ملكية شركة الفواكه المتحدة لمعظم اراضي كوبا او غواتيمالا فيما مضى مـــع فارق هام هو ان شركة الفواكه المتحدة السيئة السمعـــة ، لم تكن تستورد عمالا لزراعة الاراضي ولـم تطـــرد السكان الموجودين فوقها كما فعلت الصهيونية · يقول ابراهام ديفوسكي في دراسته ( القوى الاجتماعية في فلسطين ) : « مع ان المؤتمرات الصهيونية الاولى سيطرت عليها الطبقات المتوسطة اليهودية والمثقفون فقد صادقت على مبدأ تأميم الارض باعتبارها اهم اساس للدولة اليهـــودية في المستقبـــل » · **وفي ذلك لم « تتأثر المؤتمرات الصهيونيـــة بالنظريات الاشتراكية بل بالضرورة القومية ·· ان هذا الشكل كـان ضروريا لان الملكية**

الفردية في الارض اصبحت عقبة امام اتساع الهجرة ولان استخدام الايدي العاملة العربية الرخيصة في المـــزارع اليهودية كان يهدد المشروع الصهيوني بأسره باعتباره مشروعـــا قوميـــا انعزاليا متعصبا » (١) ٠

٥ ـ انه لا يوجـــد ثبات ولـــو نسبي للعاملين على الارض وفي الزراعة (٢) ٠ لذا نجد ان عدد العامليـــن في الزراعة عشية اعلان « الدولة » ٣٢ الفا ، ارتفع الى ٩٦ الفا في ١٩٥٨ ، ثم اخذ ينخفض حتى اصبح ٧٧ الفا في ١٩٦٨ ٠ والاهم من ذلك هو ان ٤٨ الفا من الزيادة في ١٩٥٨ كانوا من المهاجريـــن الجدد الاسيويين والافريقيين ( سفاراديم ) ٠ كما اقتصرت الكيبوتزات على المهاجرين وابناء المهاجرين من الاشكنازيم (٣) ٠

٦ ـ ان «الزراعة» ـ وتوزيع العاملين فيها ـ تخضع للاعتبارات العسكرية ، وهكذا يتم انشاء المستعمرات الحدودية ، بهدف تثبيت التوسع عسكريا وبشريا ٠ انهم يصرحون بأن « هدف خطة الزراعة هو الاحتفاظ بالتوازن في توزيع السكان على المناطق » (٤) ٠

٧ ـ ان تجربة « الكيبوتز » التي كثيرا مـــا تباهى بها دعاة الصهيونية الاوائل قد انكشفت تماما ولـــم تعد حلم « الاشتراكيين الديموقراطيين المجسد » كما كانوا يطلقون عليهـــا ٠ ووضح انها كانت وما تزال المراكز التي تحاول بها الحركـــة الصهيونية فرض

---

١ ـ اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، ص ١٣٩ ٠

٢ ـ عندما تحدث الهجرة من الريف الى المدينة في المجتمعات العادية ، فان المهاجر يظل مرتبطا بالريف ، ويحن الى قريته ويعود اليها ، كما يظـل اقاربه ينتجون فيها غالبا ٠ ويقدر جوزيف كلاتزمان نسبة ثبات العائلات التي توضع في الريف بـ٥٠ بالمئة ٠

٣ ـ راجع تجسيد الوهم ، د٠ قدري حفني ٠

4 — Israel Economic development , J.P.C. Israel , p. 213 .

نموذج صهيوني غربي حتى على اليهود الشرقيين · اما من ناحية دورها الزراعي فقد ظهر بوضوح كيف ان الكيبوتز يعمل لمصلحة المؤسسات التي تموله ، واصبح ملكا للمؤسسات الرأسمالية التي تمده بالقروض · ففي دراسة مقارنة ( تمت في ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ) بين مختلف الكيبوتزات بالنسبة لسنوات التأسيس كانت الديون في الكيبوتزات التي تأسست قبل سنة ١٩٣٦ تمثل ٨٩ بالمئة من انتاج الكيبوتز الزراعي والصناعي ، والتي تأسست بين سنة ١٩٣٦ و ١٩٤٧ ، ١٩٠ بالمئة ، والتي تأسست بعد هذا التاريخ كانت الديون فيها ٢٢٢ بالمئة · وفي دراسة اجريت بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات كان الوضع لا يزال على حاله (١) ·

ليس للتجمع الاسرائيلي اذن ، **ارض** ، بالمعنى العلمي والتاريخي للكلمة ، بمعنى « العامل » الاساسي في تشكيل الامة ··

**رابعا : هل لهذا التجمع ثقافة مشتركة ؟**

تجمع لم يتآلف تاريخيا وليست امامه فرصة للتآلف ···

تجمع ليست له لغة واحدة يتفاهم بواسطتها اعضاؤه فيما بينهم ويتناقلون المعرفة ويقيمون العلاقات ··

تجمع ليست له ارض محددة كوطن ، وليست امامه فرصة لكي ينتمي الى هذه الارض ···

هذا التجمع لا يمكن ان تكون له بأي حال ثقافة مشتركة ·

ففضلا عن ان الثقافة هي التعبير عن التشكيل النفسي الموحد لجماعة من الناس ، وهو تشكيل مفتقد فيما بين المستوطنين الصهاينة ، فان خطة قيادة هذا التجمع الصهيونية ، كانت وما

---

١ ـ خليل ابو رجيلي ، الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، ص١٨٩·

تزال فرض « نموذج » غربي على بقية المستوطنين (١) • فالصهاينة الاول المستوطنون ، جاءوا مـــن الغــرب ، وهم « يهود غربيون » ( اشكنازيم ) ، وهم الذين اقامـوا « الكيبوتزات » التي حاولوا بها فرض نموذج اجتماعي جـــديد ، و « السابـــرا » اغلبهم من ابناء الاشكنازيم ايضا • وقد كان من الممكـــن ان يحتوي « الاشكنازيم » المهاجرين الآخرين من آسيا وافريقيا ( السفاراديم ) لو انهم اغلبية عددية • اما وانهم غير ذلك ( ١/٨ اليهود في فلسطين المحتلة جاءوا قبل ٤٨ ومن هؤلاء ٦/٥ جاءوا من الغرب ) (٢) ، فليست هناك اي فرصة تاريخية امامهم الا ان يفرضـــوا بالقـــوة اساليب حياتهم وثقافتهم • ولكنهم هم ايضا غير موحدي الثقافة فقد جاءوا من اكثر من بلد غربي ، وثقافاتهم بالتالي مختلفة : لغة ، ومضمونا • هذا ما خلق ويخلــــق في الكيان الصهيوني تفاوتا وتضاربا بين الثقافات الاصلية المختلفة لموجات المهاجريـــن القادمين ( في اوقات مختلفة ومن بلاد مختلفة ) •

ولقد حاولوا ، وما يزالون ، ايهام الرأي العـــــام انه توجد « ثقافة اسرائيلية » وعولوا على « ان تأكيد الذات العبرية سيصهر كل عناصر اسرائيل المتباينة في أمة واحدة وان يمنح تلك العناصر وحدة روحية وثقافية » على حـــــد قول اسحق دويتشر في كتابه « اليهودي غير اليهودي » ، ولكنه يقر صراحة « ان وراء تأكيد الذات يوجد ايضا الحنين اليهودي الطبيعي الى بلـدان وثقافات **طفولتهم وشبابهم** » ( التأكيد من عندنا ) •• وان المكتبات تحـــوي « الكتب العظيمة والجـــادة للشعراء والمفكرين والرومانسيين الاجتماعيين

---

١ ـ في كتابه The challenge of Israel يقول لوفيتش :
«ان سيادة الاوروبيين على الكنيست وادارات محلية كثيرة ليس مثيرا للدهشة» ، ص ١٨٩ •
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٨٨ •

لكل الامم » ( التأكيد من عندنا ) . وفي السنين الاخيرة ، اعترف حتى غلاة الصهاينة بهذه المشكلة ( خصوصا بعد ازدياد موجات الهجرة من آسيا وافريقيا ) ، يقول ميشال لوفيتش في كتابه « التحدي امام اسرائيل » وهو من نشر الجامعة الاسرائيلية ، يقول :

« هناك مشكلة ليس لها حل مرض حتى الآن ، وهي مشكلة تدريس الآداب العبرية الحديثة . ان كلاسيكيات هذه الآداب وجدت في مهاجر القرن التاسع عشر والحياة التي تصفها هي حياة يهود شرق اوروبا وهي حياة غريبة بالنسبة لشباب السابرا اكثر منها بالنسبة لحياة يهود اوروبا وامريكا الذين قد يكونون يحملون ذكريات صحيحة من آبائهم واجدادهم . ان جو هذه الاعمال الادبية **تضاعف غربته** بالنسبة للاطفال الذين جاء آباؤهم من البلاد الاسلامية حيث المظهر والعادات تختلف اختلافا شديدا » (١) ( التأكيد من عندنا ) . ويقول ايضا « من السهل تصور التوترات التي لا يمكن تحاشيها في ظل هذا الوضع عندما يكون اكثر من نصف القادمين **الجدد غرباء** في نواح عديدة على السلوك والعادات والافكار السائدة » (٢) ( التأكيد من عندنا ) . وقد ذكر صراحة انه بشكل عام يمكن القول ان اغلب المهاجرين الغربيين مهرة ومتعلمون بينما معظم الشرقيين لهم موقف مختلف من طريقة الحياة ومطالب المدنية الصناعية الحديثة (٣) .

فان اضفنا الى كل ما سبق حقيقة ان « اللغة » التي يحاولون فرضها الآن ، وهي اللغة العبرية ، توقف استخدامها ( ماتت ) منذ

1 — The challenge of Israel , M. Lovish , p. 23 .

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

اكثر من ٢٠٠٠ عام ، فذلك معناه انه لم يكن لهذا التجمع البشري « لغة » يمكن ان تحفظ تراثه المتراكم عبر هذه الظروف ، فاللغة وعاء التاريخ ، والتاريخ هو نشاط الجماهير المتراكم ، لذا فان غياب اللغة طوال هذه الفترة معناه غياب ثقافة واحدة لهذه الجماعات • كما ان محاولة فرضها منذ ٣٠ عاما يشبه الى حد كبير محاولة زرع الزهور الصناعية في ارض صخرية ثم ادعاء ان لها رائحة وتنمو وتزدهر •

**خامسا : هل لهذا التجمع اقتصاد مشترك ؟••**

والاجابة هنا ايضا بالنفي •• فالاقتصاد المشترك لجماعة من الناس يوجد كظاهرة تاريخية اي كتراكم لعلاقات مشتركة ، وانتاج جماعي مشترك لهذه الجماعة عبر القرون • وهذا ما لم يحدث ، ولا يمكن ان يحدث للكيان الصهيوني •

لقد قام اقتصاد هذا الكيان على تبرعات ، وديون ، ورؤوس اموال مصدرة ، اراض مغتصبة • وبرغم سيل التبرعات والتعويضات الذي انهال على هذا الكيان فان ديونه قد بلغت ٦ مليارات دولار ، ويتحتم عليه ان يسدد ديونا هذه السنة تبلغ ٨ر٥ مليار ليرة اسرائيلية (١) • ويعاني عجز (٢) في ميزان المدفوعات يقدر بـ ٣ر٥ مليار دولار • ويقول وزير المالية الاسرائيلي ، رابينوفتش ، انه « ليس في مقدور دولة اسرائيل ان تتحمل هذا العجز ، كما ان حكومة الولايات المتحدة والشعب اليهودي في العالم

. . . . . . . . . . . . . . . . . . .

١ ـ هآرتس ، ٤ـ١١ـ١٩٧٤ •

٢ ـ يجب النظر الى هذا العجز ، كخسارة لاقوى الشركات الاستعمارية وليس كما نتناول العجز في نظام مدفوعات اي بلد يملك اساسا اقتصاديا داخليا •

اجمع ليس بمقدرتهم تحمل مثل هذا العجز » (١) ٠

ويصرح دافيد هوروفيتش ، محافظ بنك اسرائيل السابق ، قائلا « ان اسرائيل بلد فقير وخاصة بالثروات الطبيعية وتنقصها معظم المواد الخام المطلوبة **للانتاج الصناعي الذي هو مصدر معيشتها الاساسي** ( التأكيد من عندنا ) ٠ انها تعتاش من تصنيع المواد المستوردة وبدون استيراد مركبات الانتاج هذه لا يمكن ان تتوفر فيها العمالة والانتعاش الاقتصادي ولا مستوى معيشة ملائم » (٢) ٠ وهو اعتراف صريح بعدم وجود قاعدة اقتصادية ثابتة لهذا الكيان الذي قام على اساس مخالف تماما لمستوى تطور الارض والاقتصاد الفلسطيني قبل الاغتصاب ، ومحاولا فرض نموذج « اقتصادي » اوروبي صناعي على الحركة التاريخية لفلسطين ٠

يقول ج٠ هـ ٠ جانس : « ان الصليبيين مع ذلك كانوا آخر من حاول محاولة الاسرائيليين وهي نقل مجتمع اوروبي الى الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط ٠ وينبغي الا نخطىء في فهم حقيقة ان الاسرائيليين يودون ان يبقوا اوروبيين ٠ ولذلك نرى ان اهدافهم السياسية والاجتماعية هي اهداف دولة اوروبية » (٣) ٠

وما يزال هذا الموقف لم يتغير ٠ تشير صحيفة « الموند » الى الكيان الصهيوني قائلة : « ان احد علماء الاقتصاد يقول ان مستوى معيشة الاسرائيلي هو مستوى الرجل المتوسط في اوروبا الغربية

---

١ ـ ٩٠ ٠٩ ، ١٢ـ١١ـ١٩٧٤ ٠
٢ ـ دفار ، ٩ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ ٠
٣ ـ ج٠ هـ٠ جانسن ، الصهيونية واسرائيل واسيا ، ص ١٨ ٠

بينما البلاد هي مجرد بلاد نامية » (١) ٠ كما كتبت صحيفة التايمز البريطانية عن الموضوع قائلـــة : « ويتطلع شعبهـا ٠٠ الى بلوغ المستوى الذي تعيش فيه الدول الصناعية الحديثـــة وهو يرغب في دفع الكثير مقابل الحصول عـــلى البضائع الاستهلاكيـــة وعلى السيارات ٠٠ وبامكان هذا النمط من الحيـــاة الاستمرار فيما لو بقيت الاسعار العالمية ثابتة وفيما لو استطاعت « اسرائيل » الحصول من اليهود الامريكيين على اموال اضافية ، ولكن لشارع وول ستريت مشاكله ايضا » (٢) ٠

ويقول ثلاثة مـــن الكتاب « الاسرائيليين » (٣) في كتيب عن « الطبيعة الطبقية في المجتمـــع الاسرائيلي » : « ان اسرائيل حالة خاصة في الشرق الاوسط في ان الامبريالية تمولها دون ان تستغلها اقتصاديـا » ٠٠٠ في كلمـات اخـــرى اوضح لا بـد ان نقـول ان « اسرائيل » هي مجرد فرع بنك او قاعـــدة عسكرية او منشأة من المنشآت التي تقيمها الامبريالية في مكان ما وتصرف عليها لتحقيق هدف آخر ٠٠

وهم يقتبسون في كتيبهم قـول الاقتصادي الامريكي اوسكار جاس الـــذي كان الى وقت قريب مستشار حكومـة العـــدو ، اذ يقـــول :

« ان الشيء الفريد في عملية النمو هذه ٠٠٠ هو عامل تدفق رأس المـــال ٠٠٠ فخلال الفترة مـــن ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨ كان فائض الواردات اكثر من ٧ بليون ونصـــف دولار اي بمعدل ٢٦٥٠ دولار لكل فرد عاش في اسرائيل خلال ٢١ سنـــة ٠٠٠ من هذا التمويل الخارجي نجد ان ٣٠ بالمئة فقـط مشروط باستعادة ارباح او فوائد

---

١ ، ٢ ـ نشرة الارض العدد السادس ، ٧ـ١٢ـ١٩٧٤ ٠

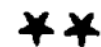
٣ ـ نشر ISBN ، لندن ، ١٩٧١ ٠ والكتاب الثلاثة هم حاييم هانجين وموشي ماشوفر واكيفا اور كما سبق ان ذكرنا ٠

او رؤوس اموال • ان هذا الظرف لا مثيل له في اي مكان اخر» (١)•
( التأكيد من عندنا ) •

والجميع يقر بأن « الاقتصـــاد » الاسرائيلي كله بما في ذلك القطاع الخاص يعتمد على المساهمات الخارجية وهذه تتدفق اساسا عبر مسالك تسيطر عليها الدولة (٢) •

ولقد اوردنا من قبل كيف تملك المؤسسة الصهيونية ( حكومة ـ وكالة ـ هستدروت ) معظم الارض، وكيف تتغير مجموعات العاملين فوقها بعد طرد اصحابها العـــرب الاصليين وكيف ان كل نصيب الزراعة في الدخل القومي لم يتعد ٨ بالمئة ، اي انه لا يوجد «اساس» يمكن ان تتطور عليه علاقات انتاج متبادلة تخلق اقتصادا مشتركا بين هذه المجموعة البشرية من المستوطنين •

ليس لهم اقتصاد مشترك ، ولن يكون ، بل ان ما هو قائم الآن ليس الا فروعا للاحتكارات العالمية ، ولذا يتأثر بلا شك بالصراع بين هذه الاحتكارات وبعضها البعض • ذلـــك يفسر لنا ازدياد نفوذ الاستعمار الامريكي وانفراده بتقرير مصير الكيـــان ضمن خططه الدولية ، مع ازدياد نفوذ الاحتكارات الامريكية ، ومحاولتها الانفراد بالتحكم في الاقتصاد الرأسمالي دوليا •



من كل ما سبق يتبين ان المجتمع الاسرائيلي الحالي ليس الا ظاهرة عابرة في تاريخ المنطقة • بـــل انه لن يعيش قدر ما عاش الغزو الصليبي ، فالعصر غير العصر ، وعجلة التطور تمضي بسرعة اكبر فأكبر ، ولا مجال اطلاقا لان يتمايز سكانـــه او يأتلفون لا في أمة ، ولا في اقلية قومية ، ولا في جماعة بشرية ذات طابـــع خاص

١ ـ المصدر نفسه ، ص ٥ •
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٢ •

او حضارة مستقلـــة ، وليس امامهم **الا التمثل** ، وهو الحل نفسه الذي يطرحه التطور التاريخي للمشكلة اليهودية ، سواء في اوروبا الصناعية او آسيا او افريقيا او لامريكا اللاتينية الزراعية ، وبالطبع في فلسطين العربية الديمقراطية ٠

# الفصل الرابع

## الصراع داخل التجمع الاسرائيلي

منذ سنوات قليلة امكن طرح تقدير «جديد» (١) لطبيعة الصراع الذي يحكم الكيان الصهيوني من داخله، اي طبيعة التناقض الداخلي فيه ، وذلك باعتباره صراعـا « عرقيا » لا « صراعا طبقيا » ، وان

١ ـ في معسكر دولي للعمل اقيم في صيف ١٩٧٠ ، في معسكرات حركة « فتح » في الاردن ، قدم الكاتب هذه الفكرة لعدد من ممثلي الجمعيات والقوى اليسارية الاوروبية والامريكية · واستمر نقاشها ثلاث جلسات متوالية· وفي كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٢ نشرت مجلة «صوت عمال الاردن» مقالا للكاتب بعنوان «رد على مقال الصراع الطبقي في اسرائيل» حدد الافكار العامة لهذا الطرح ، ومنذ ذلك التاريخ تناول الكاتب هذه الفكرة في عدة مقالات اخرى ·

هذا التجمع البشري ليس مقسما الى طبقات ( بالمعنى العلمي للكلمة ) وانما هو مقسم وسينقسم الى مجموعات بشرية تتمايز في البداية على اساس التقسيم « العرقي » ( اشكنازيم وسفارديم ) لتتطور من خلال هــذا الصدام الـــى مجموعتيـــن واضحتين « اوروبيــة » و « شرقية » (١) ، تنضم الاخيرة منها الى المعسكر العربي انتماء وتعرضا للقهر ، ومن ثم نضالا وثورة ٠

لم يكن سهلا لهذه الفكــرة ان تنتشر ، خصوصا وان اقساما كبيرة من القوى « المعادية للصهيونية » و « اليسارية » **التي هي بلا شك حليفة في النضال ضد الاستعمار الصهيوني** ، كانت ، وما تزال تبني تحليلاتها على اساس فكرة الصراع الطبقي فـــي « اسرائيل » وترفض بشدة اي انكار له (٢) ٠

ولكن تطور النضال المسلح الثوري الفلسطيني ، مكن ويمكن اليوم من الرؤية الواضحة والعلمية لظــاهرة « الكيان الصهيوني » كما ان احد ثمار هذا النضال العظيم هو اهتزاز كثير من المقولات القديمة التي كانت تقدم « كمسلمـــات » و « بديهيــات » لا يمكــن مناقشتها ٠ ومن بين هذه « المسلمات » التي استمرت طويلا دون

.......................................

١ ـ تشير السيدة هيلدا صايغ في كتابها « التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل » انها تفضل استخدام تعبير غربيين وشرقيين بدلا من اشكنازيم وسفارديم وذلك لان التعبير الاخير فقد مدلوله العرقي مذ زمن بانقسام اليهود انفسهم الى سكان اوروبيين وامريكيين ، وسكان البلاد الاسلامية ٠

٢ ـ بالطبع ، فان القوى غير الملتزمة بالماركسية لم تناقش المسالة ابدا ، ولذا فان كثيرا من الكتابات السياسية تتعرض لمسألة «الصراع الطبقي» عند تناولها قضية فلسطين ، وما نناقشه هنا هو الطرح «الماركسي» لهذه القضية ٠

مناقشة ، كانت **فكرة الصراع الطبقي المزعوم في داخل هذا التجمع الاستيطاني** ·

وسنحاول في هذا المجال ان ننقاش حجج الذين يقيمون تحليلاتهم ومن ثم مواقفهم على اساس فكرة « الصراع الطبقي الاسرائيلي » هذه منبهين ومؤكدين على حقائق ثلاث :

ـ ان هذا الحوار هو حوار بين « **معادين للصهيونية** » ، اي بين حلفاء ، ولا بد ان يكون بهدف توثيق هذا التحالف وليس الاضرار به

ب ـ انه بدون « **ممارسة مشتركة** » مهما كانت درجتها لا يمكن لهذا لهذا الحوار ان يتقدم نحو فهم موحد للظاهرة الحالية وللمخطوات العملية التي يجب ان نخطط لها سويا ·

جـ ـ ان **استمرار النضال المسلح** ضد العدو الصهيوني الاستيطاني ، هو وحده الكفيل باثبات صحة او عدم صحة الافكار التي تتداول بيننا ، فهو وحده الذي يزيل كل « قناع مؤقت » يمكن ان ترتديه الصهيونية ، وان يكشف كل الافكار الوسطية التي قد تنسحب لها هذه القوى الصهيونية الماهرة والذكية والمدربة (١) ·

اننا ، ونحن نؤكد هذه الحقائق ، نذكر ان من بين الذين يتبنون « نظرية الصراع الطبقي في اسرائيل » مناضلين ايجابيين ضد هذا الكيان المصطنع : ليس فقط بالكلمة ، وانما ايضا بالفعل ، بل وبالسلاح ، وليس فقط من بين الذين يحملون العقيدة اليهودية ، وانما من غيرهم من بين العرب وغير العرب ايضا (٢) ·

....

١ ـ ان تاريخ الحركة الصهيونية مليء بالمحاولات التي نجحت في ارتداء ثياب الماركسية واستخدامها لتبرير اهدافها الرجعية الاستعمارية ·

٢ ـ كثيرون من مختلف المواقع يرددونهذه الفكرة : نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الاخ الاستاذ اديب ديمتري في كتابه الماركسية والدولة الصهيونية ، والاخ الاستاذ حبيب قهوجي مدير مؤسسة الارض في نشرته =

لماذا اذن نلح على الحوار حول هذه المسألة ؟

ليس من قبيل المحاجاة اللفظيـة على اي حـال ·· وانما في سبيل مزيد من توحيد الفكر وبالتالي توحيد الممارسة ·

فقد اظهرت السنـوات الاخيرة ، مـع تقدم النضـال المسلح وتنوعه ، انه في بعض الاحيان تتخذ بعض القوى الصديقة مواقف مختلفة عما تتخذه قـوى الثورة الفلسطينيـة · واننا في محاولة اكتشاف سبب ذلـك ، نجد امامنا « نظريـة الصـراع الطبقي فـي اسرائيل » · فبالرغم من الاتفاق العام على ان قضية فلسطين ليست مجرد قضية تحرر وطني عادية ( اي مواجهة جيش احتـلال ، او تدخل استعماري ، او نفوذ اقتصادي اجنبي ) وانمـا هي قضيـة متعددة الابعاد بسبب طبيعة الاستعمار الصهيوني « **الاستيطانية** » ، بالرغم من الاتفاق على ذلك ، فان حقيقتـه « الاستيطانيـة » هذه تطمسها على الفور « نظرية الصراع الطبقي في اسرائيل » ·

ان الاقرار بطبيعة العدو الاستيطانية تتناقض حتما مع فكرة تقسيم هذه القوات الاستيطانيـة الى مستغِل ومستغَل ، وما يترتب على هذه الفكرة من خطة للتحالفات ، وبالتالي خطة للقتال ·

لقد ادت هذه الافكار مؤخرا الى ان يتبنى بعض هؤلاء الرفاق « **فكـرة حق تقرير المصيـر ليهود اسرائيـل** » ، ومطالبـة الثورة الفلسطينيـة بها ، متناسين حقيقـة هامـة هي ان الشعب العربي الفلسطيني لم يحرر الارض بعد ولم يحقق سيادته عليها ؛ وان العكس هو الصحيح ؛ وان مجرد المطالبـة بمثل مـا يطالبون بـه ، يعني التسليم لهؤلاء المستوطنين بما يفعلونه الا كأنه دفاع عن « حقهم » في الوجود السياسي على ارض ( هي ليست ارضهم ) ·

.......................

= « الارض » والرفاق رامي ليفنه وآخرين من الجبهة الحمراء بالاضافة الى رفاق الجبهة الشعبية الديمقراطية ، فضلا عن كافة الاحزاب الشيوعية العربية وغير العربية · ومن البديهي انهم جميعا معنا في جبهة واحدة ضد الصهيونية·

في مقابل هذا «الشعار» ( الخاطىء ) طرحت الثورة الفلسطينية وتطرح شعارا آخر هو القبول بوجود كل من يعيش الان على ارض فلسطين **بشرط** تخليــه عن مطامعه الاستيطانيــة الأستعمارية ، اي بشرط « **التنازل** » عن **امتيازاته** العنصرية والقبول بالمساواة مــع بقية السكان العرب في الحقوق والواجبات ·

ان المستغِل في حالتنا هذه هو كل **مستوطن** ، اما **المستغَل** فهو كل عربي فلسطيني طرد من ارضه وحــرم من حقوقه · ومـــا يزال الباقون منهم تحت حكم الصهاينة يعاملون ، وبمقتضى « القوانين »، معاملة **مواطني الدرجه الثانية** ، علنا ، ودون خجل ··

وليس من المعقول ان يطالب المستغَلون بأن يسلموا بحق تقرير المصير للذين يستغِلونهم ويحكمونهم بابشع اشكال الحكم العنصري التي عرفها التاريخ ·



**هل ينقسم التجمع الصهيوني الى طبقات ؟**

في فصول سابقة تناولنا جانب التاريخية والخصوصية فيما يخص الحكم على الظواهر وتقدير مكانها في الحركة التاريخية ·

ونبدو مضطرين ، حتى يمكن الوصول الى « لغة واحدة » في الحوار ، الى تكرار مـــا قد يظنه بعض الرفـــاق اوليات ، الا انها اساسيات ايضا ···

يقول لينين معرفا الطبقات : « ان الطبقات هي تسميــة لفئات كبيرة من الناس تختلف بالمكان الذي تحتله **تاريخيا** في نظام معين **للانتاج الاجتماعي** وبعلاقتها ( التي تتعزز في اغلب الاحيان وتتشكل في القوانين ) بوسائل الانتاج ، وبدورهـــا في التنظيــم الاجتماعي للعمل ، وبالتالي لطرق الحصول على حصصها من الثروة الاجتماعية

وبمقدار هذه الحصص · والطبقــات هي فئات مــن الناس يستولي بعضها على عمل البعض الآخر وذلك لاختلاف المكان الذي تحتله في قطاع معين من **الاقتصاد الاجتماعي** » · (١)

ولنلاحظ تشديــــد لينين عــلى « **التاريخية** » ، وعلى **العلاقــة** بوسائل الانتاج ، وعلى اختلاف مكان البعض عن البعض الآخر في **الاقتصاد الاجتماعي** ··

ولقد حدد ماركس في البيان الشيوعي: « ان الطبقة الاجتماعية لا تتشكل بصورة نهائية الا بظهور التضامن الطبقي ، بالاضافــة الى وحدة الــدور في الانتاج ، والمصالح الاقتصادية المشتركة ويفترض هذا التضامن الطبقي وجـــود الوعي الطبقي الذي لا يمكن بالتالي ايجاده الا عن طريق الايديولوجية الطبقية » (٢) ·

ماركس يشترط ظهور التضامن الطبقي ، والــوعي الطبقي ، ووحدة الدور في الانتاج ·· لذلك فان صفة «البروليتاريا» لا تنطبق على اي جماعة من « العمال » ، ولا اي مجموعة من الكادحين (٣) بل ان البروليتاريا محددة ـ بالمفهوم العلمي ـ بأنها : « طبقة العمال الصناعيين الذين يعملون على وسائل انتاج حديثة ، وتتمتع بعنصر الثبات والوحدة الطبقية في تكوينها ، والوعي برسالتهــا التاريخية ضد مستغليها ، نتيجة استشراء السيطرة الرأسمالية الاحتكارية ، وظهور وحدات انتاج صناعية كبيرة » ·

وبالمقياس العلمي نفسه ، يكون تحديــد الطبقات الاخرى في المجتمع ، ويكون ايضا الكشف عن طبيعة العلاقة فيما بينها ، وفيما

..........

١ ـ لينين ، اعمال مختارة ، المجلد الثالث ، ص ٢٤٨ ·

٢ ـ دراسات في الطبقات الاجتماعية ، جورج جورتش ، ترجمة احمـد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٤ ·

٣ ـ كما يخطىء البعض احيانا في تطبيقها ·

بينها ككل وبين وسال الانتاج وطريقة توزيع الثروة ايضا ٠

هل تنطبق هذه المقاييس « العلمية » على التجمع الصهيوني ؟

قطعا الاجابة بالنفي ٠٠

ونحن نعلم ان ما اوردناه من مقاييس علمية ماركسية معروفة جيدا لكل الرفاق الذين تصـدوا لهذا الجانب من القضية ، ولكنهم مع ذلك ، يصرون على تطبيق السياسة ، بعد ان يكونوا قدجمدوها خلال عملية التحليل ، وذلك بالقول بأن التجمع الصهيوني ، انما هو حالة خاصة لا تنطبق عليها هذه القوانين « الاكاديميـــة » او « ان الطبقات في هـــذا المجتمع ـ ناهيك عن الوعي الطبقي ـ لا تزال في طور التشكيل » (١) ٠ وان تحليل هذا التجمـع يجب ان يقوم على « اساس صفات خاصة او تاريخ خاص بالمجتمع الصهيوني » (٢) ٠ والاخ الاستاذ اديب ديمتري ، يوافقنا تماما على رأينا في صفحات كتابه ١٢٨ ـ ١٢٩ « الماركسية والدولة الصهيونيـة » (٣) ، ولكنه يعود ليقول في ص ١٣١ « ومع ذلك فليس في هذا انكار للوجه الآخر لهذه الطبقـات فهي طبقات مستغلـــة داخـــل المجتمع الصهيوني نفسه » (٤) (!!) ٠

ولا شك ان قيام واستمرار الكيان الصهيوني ، من شأنه طمس التناقضات الطبقية وطمس الدور الطبقي المتمايز ، بصفتــه الوجه الرئيسي للعدو الرئيسي ، ولكن بين من؟٠٠ هنا الخطأ الذي يقع فيه الرفاق ٠٠ انهم حين يتحدثون عن هذا التجمـــع البشري ، يغفلون

---

١ ـ اسرائيل الاخرى ص ٨٧ ـ ٨٨ ٠

The Other Israel - Arie Bober V.J. 1972 .

٢ ـ المصدر نفسه ٠

٣ ـ دار الطليعة ، بيروت ٠

٤ ـ الاستاذ اديب ديمتري يختلف مع بقية الاراء التي تعتمد «التقسيم الطبقي في اسرائيل» ،في انه يشترط بوضوح «ان تحرير هذه الطبقات والفئات ٠٠ يرتبط في الاساس بتصفية وجودها الاستيطاني ووضعيتها في اطاره» ٠

كلية وجود حوالي نصف مليون عربي بينهـــم ، هم اصلا اصحاب الارض ، كما يغفلون وجود حوالي المليونين من العرب الفلسطينيين المطرودين منهـــا ·· **هؤلاء هم الذين تاثرت العلاقات فيما بينهم · ( بما في ذلك العلاقات بوسائل الانتاج وطرق توزيع الثروة ، اي اشكال الصراع الطبقي ) بقيام الكيان الصهيوني** · اما « الآخرون » اما كـــل « المستوطنين » فانهم لم **يكونوا** ذات يوم **طبقة** ، ولا كانوا في مرحلة تاريخية سابقة **مجتمعا طبقيا** ، وانما هم جميعا **منقولون** من « الخارج » لم تتطور العلاقات فيما بينهم تاريخيا وانما حملوا معهم كل « تمايزاتهم » السابقة من مجتمعاتهم الاصلية ·

هل ينكر احد ان عـــلاقة كل **المستوطنين** بأرض فلسطين هي علاقة واحدة الا وهي « **الاغتصاب** » ، بغض النظر عن كمية وقدر ما يغتصبه كل منهم ، فردا او جماعة ؟ ··

ان مجرد الاقرار بأنهم ذوو علاقة واحـدة بالارض ينفي وجود الطبقات فيما بينهم ، وان لم ينف انهم ايضـــا يختلفون على اقتسام الغنائم ·

يقول كل علماء المادية التاريخية : « **انه ليس ثمة طبقـات في المجتمع الـــذي يكـــون الناس فيـــه ذوي علاقة واحدة بوسائل الانتاج** » (١) ·

هناك علاقتان متناقضتان على ارض فلسطين ·· علاقة العرب الفلسطينيين بالارض من جانب وعلاقـة المستوطنين الصهاينة بهذه الارض من جانب آخر ، وكل محاولة لاغفال هذه الحقيقة والحديث عن **جانب واحد منها فقط** ، هو جانب التجمع الصهيوني ، مـن شأنه بلا شك ، وحتى دون قصد ، اخفاء حقيقة الاغتصاب الصهيوني ·

---

١ ــ المادية التاريخية ، ف· كيللي ــ م· كوفالزون ، وايضا اسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية لسبيركن وديماخوت ·

من هنا خطأ القول بأن « صفتهم ( اي العمال في التجمع الصهيوني ) الرجعية الحالية هي مجرد نتاج حكم الصهيونية السياسية » (١) . ذلك ان صفتهم الرجعية هي بسبب موقفهم الاستيطاني ، وبالتالي فانها تسقط عنهم عندما يتخذون موقفا ايجابيا ضد الاستيطان ، اي موقفا ايجابيا في جانب الثورة الفلسطينية .

وحتى عند الحديث عن جانب واحد من الاسلاك الشائكة ، اي عن التجمع الصهيوني ، فاننا لا نجد تمايزا طبقيا بالمعنى العلمي ، كما انه لا يوجد احتمال لان تتشكل طبقات في هذا التجمع .

وسنحاول ان نعدد الاسباب في ايجاز ودون تكرار لما سبق ذكره في فصول سابقة :

١ ـ ليس هذا التجمع البشري ظاهرة ايجابية تاريخية ( راجع الفصول السابقة ) .

٢ ـ لا توجد ضمن هذا التجمع اي مجموعة بشرية يمكن القول انها تتمتع « بثبات » نسبي فالهجرة والهجرة المضادة عملية مستمرة منذ قيام هذا الكيان . ولا يتصور المرء « طبقة » تكون اليوم ذات تقاليد وعادات « روسية » ( كما كان الحال قبل ١٩٤٨ ) ، ثم تصبح ذات تقاليد وعادات مغربية ( كما هو الحال بعد ١٩٥٨ ) . كما لا يمكن تصور طبقة عاملة يتغير تعدادها بوصول بواخر وطائرات تحمل « عمالا جدد ». لقد قام الامريكيون بنقل اسلحة وذخائر للكيان الصهيوني خلال حرب اكتوبر ـ تشرين ١٩٧٣ عبر جسر جوي . وقدر الخبراء

---

١ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، ص ٥ .

ان هذا الجسر نقل ملايين الاطنان خلال ثلاثة اسابيع ، وذلك معناه انه في الامكان ( تكنيكيا على الاقل ) نقل جيش يساوي في العدد كل سكان التجمع الصهيوني خلال ثلاثة اسابيع ومعهم كل ما يملكونه ويحتاجونه من منقولات · والسؤال الآن ، لو افترضنا ان ما نقل خلال حرب ١٩٧٣ لم يكن سلاحا ، وانما كان بالفعل جيشا غازيا ، هل يمكن تقسيم هذا الجيش الى طبقات ؟ واضعين في الاعتبار انه حتى في حالة الجيش الصهيوني المسمى « باسرائيل » فان فرقة جاءت من بلاد مختلفة ، اي من مصادر طبقية وطبقات اجتماعية مختلفة بينما الجسر الجوي نقل سلاحا امريكيا موحدا ولو نقل اسلحة من بلاد مختلفة لتعذر استخدامه قطعا ·

٣ ـ لا توجد اي فرصة يمكن ان تتشكل فيها طبقات داخل هذا التجمع ويكفي ان نذكر ان عملية الهجرة من جانب ، والهجرة المضادة من جانب آخر يغيران على الدوام من تشكيل هذا التجمع · ان الهجرة في المدة من ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ ساهمت في زيادة ٦٠ بالمئة من عدد سكان الكيان الصهيوني · وهي زيادة اتصفت كما سبق ان ذكرنا بأنها كانت « شرقية » بحيث رجحت ، من الناحية العددية على الأقل ، جانب اليهود الشرقيين على اليهود الغربيين ·· وما تزال العملية مستمرة ·

٤ ـ لا تفتقر هذه الطبقة العاملة « المزعومة » الى ثبات في التكوين النفسي فحسب وانما هي تفتقر حتى الى الثبات في علاقاتها بأدوات الانتاج · كتب معلق جريدة جيروسالم بوست الاقتصادي يقول (١) :

---

١ ـ جيروسالم بوست ، ١٨ـ١١ـ١٩٧٤ ·

« في الظروف السائدة حاليا التي تتميز بنضوب احتياطات الدولار ، فان علاج الهبوط الاقتصادي يتطلب تخفيضا كبيرا في مستوياتنا المعيشية ، بغض النظر عن الالتزامات السابقة ، **وتحويلا جماعيا للناس من واقع البناء والمكاتب والخدمات الى المزارع والصناعات التصديرية** » • (التأكيد من عندنا) •

لقد كان ادعاء الحركة الصهيونية منذ بداية القرن العشرين انها تقوم بتحويل اليهود من « المكاتب والخدمات » الى الحقل والمصنع • وادعت الصهيونية انها قد انجزت هذه المهمة منذ زمن بعيد ؛ فاذا بنا بعد اكثر من نصف قرن ، على صدور وعد بلفور ، واكثر من ربع قرن على قيام الدولة ، نرى ان « اليهود » ما يزالون في المكاتب والخدمات •

وليس معلق جيروسالم بوست الاقتصادي وحده هو الذي اكتشف ان «اليهود» ما يزالون في المكاتب والخدمات • فمعلق جريدة هآرتس (١) الاقتصادي اكتشف ، قبل اتخاذ الاجراءات الاخيرة بما يقارب شهرين ، ان اليهود ، بالاضافة الى انهم موجودون في المكاتب فقط ، لا يقومون بأي عمل ذي معنى • وتشمل هذه البطالة غير المنظورة والعالية التكاليف مائة الف شخص على اقل تقدير ـ موظفين وعمالا ، رجالا ونساء ، جلهم في ربيع حياتهم ، لو وضعوا في فروع ومهن اخرى لاستطاعوا ان ينتجوا سنويا بضائع وخدمات للتصدير بمليار دولار تقريبا • ولقد اصبحت البطالة غير المنظورة متفشية في كل مؤسسة ومصنع ودائرة حكومية •

٥ ـ لا يمكن القول بوجود طبقة « برجوازية» في التجمع الصهيوني، فالحقائق تقول ان كل ما هو موجود في هذا الكيان مستورد

---

١ ـ هآرتس ، ١٦ـ٩ـ١٩٧٤ •

من الخارج سواء كان امـــــوالا سائلة او مؤسسات انتاجية اقيمت بهذه الاموال · ان نسبة ما يقدمه الادخار المحلي ( وهو منظم بقوانين الضمان الاجتماعي ومسيطـر عليه من البنوك الاجنبية ) لا يكاد يذكـر · يقـــول دافيد هوروفيتش محافظ بنك « اسرائيل » السابق : « ان اسرائيـــل بلد فقير وخاصة بالثروات الطبيعية وتنقصها معظم المواد الخام المطلوبة للانتاج للصناعي هو مصدر معيشتهـــا الاساسي · انها تعتاش من تصنيع المواد المستوردة ، وبدون استيراد مركبات الانتاج هذه لا يمكن ان تتوفر فيهـــــا العمالة والانتعاش الاقتصادي ولا مستوى معيشة ملائم » (١) · ولنضف الى ذلك ان نسبة رؤوس الاموال والمنقولات الخاصة بالمهاجرين القادمين مـــن الخارج لم تزد عن ٢٠ر٠ بالمئة (٢) مـــن مجموع رؤوس الاموال التي تدفقت وتتدفق عـــلى الكيـــان الصهيوني على شكل قروض ومعونات ·

بل ان احداث العام الماضي كشفت عن لعبة خطيرة يقوم بها قادة الصهاينة ــ ولا شك انهـــم يقومون بها منذ زمن ــ تلك هي نهب الاموال ونقلها الى الخارج ، وفي بعض الاحيان عدم ايصالها اصلا الى الداخل بعد جمعها من المتبرعين اليهود · فقد حدثت خلال الاشهر الماضية فضيحتـــان ماليتان كبيرتان اديتا الى حدوث ردود فعل عنيفة لدى الاوساط المالية اليهودية في الخارج والداخل على السواء وهما فضيحتا بنك اسرائيل ــ بريطانيا والشركة الاسرائيلية · فقد افلست هاتان المؤسستان نتيجة لتهريب العملـــة من اسرائيل الى الخـــارج لاغراض

---

١ ــ دافار ٩ ــ ٨ ــ ١٩٧٤ ·

٢ ــ الماركسية والدولة الصهيونية ، اديب ديمتري ، عن كتاب « دولة اسرائيل» ص ١٨٤ ·

المضاربة • وقد كان لفضيحة الشركة الاسرائيلية صدى اكبر من فضيحة بنك اسرائيل لانها انشئت عـــام ١٩٦٨ وسط جو احتفالي لغرض جلب الاستثمارات من المتمولين اليهود وغير اليهود في الخارج الى اسرائيل للقيام بمشروعات ضخمة (١) •

٦ ـ حتى لو اقتصر نقاشنا ـ من الناحية المجردة والنظرية ـ على الجانب الآخر من الاسلاك الشائكة ، اي عـلى جانب التجمع الصهيوني فقط ، فان الانقسام العرقي بين سكان هذا الكيان ، اي انقسامهم الى اشكنازيم وسفاراديم ، **الذي هو في حقيقته امتداد للانقسام الحضري بين شعوب البلاد الصناعية الغنية وشعوب البلاد الزراعية الفقيرة ، هذا الانقسام يصبغ الصراع القائم داخل الكيان بصبغه عنصرية** ، حيث يستأثر الذين هم من اصل غربي بكل الامتيازات ، ويعاني الشرقيون من الفقر والقمع والتمييز ، وهو على اي حال امتداد للتناقض القائم الآن في العالم كله ، وليس وليدا لحركة الصراع داخل التجمع الصهيوني • تماما كما ان « الاقتصاد » الصهيوني هو امتداد للاقتصاد الاستعماري ، وليس نتاجا للنشاط البشري الخاص على ارض فلسطين •

٧ ـ ان الحديث عن الاغنياء والفقراء في التجمع الصهيوني (٢) وعن الصراع بينهم ليس دليلا عن وجود «صراع طبقي» ، فهو صراع على اقتسام معونات واموال مستقدمـــة من الخارج وليس على اقتسام ثروات البلاد • وينطبـــق هذا حتى على القسم الضئيل الخاص بالثروات المحلية ، فهو مصدره الارض المسروقة من اصحابها العرب الفلسطينيين •

٨ ـ ان الصراع الطبقي في المجتمعات التاريخية ينتهي ، ولا بد ان

---

١ ـ نشرة الارض عدد ٧ـ١٢ـ١٩٧٤

٢ ـ اسحق دويتشر ـ «اليهودي غير اليهودي» ، ص ٩٥ •

ينتهي ، الى ان تحل طبقة محل اخرى • وهــو في المجتمعات الرأسمالية يؤدي الى قيام ديكتاتورية البروليتاريا • ولا شك ان الصراع داخل التجمع الصهيوني لا يمكن ان يؤدي الى هذه النتيجة بأي حال ( كما يردد بعض الرفـــاق افكارا عن دولة اسرائيلية !! ) (١) • وانما يؤدي الصراع داخل هذا التجمع ويجب ان يساهم في تقويض الكيان كلـــه ، وبالتالي يصحح العلاقات القائمة سواء في الانتاج او بين القوى المنتجة نفسها اذ ستنضم اقسام كبيرة من الفقراء الى الجماهير العربية ، وعندئذ تكتسب وضعية طبقية صحيحة تؤهلها للنضال الصحيح من اجل التقدم •

٩ ـ من هنا ايضا الفرق بين دولة فاشية كالمانيا النازية ، والدولة الصهيونية • ففي الاولى ناضلت البروليتاريا الالمانية لاسقاط حكم « الرأسمال المالي المسلح » واحلال حكم الجبهة المتحدة اي من اجل المانيا الديمقراطية ؛ اما في الثانية فان الجماهير العربية ، وكل القوى الثورية والمقهورة « قوميا وعنصريا » ، تناضل من اجل اسقـــاط « كيان استعمـــاري » هو الكيان الصهيوني كله ، وتحرير الارض والجماهير مـــن سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصاديـــة والثقافية ، اي من اجل فلسطين ديمقراطية ••

ان الخطأ الاساسي للرفاق الذين يحاولــون تفسير ظواهر التجمع الصهيوني على اساس فكرة الصـــراع الطبقي ، ينبع من نسيانهم للحقيقة التاريخية الاشمل والاسبق ، حقيقة انه كيان استيطاني قائم على طرد وقهر شعب عربي يناضل من اجل استعادة ارضه ، وانه ليس مـــن العلمي بأي حال عزل

---

١ ـ بيانات مجموعة الاتحاد القومي الثوري ومجموعة الماتزبن •

ظاهرة هذا الكيان ومعالجتها وحدها ، وكأنها ظاهرة بشرية اجتماعية تاريخية ٠

★★★

وان افضل ما نختم به هذا الفصل هو ما ورد في كتاب «العرب في فلسطين » ، والمنشور بالعبرية للكاتب جوزيف واشتنر ، وقد نقل عنه كتاب « الطبيعة الطبقية في المجتمـع الاسرائيلي » ٠٠٠ سؤال سأله سائل، عامل عربي،ذات يوم في احتفالات اعياد اول ايار ـ مايو منذ اكثر من ثلاثين عاما اذ قال : « هل يتفق التضامن البروليتاري مع الدعوة لاخضاع العرب واقامة دولـــة يهودية ؟ ولم يستطع اي صهيوني ان يجيب وقتئذ ، وهم لا يستطيعون الاجابة الآن بأكثر مما استطاعوا امس » (١) ٠

وما يزال العامل العربي يسأل ٠٠ ولكنه اليوم يعرف الاجابة ، اذ حمل السلاح من اجل تحرير ارضه ، ومن ثم تحرير عمله وطبقته ٠

---

١ ـ الطبيعة الطبقية في المجتمع الاسرائيلي ، ص ١٦ ٠



ملحق رقـم (١)

# رد على مقال الصراع الطبقي في اسرائيل [1]

نشرت مجلة « صوت عمـــال الاردن » في السابع من تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ترجمة لمقال نشرته صحيفة « رودي براس » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي بعنوان « الصراع الطبقي في

..................... ......... . . . ...............................

١ ــ نشرت مجلة «صوت عمال الاردن» في عددها السابق مقالا بعنوان «الصراع الطبقي في اسرائيل» للكاتب التشيكي ميلان مادر ، وكان قد ترجمه وارسله للمجلة الدكتور عزة عجمان ٠

وقد بعث الينا الدكتور محجوب عمر برد على المقال المذكور ، نقوم بنشره ايمانا بدور هذه المجلة كمنبر ملتزم لكافة الاراء السياسية والجادة ، والتي تساهم في بلورة كافة المسائل المتعلقة بالخصم والصديق على حد سواء ، مع ترحيب المجلة واستعدادها لنشر ردود المفكرين العرب على هذا المقال ومناقشته ٠

اسرائيل » · ولا شك ان صحيفة « روديبرافو » قصدت بنشرها هذا المقال توعية وتعبئة الشعب التشيكوسلوفاكي ضد « السياسة العسكرية وسياسة الحرب واحتلال اراضي الآخرين التي تتبعها اسرائيل » وذلك كما ورد في الفقرة الاخيرة من المقال ·

ولا شك ايضا ان ترجمة المقال ونشره في مجلتكم ، هو جزء من مهمة هذه المجلة العمالية في اقامة جسر نضالي بين الشعوب ، وبين القوى الثورية والتقدمية ، تأكيدا لموقف كاتب المقال وناشره ودعوة لمغيرة لمثل هذا المقال في غير هذا البلد ··

ولكن المقال بما طرح ، يجدد جدالا هاما يدور في صفوف القوى التقدمية واليسارية في العالم ليس بما ذكر من ظواهر الفقر الذي يشكو منه نصف سكان المجتمع الصهيوني على الاقل ، ولا بما ذكر من اشكال النضال التي يمارسها الفقراء ضد الاغنياء في اسرائيل ولكن بنسبة كل ذلك الى ظاهرة الصراع الطبقي ·

هنا يثور الخلاف ، فالاتفاق تام على حقيقة وواقع الظواهر المذكورة في المقال ، من ارتفاع للاسعار وانخفاض لمستوى المعيشة ، وترد لظروف العمل واشتداد وتوسع الاضرابات التي يقوم بها المستخدمون وغيرهم ·

هذه حقائق نشكر الكاتب على جمعها ونشرها · فهي تفضح على الاقل الاكاذيب الصهيونية عن واحة التقدم والرخاء في الشرق الاوسط وتخيف او تبعث التردد في نفس اليهودي التشيكي الذي يفكر في اللحاق بمن سبقه الى فلسطين المحتلة ··

ولكن نسبة هذه الظواهر الى ظاهرة الصراع الطبقي من شأنها على المدى الطويل وفي نهاية التفكير ان تجعلنا نقع في حبائل الخدعة الصهيونية الفكرية الجديدة المطروحة على كل قوى التقدم واليسار العالمي ···

ولنبدأ في ايجاز وترتيب ··

حدث ان انفضحت الافكار الصهيونية عن « القومية اليهودية »

برغم ما حققته مـن نجاح في انشاء منظمـات « يسارية » يهوديـة ساهمت وتساهم في بناء وادارة « دولة اسرائيل » ٠٠

لم تفضح بالممارسة السياسة فقط ـ التبعية المطلقة للاستعمار العالمي ـ ولكن ايضا باشتداد عـود اليسار العـربي ، وانفتاحه مسلحا وعالميـا على قـوى اليسار العالمـي مستعينا في جداله بكلاسيكيات ادبية ماركسية ولينينية تدحـض فكرة الصهيونية عن القومية اليهودية ٠ وانهارت فكرة « القوميـة اليهودية » في اذهان اليسار العالمي وان ظلت هي التي تحـرك العمل في صفوف اليمين اليهودي ، وكالعادة ، غيـر الصهاينة التكتيك : « لا توجد قومية يهودية » ٠٠٠ « القومية اليهودية فكرة رجعية » ، « القومية اليهودية فكرة عنصرية » ، « نحن ضـد الصهيونية » ، « لا يمكن ان تتطور امة يهودية تاريخيا » ٠٠٠ الى آخر كل اشكال الكلام والافكار التي انصبت على ساحة الفكر العالمي خصوصا بعـد ١٩٦٧ ٠ وبعد كل هذه الادانات تأتي ٠٠٠ ولكن ٠٠

ولكن ماذا ؟٠٠ ولكن هناك « امة اسرائيلية في طريق التكوين»، وهي بهذا الشكل لا بد ان تتعايش مع الامـة العربية ٠ عندئذ يقول السامعون ، وما ادلتكم على هذه الامة الجديدة او المقترحة ان شئت الدقة ؟ تكون الاجابة متنوعة ، من اللغـة الى الدين ، الى التكوين النفسي المشترك الى الارض الجديدة ، ثم يسقط عـن عمد عاملان هامان ـ التاريخية والاقتصادـ ولسنا في مجـال مناقشة عامل الحركة التاريخية في تكويـن الامـم الآن ، بل ينصب جدالنا على الاقتصاد ٠

مروجو النظرية الجديدة ٠٠ يعرفـون اكثر مـن غيرهم ان الاقتصاد داخل التجمع الصهيوني لم يتشكل تاريخيا ، اي ان مصادر تكوين الثروات لم يكن الا التراكم الاول ، ولا هو حتى الآن التراكم الثانوي ـ عذرا للقارىء على هذا الايجاز ، وليرجـع الى المصادر الاقتصادية بخصوص هذيـن التعريفيـن ـ وانما هو حتى الآن

« الحقن » الرأسمالي العالمي بملايين الدولارات لجيش صغير يحتل ويغتصب أرضا يقيم عليها قاعدة عسكرية متطورة وحديثة وتسمى باسرائيل (١) ٠

هذه القاعدة العسكرية المتطـورة الحديثة التي تحمل ايضا سمة خاصة بها ، تنفرد بها عن كل القواعـد العسكرية في العالم وهي العنصرية ـ ممنوع انتماء غير اليهود لها ـ لا بد ان يكون لها تناقضاتها ، وبعض هذه التنـاقضات يشبـه في ظاهره التناقضات الموجودة في المجتمعات الانسانية الاخـرى « تمايز في مستويات المعيشة ، غني وفقير ، مؤسسات ، اضرابـات ، لافتات برلمانية ، ديمقراطية ليبرالية ، احتجاجات ٠٠ الخ » ٠

هنا وجد المتياسرون ـ وليس اليساريون ـ الصهاينة فرصتهم الى الفكر اليساري العالمي ٠٠ هاكـم صراعا طبقيا ٠ ولما كان الصراع الطبقي هو محرك التاريـخ فان النتيجة ان يؤدي هذا الصراع الى تكوين امة اسرائيلية تصبح مهمـة البروليتاريا فيها الاستيلاء على السلطة وتغيير الطابع العسكري العدواني التوسعي ومن ثم التآلف مع الامة العربية ٠ مثالية منطقيـة فكرية بسيطة او هي في الحقيقة منزلق فكري سهل يمكن سحب اليسار العالمي اليه ٠

وقد كان للاسف ،

بل ان بعض قوى اليسار العربي قد انساقت في نفس الطريق ايضا ٠٠٠

اين الخطأ ؟ واين المغالطة ؟

سنحاول الرد في ايجاز :

---

١ ـ عندما يتصارع الجنود مع الضباط في جيش ٠ فليس هذا صراعا طبقيا ، وفي حالة جيش الغزو الصهيوني المسمى «باسرائيل» لا يمكـن رد الصراع الى طبقات خارجة ، فان كل مجموعة من الجنود تنتهي تاريخيا الى طبقة عاملة بعيدة ، قد تكون روسية او انجليزية او عربية ٠٠ الى اخر مصادر الهجرة اليهودية ٠

اولا : ان افتراض وجود صراع طبقي في مجتمع مـا ، يعني التسليم بتشكيل طبقات اجتماعية في هـــذا المجتمع ، وحسب كل التعريفات التي اعطيت للطبقة الاجتماعيـــة فان تعريفا واحدا منها لا ينطبق على واقع المجتمـــع الصهيوني الا اذا قبلنا التعريفات السطحية ( غيـــر اليسارية ) التي تقسم الناس الى طبقات ومراتب واقسام بطريقة ميكانيكية مغفلة دورهـــا التاريخي في المجتمع ، ودورها في الانتاج ، وعلاقتها بما فوقها وما تحتها من فئات وطبقات ويقتصر التقسيم عـــلى مدى ما تملك من نقـــود او على مستوى المعيشة ٠

بل ان التعريفَ الماركسي يضع سمتيـــن للطبقة بالاضافة الى دورها في الانتاج وهما : بروزها من خلال عملية تاريخية، واكتسابها وعيا طبقيا ٠

هل يستطيع احد ان يزعم ان هذا ينطبق على « الطبقات » في المجتمع الصهيوني ؟٠٠ رأس المـــال والرأسماليون مستوردون ، ويستوردون ٠ العمـــال وادوات الانتاج تستـــورد ومـــا تزال ، وستظل ٠

اننا ازاء طبقة يتغير تركيبها وتكوينهـــا النفسي وارتباطاتها بالمجتمع وادوات الانتاج مع كل موجة هجرة من الخارج ٠ ان آلاف اليهود الشرقيين الذين وصلوا الى فلسطين المحتلة عام ١٩٥٧ كانوا ( او هذا هو المفروض ) قبل وصولهم بيوم واحد جزءا من طبقاتهم الاجتماعية في بلادهم الاصلية ، ثم وصلوا فاضافتهم ارقام الاحصاء جزءا من طبقات مزعومة في المجتمـــع المستورد الصهيوني ٠٠ هل يستقيم ذلك مع التحليل الطبقي المعقول ، ناهيك عن الماركسي ؟

ثانيا : ان الذين يقدمون اشكال الصـــدام والصراع داخل المجتمع الصهيوني باعتبارها اشكالا للصراع الطبقي يتعمدون اغفال الوجه العنصري لطرفي الصراع ٠ كلا الطرفين عنصري ومتعصب٠

لا فرق عندي من يغتصب بيتي ؟ فاذا تعارك المغتصبون فان عراكهم لا يمكن ان يكون صراعا طبقيا يتحتم حسب التحليـــلات اليسارية والماركسية بالذات ان يكون جزءا من الصراع الطبقي العالمي من اجل قلب الرأسمالية والقضاء عليها ، اي لا بد ان يحمل صفة اممية في جوهره ٠ ونحن نسأل هل يمكن ان يكون الصــــراع امميا وهو يبدأ بالقضاء على امـــة ؟٠٠ ان المجتمــــع الصهيوني مليء باللافتات المستوردة ، احزاب وهيئات وروابط واتحادات واغلبهـــا فيما نعلم يرفع اعلاما يسارية وماركسيـــة ، وتحت هذا الاعلام وفي ظل هذه المؤسسات تم اغتصاب فلسطين وتشريد اهلها ٠٠

ان الصراع في داخل المجتمـــــع الصهيوني طبقي ، بقدر ما يكون حزب المابام حزبا ماركسيا حقا ، والهستدروت اتحادا عماليا بالفعل ٠٠٠ فهل هما كذلك ؟ ( سيقول البعــض ولكن هناك حركات واحزاب اخرى ونحن نطالبهم بأن يسألوا ايا مـــــن هذه الحركات والاحزاب ، مهما بلغت « تقدميتها » ، هل يؤدي نضالكم او يستهدف تغيير الطبيعة الدينية للدولة ؟ هل سيتنازلون او هل هم تنازلوا الآن عن فكرة اسرائيل ٠؟ لم يفعل ذلـــــك احد حتى الآن وعندما يفعل فسيصبح جـــــزءا مــــن حركة التحــــرر الوطني الفلسطيني بلا شك ) (١) ٠

ثالثا : ان تقديم أشكـــال الصراع الدائر داخـــــل المجتمع الصهيوني باعتبارها صراعا طبقيا يؤدي طبعا الى اخفـاء الجوهر الحقيقي لهذا الصراع الا وهـــو الصراع العنصري بيـــن اليهود الغربيين « الاشكنازيم » واليهود الشرقيين « السفارديـم » وهو ما يحدث فعلا وكشفت عنه اشكال الصدام العنيـف احيانا ، والسلمي احيانا اخرى ، التي برزت في الاعوام الاخيرة (٢) ٠

١ ـ راجع محاضر الكنيست والسؤال الموجه الى يوري افنيري حول هذا الموضوع من نواب حزب جاحال ٠

٢ ـ ان الصراع بين الاشكنازيم والسفارديم يعكس وجها عنصريا عرقيا

ان المفكرين الصهاينة يهمهم بالطبع اخفاء هـذا الوجه · ولن يعدموا ان يقدموا لنا نماذج من صراع الاشكنازيم · ولكنها على اي حال لن تخفي ما يقر به الجميع الآن عن انقسام المجتمع الصهيوني الى جماعتين عرقيتين متصارعتين صراعا في رأينا هـو الصراع الداخلي الرئيسي الذي يدل تاريخيا بالغاء (نفي) الدولة الصهيونية المسماة باسرائيل ·

**اخيـرا :**

لتكن هذه الكلمات بداية للحوار واننـا لنرجوه حوارا مثمرا مع كل القوى التقدمية واليسارية ·

ستثور اسئلة كثيرة ، وسيدور معظمها حول التسميات التي يمكن ان تصنف بها اشكال الصراع داخل المجتمع الصهيوني ، ونحن لا نريد ان ندير حوارا حول التسميات ولكن عندما يتعلق الامر بكلمة الصراع الطبقي فان لهذه التسمية مدلولها الفكـري لدى قطاعات واسعة من القوى المناضلة ضد الاستعمار والاستغـلال لذا نحرص على ألا ننزلق الى استخدامها في غير مكانها ··

كما ان الحوار حول هذه القضية الفكريـة لا يحول ولا يمنع ولا يجب ان يحول ان يمنع التعاون الوثيق بين كـل القوى المناضلة ضد الاستعمار والصهيونية من اجل الحرية والتحرير ·

**( محجوب عمر )**
**٢٤ـ١١ـ١٩٧٢**

---

كما يعكس في الوقت نفسه ولاسباب تاريخية وجها للصراع بين المجتمعـات المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا (حضريا) التي قدم منها الاشكنازيم والمجتمعات الزراعية المتخلفة التي قدم منها السفارديم ·

## ملحق رقم (٢)

# فلسطين الديموقراطية : هدف وخطة وحتمية تاريخية [١]

تحل الذكــرى العاشرة للانطلاقــة المسلحة للثورة العربية الفلسطينية وقد برزت شعاراتها اكثر فأكثر ، ليس فقط على الساحة العربية وانما ايضا على الساحة العالمية • ولم يكن من قبيل الحلم ، او الصدفة ، او المزايــدة ، او التلويـح للمساومــة او الخداع والمراوغة ، الى آخر تلك الدوافع غير الموضوعية ، لم يكن من قبيل

---

١ ـ نشر هذا المقال في العدد الخاص ٤١ ـ ٤٢ من شئون فلسطينيـة كانون ثاني ـ شباط ١٩٧٥ بمناسبة الذكرى العاشرة للانطلاقة المسلحة •

كل ذلك ان تقدم الثورة الفلسطينية من فوق منبر الامم المتحدة (١) ، حلها المقترح لمشكلة تواجد اليهود في فلسطين بعد تحريرها : الا وهو فلسطين ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديموقراطي واحد ٠

ان المكان الذي احتله شعار فلسطين الديموقراطية في الاشهر الاخيرة ، كان ثمرة نضال مسلح طويل ، ومواجهة شجاعة رائدة ، لمشكلة هي من اعقد المشاكل على الجانبين معا ٠ فلولا الثورة المسلحة ، وتفاصيل نضالاتها اليومية ، لما كان من الممكن فهم ، فضلا عن تقبل شعار « فلسطين الديموقراطية » من جانب معظم القطاعات الجماهيرية العربية التي عانت وتعاني من العنصرية الصهيونية ، والتي كان من المنطقي ازاء هذه المعاناة ، ان تندفع هي الاخرى الى عنصرية مشابهة مناقضة ٠ ولولا هذه الثورة ايضا ، وممارساتها ، لما امكن ، كما لا يمكن في المستقبل ، طرح الحل الديموقراطي الفلسطيني لجانب من « المشكلة اليهودية » موجود في بلادنا ، وبالشكل الذي جعل قطاعات متزايدة من يهود الكيان الفلسطيني نفسه ، يتقبلون مبدئيا ، الدخول في حوار حول هذا « الحل المنشود » ٠

ومن قبل عام واحد ، بدا للكثيرين في اعقاب حرب اكتوبر — تشرين ١٩٧٣ ، ان مكان « فلسطين الديمقراطية » قد اخلي ، لتحل محله الحلول الجزئية او المرحلية ٠ ولكن احداث الشهور الاخيرة ، اثبتت انه لا يمكن العزل بين « الموصوف » ومصدر « الصفة » ، بين الفلسطينيين وفلسطين ، وانه عندما اضطرت نظم العالم الى التعامل مع « الفلسطينيين » بعد ان فرضوا وجودهم وشخصيتهم بقوة السلاح ، كان على هذه النظم باختلافها ان تحدد موقفها ايضا من « فلسطين » ٠

---

١ ــ راجع خطاب الاخ ابو عمار في الامم المتحدة الدورة ٢٩ ٠

ومن حيث اراد « التسوويون » محاصرة النضال الفلسطيني في اعقاب حرب تشرين ـ اكتوبر ١٩٧٣ ، برزت « قضية فلسطين » كما لم تبرز من قبل طوال السنوات الماضية · وثبت ان سنوات النضال لم تذهب ، ولا يمكن ان تذهب هدرا · وبات واضحا للجميع « محورية » قضية فلسطين في النضال القومي العربي كله ، بل وبالنسبة لنضال قوى التحرر الوطني العالمية كلها · فمنذ عام قال كيسنجر : ان الصراع انتقل من صراع محلي بين اسرائيل والفلسطينيين ، الى صراع منطقة ، الى صراع دولي ، وان مهمته هي اعادة هذا الصراع الى حجمه المحلي ثانية ·

ولقد سعى كيسنجر طوال هذا العام الى تحقيق اتفاقيات فك الارتباط على الجبهات غير الفلسطينية ، آملا ان يؤدي ذلك الى حصار الثورة الفلسطينية ، او على حد تعبيره الى اعادة الصراع الى حجمه « المحلي » ثانية ·

ولكن النتائج كانت على عكس ما يتوهم الكثيرون ، واولهم كيسنجر نفسه · فعلى اثر هدوء الجبهات ، برزت الجبهة الفلسطينية مرة اخرى ، وهي جبهة منتشرة انتشار الارض والشعب الفلسطيني ، برزت باعتبارها اكثر نقاط الصدام مع الاستعمار حدة وتأثيرا سواء على المستوى المحلي او المستوى الدولي · يقول ناحوم يارينج معلق جريدة دافار في ٢٠ـ١٠ : « انقلبت منظمة التحرير الفلسطينية من عامل عربي داخلي الى عامل دولي معترف به » ( ن· م· د· ف· ، ١ـ١١ـ١٩٧٤) · كما تحطمت زيارة كيسنجر الاخيرة للمنطقة على صخرة الموقف من منظمة التحرير الفلسطينية الذي تقرر في مؤتمر الرباط · ثم جاء خطاب الاخ ابو عمار امام الامم المتحدة ، لينهي مرحلة طالت ، سمي الصدام فيها بالصراع العربي الاسرائيلي ، او مشكلة الشرق الاوسط ، ولتبدأ مرحلة طال انتظارها تكون فيها قضية فلسطين هي محور كافة النشاطات العسكرية منها وغير العسكرية ·

ومن الآن فصاعدا ، ستكون عبارة « فلسطين الديموقراطية » -الهدف الذي يسعى الثوار لتجسيده ، ويسعى اعداء الثورة لتقويضه · ستكون محور الصراع بالافكار والبرامج والاقلام والبنادق ·

## فلسطين الديموقراطية : هدف وخطة وحتمية تاريخية

اعلنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في العام ١٩٦٨ ، وللمرة الاولى بصفة رسمية ، برنامجا سياسيا يحدد بوضوح الهدف النهائي لكفاحها التحريري · وجاء في الاعلان المذكور ما يلي : « نحن نقاتل اليوم في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديموقراطي تقدمي ويمارسون عباداتهم واعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية » (٢) ·

ومنذ ذلك التاريخ تناول الكثيرون ، من مواقع مختلفة ، هذا الشعار بالبحث والتفسير ، وبالمعارضة والتخطئة ، وشارك في النقاش ايضا مع تصاعد النضال المسلح ، قوى سياسية داخل الكيان الصهيوني تترواح موقفها من الرفض الى القبول الشكلي ، الى التبني الكامل ·

والحل المطروح ، وان يكن جديدا في صياغته ، الا انه ليس جديدا في جوهره · فلم يحدث منذ بداية المشكلة الفلسطينية ان وافق العرب على اي حل يقضي بالتسليم بأي بقعة ارض عربية للمستوطنين الصهاينة · لقد رفض العرب التقسيم وما يزالون ·

..............................................

٢ ـ راجع كتاب نحو فلسطين ديمقراطية للدكتور محمد رشيد ، سلسلة ابحاث فلسطينية ، رقم ٣٤ ، اصدار مركز الابحاث في م·ت·ف·

بل لقد سبق للفلسطينيين ان تقدموا مـــن لجنة بيل عام ١٩٣٧ ، باقتراح يقضي بانشاء دولة تعيش فيها الطوائف جميعا عـــلى قدم المساواة • كما ان التاريخ القديم والمعاصر يخبرنا انه عـلى ارض فلسطين عاشت وتعايشت طوائف مختلفة في سلام وتفاعل •

كل الذين قاوموا ، وعارضوا قيام الكيـــان الصهيوني ، لم يسلموا ولا للحظة واحدة في فلسطين ، ارضـــا ، واسما ، وصفة ، وهدفا للتحرير •

الجديد الذي طرحته « فتح » هو في كلمة « الديموقراطية » • وهي تطرح ليس فقط « صفة » للدولة المستهدف اقامتها بعد التحرير الكامل لفلسطين ، ولا حتى منهاجا للعلاقـــات القانونية الدستورية فيها ، وانما ايضـــا ، قاعدة للعلاقـــات الاجتماعية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية بين سكان هذه الدولة ، فان شئنا الدقة فانها قـانون ذلك المجتمع التقدمي الذي يتمتع فيـــه الجميع « بحقوق متساوية » •

كان معنى تحديد « فتح » لهذا الهـــدف انها كحركة ثورية ، تحترم الواقع ولا تتغافل عن عوامله ، ان وجود ثلاثة ملايين يهودي على ارض فلسطين هو بلا شك ابشع انواع الاحتلال الاغتصابي في التاريخ ، ولكن الزعم بامكان القاء ثلاثة ملايين من البشر في البحر، هو ايضا من قبيل التسليم بوجودهم كما هـــم في نهاية الامر عندما يعجز المنادون بذلك عن تنفيذه • ان الثوار لا يلقون احدا في البحر ، ولكنهم يقاتلون من اجل تحرير اوطانهم ، وعندما يكـــون المحتلون « قوما » «هجروا» اوطانهـــم الاصلية ، ولم يعد لهم من الناحية الرسمية اوطان « يعودون » اليها كمـــا كان الحال مع مستوطني الجزائر مثلا ، فان وجود هؤلاء يفرض على الثوار ضـرورة طرح حلول تتفق ليس فقط مع انسانيتهم وانما ايضـــا مع منطق الحركة التاريخية •

هناك « مشكلة يهودية » في المجتمعات الرأسماليــة الصناعية المتقدمة ، وهي مشكلة لها جذور تاريخية ، قديمــة ، والحل الوحيد لهذه المشكلة في تلك المجتمعات هو بلا شك « **التمثل** » اي « الذوبان » داخل كـــل مجتمع ( **واكتمال ذلك مرهون بالقضاء على الاستغلال داخل هذه المجتمعات** ) · وقد بدا من الممكـــن ان يـــؤدي التطور الرأسمالي العفوي الى هذه النتيجـــــة ، وذلك يحدث جزئيا حتى الآن ، الا ان الاحتكارات العالميـــــة ، « استخدمت » هذه « المسألة اليهودية » لتحقيق اهدافها الاستعمارية في الوطن العربي ، ولذلك نقلوا هذه الملايين الى فلسطين ، وخلقوا بذلك مشكلـــة يهودية في « فلسطين » ، وعطلوا حل « المشكلـــــة اليهودية » في بلادهم في الوقت نفسه اذ خلقوا مشكلة الولاء المزدوج ليهود تلك البلاد ·

ويمكننا القول بتبسيط جائز ، اننا امام مشكلة ذات وجهين ·· الاول هو فلسطين المحتلة التي يجب تحريرها ، والثاني هو « جيش الاحتلال » ، المقدر عدده بثلاثة ملايين يهودي تقريبا ، والذي ليس امام افراده شاطىء ينسحبون اليه كجماعة موحدة ·· كما حدث في الجزائر مثلا ·

ولا شك اننا سنستعيد كل فلسطين ، سنحرر كل فلسطين · اما بالنسبة للمحتلين الغاصبين ، فقد يرحل بعضهم الى حيث يمكن ان يستثمر كفاءته وقدراته كما يشاء ، كجزء من هجرة الادمغة التي تجري الآن في عالمنا · وقد بدأ ذلك فعلا في الكيـــان الصهيوني · وتشير الصحف الاسرائيلية الى ظاهرتي التساقط اي عدم الوصول الى « اسرائيل » بعد الهجرة من البلد الاصلي ، والنزوح اي الهجرة من « اسرائيل » بعد الوصول اليها ، باعتبارهما في ازدياد مستمر · وطبقا لدراسات الصهاينة انفسهم فان اكثر مـــن الفي « متساقط » موجودون الآن في بلاد متعـــددة في اوروبا ، وبعضهـــم نجح في

الوصول الى الولايات المتحدة (٣) ٠ كما تشيـر الدراسات نفسها الى ان اتجاه النزوح بين الشباب هي : الى الولايات المتحدة ١ر٢٢ بالمئة ، كندا ٢ر١٨ بالمئة ، استراليا وجنوب افريقيا ١ر٩ بالمئة ، فرنسا ١ر٩ بالمئـــة ، وسط اوروبا ( الرأسمالي ) ٧ر١١ بالمئة ، الدول الاسكندنافية ٩ر٣ بالمئة ، والمانيا ٦ر٢ بالمئـة ، والى امريكا اللاتينية ٩ر٣ بالمئة (٤) ٠

وقد يرحل البعض ، اذ لا تحمل عنصريتـــه الصهيونية البقاء مع عرب امثالنا ٠ ولا شك ان كثيرين سيفضلون العودة الى بلادهم العربية ، بعد ان خدعتهم الدعايات والمؤامرات الصهيونية فأخرجتهم منها ٠ وقد بدأ ذلك ايضا ، كما تزايد الاتجاه نحوه ، وتشير الدراسة السابقة الى ان ٦ر٢ بالمئة من « العينة » التي جرى عليها الفحص يريدون النزوح الى بلاد اسلامية كالمغرب وتركيا ٠ ولا شك انه مع تزايد القمع العنصري في الكيان الصهيوني ، والتقدم الاجتماعي في البلاد العربية ستزداد هذه النسبة ٠

ولكن كل تلك الاحتمالات لا تجعل الثوار يغيرون من منهاجهم ، انهم عندما يتناولون قضية فان « الحل » المفترض اقتراحه يجب ان يكون حلا يتفق وجوهر المشكلة ( حل ديموقراطي في مواجهة عدوان عنصري ) **والا يتوقف على « الاعداد » كبرت او صغرت** ( ان قاعدة

..................................................

٣ـ راجع كتاب يوري افنيري ، للاستاذ كميل منصور الصادر عن مركز الابحاث في م٠ت٠ف٠ وراجع دفاع الرفيق رامي ليفنه عضو الجبهة الحمراء خلال محاكمته في حيفا ١٩٧٣ ، وراجع مقال فلسطين الغد للدكتور نبيـــل شعث ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢ ٠

٤ ـ راجع ن٠م٠د٠ف٠ عدد ١ـ١١ـ١٩٧٤ ٠وراجع التقرير الخاص من مركز التخطيط حول الهجرة والهجرة المضادة من فلسطين المحتلة ، ٢٧ـ٦ـ ١٩٧٤ ٠ وراجع نشرات رصد اذاعة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث في م٠ت٠ف٠

الديموقراطية في العلاقات الاجتماعية لن تسري فقط على المسلمين والمسيحيين واليهود ، وانما على كل الطوائف الاخرى التي تعيش في فلسطين وبعضها لا يزيد عدده عن عدة آلاف ) • ان الحل الذي يقدمه الثوار هو على الدوام حل شامل من رؤية شاملة ، ليس حلاً جزئيا من اعتبارات عددية • ذلك ما جعل « فتح » تؤكد انها لا تميز بين يهودي ويهودي على الارض المحتلة ، لا الآن ولا عند النصر والتحرير ، لا بتاريخ الميلاد ، ولا بالبلد الاصلي ، الا بقدر وعلى اساس ما يتخذ هذا او ذاك من افراد او الجماعات داخل الارض المحتلة ، من مواقف ضد الصهيونية ومع الثورة الفلسطينية •

**واذ تقرر « فتح » ان الارض (اي ارض فلسطين) هي للسواعد المخلصة التي تحررها بالسلاح ، فانها بذلك لا تقسم غنيمة بعد حرب ، وانما تضع قانونا لعلاقات البشر بعد التحرير (٥) ،** ومن ثم للتمييز بينهم بمقياس لا عنصري ولا طائفي • ولا يمكن ان يكون هناك مقياس اكثر ديموقراطية وعدلا من هذا المقياس • من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله ، اي من كل حسب قدرته ، ولكل حسب موقفه الفعلي ضد الصهيونية ومؤسساتها • ولا تفريق ولا تمييز الا على هذا الاساس بغض النظر عن الجنس او اللون او الدين او العرق •

ان الثوريين اليهود في الوطن المحتل ، يدركون حقيقة واهمية هذا المقياس ، فلنقرأ ما قاله الرفيق اهود اديف ـ احد زعماء الجبهة الحمراء اثناء المحاكمة في حيفا منذ عامين تقريبا (٦) : « وهذا يمكن عمله ( اي تحويل النضال من عرب ضد يهود الى

---

٥ ـ مبادىء واهداف واساليب حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح•
٦ ـ راجع نشرة الارض عدد ٧ ـ ٨ ـ بتاريخ ٢١ـ١٢ـ١٩٧٣ •

مضطهَدين ضد مضطهِدين اي للنضال ضد دولة اسرائيل ) بأن يقوم يهود ويثبتوا للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين بأنهم ( اي اليهود ) يقفون الى جانبهم ومستعدون ان يضحوا بكل ما لديهم وان يتعرضوا للمعاملة ذاتها وان يقتسموا واياهم الامور دون اي تمييز او افضلية لكونهـــم يهودا • **وبدون ذلك لن يثق اي عربي بصدق ثورية اكثر ثوري يهودي استقامة** » ( التوكيد بالحرف الاسود من عندنا ) •

لهذا ايضا ترفض « فتح » الافكار التي تقـــول بأن مثل هذه الدولة الديموقراطية يمكن ان تكون اطارا يجمــــع « الاسرائيليين » و « العرب الفلسطينيين » • فليس الامر في النهاية امر تسوية بين ما يسمى « بحقيقتيـــــن » !! تاريخيتيــــــن ، ولا هي صفقـــة بين « الاسرائيليين » و «العرب الفلسطينيين» ، وانما هو تناقض تاريخي اساسي لا حل لــــه الا **بتلاشي احد طرفيه** • ولما كان من المستحيل تاريخيا ان يتلاشى الشعب العربي الفلسطينــــي او ارض فلسطين نفسها ، فان الذي سيعود ليحتل المكـــان عبر الحركـــة التاريخية ستكون هي « فلسطين » وشعبهــــا ، ومن عليهـــا سيكونون هم « الفلسطينيون » سواء كانوا مسلمين او مسيحيين او يهودا او من اي ملة او طائفة •• لا بد ان يتلاشى ذلك الكيان الصهيوني ، وهو عندما ينهار ، سيترك خلفه « المستوطنين » الذين سيكونون عندئذ اسرائيليين سابقين !! ليس امامهـــم الا ان « يتمثلوا » ليصبحوا مواطنين في فلسطين الجديدة لا يتدخل احد في عقيدتهم كيهود ولا يميزهم على هذا الاساس ، وانما على الاساس الذي ذكرناه الا وهو قدر موقف كل منهم من معارضة الصهيونية اي من « الاسرائيلية » ، وتأييد الثورة التحررية العربية اي « الفلسطينية » •

فلسطيــــن ستعود ، تلـــك حتمية تاريخيـــة ، ولكي تكون « ديموقراطية » ، وهـــي لا يمكن ان تكـــون الا كذلك على المدى

التاريخي ، لا بد من الثورة الشعبية المسلحة التي لا بد ان يشارك فيها مناضلون من اليهود انفسهم ، الذين هم على ارضها مغتصبين· مـــن هنا فان « الديموقراطية » هـــدف ، وخطـــة فـــي الوقت نفسه ·

لقد اختار الثوار الفلسطينيون « الديموقراطية » لفلسطين حلا وهدفا يناضلون لتحقيقه ، ومن المؤكد ان هذا الاختيار هو رد الفعل الثوري الانساني عـــلى « العنصريـــة » التي اتصفت بها الهجمة الاستعمارية التي احتلت فلسطين واغتصبتها · كان منطقيا (عفويا)، ان تؤدي الهجمة العنصرية الى نقيض عنصري ، ولكن ذلك لم يكن ليؤدي الى تحرير فلسطين · بل الاغلب انه كان سيعمق من مشكلة الوجود العنصري الاستعماري نفسه ( ولقـــد ادرك الصهاينة هذه الحقيقة فسعوا على الدوام الى تصوير المقاومة العربيـــة على انها موقف عنصري لا سامي ، وذلك بهدف المحافظة على عنصريتهم هم ) · لذا فان هذا الاختيار الثوري الانساني يفـــرض على الثوار طريقا محددا للتحرير ، اي خطة محددة للقتال من اجل استعـــادة الارض المغتصبة وعودة الشعب المشرد ، وفي الوقت نفسه مواجهة «مشكلة يهودية » من نوع خاص ، مصدرة الى بلادنا من البلاد الاستعمارية، ومحاصرة تاريخيا ·

ان استعادة الارض وعودة الشعب لا يتطلبان اكثر من تحقيق تفوق عسكري يمكن العرب من تحطيم القوة الرئيسية للعدو ، بحيث يجبر على التسليم · ولكن استيعاب وحـــل « المشكلـــة اليهودية » التي ستتخلف عن هذه الحقبة من القتـــال ، يحتمان ان يدور هذا القتال بخطة واسلوب حرب الشعب طويلة الامد ، اي ان يكون قتالا جماهيريا ، بحيث تتخلص الجماهير المقاتلـــة من كل ردود الفعل العنصرية ، والمرارة والشك والثأرية ، وذلك عندما تدرك بتجربتها الذاتية ، عقم طريق التعصب ، وخصب الطريق الثورية الانسانية ،

وعندما تسقط خلال طريقها الطويل كل القوى الرجعية والمتعصبة التي سبق ان اضاعت فلسطين ، بل وتآمرت عليها مع المستعمرين والصهاينة ٠

ستدرك الجماهير العربية المفعمة القلوب بالمرارة ، ستدرك خلال القتال ، اذ يرافقها ـ سلاحها وقتالها وتضحياتها ـ جماعات من اليهود انفسهم ، ان عدوها هو الاستعمار والصهيونية وليس جماهير اليهود المضللين والمضطهدين في بلادهم الاصلية ٠ كما ستدرك اعداد متزايدة من اليهود المستوطنين انفسهم ٠ ان الهروب من اضطهاد عنصري لا يكون باللجوء الى عنصرية اشد وافظع هي عنصرية الصهاينة انفسهم ضد **فقراء اليهود وشرقييهم** بعد طرد العرب الفلسطينيين ٠

**ان خلق الانسان الفلسطيني الجديد ، يتطلب قتالا جماهيريا طويل الامد ، تتراكم فيه الصفات الثورية المكتسبة من خلال هذا النضال ومعاناة الاجيال** ٠ وسواء كان هذا الانسان الفلسطيني الجديد مسلما او مسيحيا او يهوديا ، او من اي طائفة كانت ، فانه سيكون بلا شك « عربيا » سواء **بالاصل** او « بالتمثل » ٠ اي ان هذا القتال الجماهيري الطويل لا بد سيؤدي الى ما كان يجب ان يؤدي اليه تطور المجتمعات التي هرب منها اليهود وهجروها الى فلسطين ٠

ان حل المشكلة اليهودية لا يكون بالهرب من مجتمعات تحمل في باطنها « عنصرية » هي انعكاس لعلاقاتها الاجتماعية وتسير حتما نحو التحرر منها كما تسير نحو التحرر الاجتماعي ، الى تجمع صهيوني هو بؤرة العنصرية وليس له من مستقبل الا مزيدا من التفرقة والتمايز العنصري ٠

ان « التمثل » هو حل « المسألة اليهودية » ، والتمثل يعني التوحد القومي مع بقية الجماعة البشرية التي تعيش على الارض نفسها وتساهم في عملية الانتاج الانساني فوقها ٠

لذا فان الجماعات اليهودية التي هربت من « التمثل » في مجتمعاتها الاصلية ، ليس امامها الا الطريق نفسها على ارض فلسطين ٠ ولا شك ان القتال الجماهيري الطويل الامد ، اي حرب الشعب ، سيكون مساعدا للكثيرين منهم على ان يتبينوا الوجه البشع للصهيونية التي ضللتهم ثم جعلتهم وقودا لحرب استعمارية تشنها على الشعوب العربية ٠ كما انه سيكون مساندا لجماهيرنا في الوقت نفسه على ان تتآخى معهم في ظل البنادق ٠ **ان « التمثل » في فلسطين يمكن فقط في ظل وحدة البنادق والنضال ضد الصهيونية** التي هي بلا شك قمة القمع الاستعماري الاحتكاري في العالم ، ومن ثم قاع التمييز العنصري الفاشي فيه ٠

من هنا كانت « ديموقراطية فلسطين » خطة قتال وتحرير ، وليست حلا وهدفا فقط ٠ فلئن كانت الرؤية التاريخية تبين ان تحرير الارض واستعادتها ، لا يمكن ان يتحققا لاسباب عسكرية وسياسية ، الا بحرب شعبية طويلة الامد ، تتفوق فيها الجماهير على عدوها الاستعماري المدجج بأحدث الاسلحة والمتفوق تكنولوجيا وحضاريا ، فانه من المؤكد انه **لا سبيل على الاطلاق لفلسطين** ديموقراطية الا بهذه الحرب الشعبية الطويلة التي تخلق وتبني الانسان الجديد على ارض فلسطين ٠

**وحتى لو تدخلت ظروف طارئة ، كاجتماع عدة تناقضات في لحظة زمانية واحدة ، بحيث انهار الكيان الصهيوني ، ولم يكن قد اكتمل بعد طريق حرب الشعب ( وهو احتمال بعيد ولكنه قائم نظريا ) ، فان الذي لا احتمال غيره ، هو انه لا يمكن الوصول الى صيغة فلسطين الديموقراطية الا بحرب الشعب الطويلة وحدها ٠**

في مواجهة هذه الخطة ، خطة القتال الجماهيري الطويل الامد سبيلا لفلسطين الديموقراطية ، يعود البعض فيقدم من جديد ،

فكرة امكان الوصول الى هذا الهدف عن طريق التعاون السلمي بين اسرائيل غير عدوانية « او غير توسعية » وبين دولة فلسطينية تقوم على جزء من الارض الفلسطينية : تعاون رسمي تقوم في ظله علاقات متبادلة تجارية وثقافية وسياسية الخ (٧) ٠

هذه الفكرة ليست جديدة ، فقد تضمنها خطاب جاكوب ماليك عند اعلان موافقة بلاده على التقسيم في ١٩٤٧ ، آملا ان يؤدي التفاعل في المستقبل الى قيام دولة واحدة ٠ وبقدر ما اثبتت السنوات السبع والعشرون الماضية استحالة ذلك ، بقدر ما اكدت سنوات القتال الاخيرة امكانية قيام هذه الدولة ( لا نقول الموحدة ) بشرط تصفية مؤسسة الكيان الصهيوني القائمة حاليا ٠ ففي ظل وقف القتال ( من ١٩٤٨ حتى انطلاق الثورة الفلسطينية ) امكن للصهاينة والاستعمار ان يستمروا في صناعة كيانهم ، وفي محاولة احتواء تناقضاته الداخلية وفي الوقت نفسه السيطرة على المنطقة العربية بالتهديد المستمر والحروب والاعتداءات المتكررة ٠ اما سنوات القتال العشر فقد عمقت من التناقضات الداخلية لهذا الكيان بدرجة كشفت عن وجهه العنصري البشع للعالم كله ، وبالتالي اصبح من الممكن الحديث عن يهود مضطهَدين داخل الكيان الصهيوني ، هم مثل العرب الفلسطينيين المضطهَدين بسبب الكيان الصهيوني ، وهم اليهود الشرقيون ٠ اي اصبح من الممكن رؤية حل صحيح للمشكلة ، حل يقوم على « فكفكة » هذا الكيان الصهيوني والقضاء على مؤسساته بحيث يتحرر قسم كبير من الخاضعين لسيطرته سواء الفكرية او السياسية او العسكرية ، لينضموا الى الشعب العربي الفلسطيني في صراعه ضد هذا الكيان ٠

---

٧ ـ ردد هذه الفكرة مؤخرا الاخوان محمود حسين في كتاب عرب واسرائيليون : اول حوار نشر في باريس بالفرنسية في ١٠ـ١٩٧٤ ٠

والسؤال الذي نطرحه على اصحاب « فكرة التعايش السلمي» هذه او التطور السلمي نحو فلسطين الديمقراطية على حسب قولهم : هل يمكن تحرير جماهير اليهود التي تعيش اليـــوم في ظل الكيان الصهيوني « اسرائيل » من سيطرة الصهيونية ، دون القضاء على المؤسسة الصهيونية كمؤسسة عنصرية استعمارية عسكرية فاشية، مهما كانت مساحة الارض التي تغتصبها من فلسطين ؟ وهل يمكن تحقيق ذلك دون قتال ؟

ان اقامة علاقات سلميـــة بين « الكيان الصهيوني » والبلاد العربية ليس له سوى معنى واحد ، هو اخضاع هذه المنطقة العربية للسيطرة الصهيونية • ذلك هو حكم القوانين الموضوعية التي تحكم التطور التاريخي للتجمعات البشرية ، حتى داخل القومية الواحدة ، فما بالنا والامر متعلق بكيان غريب هو فرع مـــن فروع الاحتكارات الاستعمارية مزروع في قلب المنطقـــة العربيـــة • ان تجربة تسلل النفوذ الصهيوني الاقتصادي ( فضلا عـــن السياسي والعسكري ) عبر « الجسور المفتوحة » على نهر الاردن ، وتجربة اجتذاب القوة العاملة العربية للعمل في مشاريع صهيونية في ظل الاحتلال ، دليل بسيط وواضح على ما اسلفنا •

ولقد اورد مقال فلسطين الغـــد المنشور في شؤون فلسطينية عدد (٢) للدكتور نبيل شعث ارقاما واحصاءات متعددة تبين كيف ادت سياسة الجسور المفتوحة والاندماج الاقتصـــادي الى اخضاع اقتصاديات الضفة الغربية وغزة الى الاقتصاد الصهيوني بعد ثلاث سنوات فقط من احتلالها •

ان « الترويج » لامكانية التفاعل السلمي بين كيان اسرائيلي « مسالم » وبين «كيان فلسطيني» ناقص ، هو تماما كالترويج لامكانية تفاهم سلمي بين اشكال الاستعمار الجديد ( رؤوس الاموال الاجنبية

المسيطرة والمستغلة ) وبين الشعوب الفقيرة ، وهو تماما كالترويج لامكانية التفاهم بين الاحتكاريين والعمال • وفي الحقيقة فان الكيان الصهيوني هو في جوهره اعتى اشكال الاستعمار الجديد ، واكثر مراكز الاحتكارات تقدما في بلادنا وهي محاولة محتومة الفشل •

ذلك بأن « فلسطين الديمقراطية » ليست فقط هدفا ، وليست فقط خطة للقتال ، وانما هي ايضا حتمية تاريخية • **والحتمية التاريخية ، هي حالة محددة كيفية يمر بها طريق تطور مجتمع من المجتمعات او ظاهرة من الظواهر ، ولا يمكن ان يتخطاها الى ما بعدها من اشكال الا بعد ان تتحقق ومن بعد تفقد وجودها وتنتفي الى حالة ارقى ، وذلك مهما تعددت طرق الوصول اليها ، ومراحل الانتقال على طريقها بل والتعرجات العفوية او المقصودة التي قد تعطل تحقيقها • فطالما هي ضرورة تاريخية ، فانها ستتحقق حتما •**

وعندما يحدد الثوار وضعا ما ، هو حتمية تاريخية ، فان ذلك سيكون ملزما لهم بأن يخضعوا كافة خططهم وتكتيكاتهم لهذه الرؤية • وازاء هذه المسؤولية فان الحكم ، بتاريخيه « وضع ما » ، يستلزم الاثبات العلمي قبل اطلاقه •

فهل ينقص « فلسطين الديمقراطية » الدليل على انهم حتمية تاريخية ؟ ربما كان ذلك مذ سنوات ، اما الآن ، فكثير من الحقائق الموضوعية تشير وتنبىء وتكشف عن العوامل والتغيرات التي تتفاعل على ارض فلسطين المحتلة ، وتكاد تكون جنينا لرؤيا المستقبل لفلسطين الديموقراطية •

**ان « فلسطين ديوقراطية » مصغرة قائمة الآن بالفعل داخل سجون ومعتقلات العدو** • ففيها مناضلون عرب فلسطينيون من كل دين وطائفة •

ويمكننا في ايجاز ان نعدد اهم العوامل والحقائق الموضوعية التي تؤكد « حتمية » قيام فلسطين الديموقراطية في المستقبل كحل وحيد لمشكلة الاغتصاب العنصري لارضها :

١ ـ كما ذكرنا ، فان التمثل « هو الحل الوحيد للمشكلة الهيودية » سواء كان ذلك في فلسطين ، او في غير فلسطين • والتمثل لا يمكن ان يتحقق الا بتحقيق « ديمقراطية حقيقية » بين اعضاء المجتمع الواحد • ان من بين ما يعرقل تمثل اليهود في بلادهم الاصلية هو بلا شك عدم ديمقراطية التنظيم الاجتماعي في هذه البلاد •

٢ ـ انه من غير الممكن ان تتطور ظاهرة التجمع الصهيوني الحالية ، الى ما يسميه البعض « قومية اسرائيلية في طريق التكوين » ، او امة اسرائيلية ، او حتى ظاهرة اسرائيلية تستمر بدون اسرائيل ★ بحيث يتوجب عندئذ ان تعطى هذه الظاهرة فرصة تطوير نفسها ثقافيا وفكريا كمجتمع له كيانه الذاتي • ان خطأ واستحالة حدوث ذلك مبني على ما يلي :

أ ـ ان هذا التجمع « هو تجمع منقول » ومصطنع ومفروض بالقوة في موقعه الحالي سواء من الناحية البشرية او الجغرافية او الاقتصادية ، بمعنى ان هذا التجمع لم يتطور تاريخيا بشكل طبيعي ، اي لم يكن نتاجا طبيعيا لتطور وتفاعل عوامل سابقة عليه تاريخيا • وما تزال « القوة » هي التي تفرض استمراره ، بل وتغير

..............................

★ يحاول اصحاب هذه النظريات تصوير الكيان الصهيوني باعتباره مجتمعا تمايز عبر السنوات الخمس والعشرين وان هناك ، تبعا لذلك ، «اسرائيليين» وبعضهم يقول بالقومية الاسرائيلية وما يزال البعض يتحدث عن الحقوق القومية (!!) للجماهير اليهودية !! •

من تركيبه • فالعدو الصهيوني مثلا يسعى لتغيير التركيب البشري لتجمعه بالالحـــاح على استيراد اليهود السوفيات ( اشكنازيم ) لمواجهة تزايد عدد وفعل واثر اليهود الشرقيين (السفارديم) • فلقد تغير تركيب التجمع الاسرائيلي خلال موجات الهجرة ، بحيث يغلب عليه الآن « عنصـــر » السفارديم ( ٦٠ بالمئـــة ) بعد ان كان في البداية يقتصر تقريبا على الاشكنازيم ( الموجـات الاولى من الهجرة الصهيونية ) •

اما عن موقع هذا التجمع الجغرافي فهو في تغير مستمر منذ اعلان كيانه الرسمي وهو ما يزال يعلن عن نيته ضم اراض جديدة • كما لا يزال يعلن عن استعداده للانسحاب من بعض الاراضي •

اما موقع هذا التجمع الاقتصادي فهو مجرد «فرع» للاحتكارات العالمية ، تنقل له رؤوس الاموال مـــن الخارج باستمرار ، سواء على شكل معونات حكومية او من المشاريع الخاصة او تبرعات من الاحتكاريين اليهود الصهاينة • وهـــو ليس اقتصـــادا تابعا ، فالاقتصاد التابع اقتصاد متخلف خاضع • وهو يختلف اختلافا كليا عن الاقتصاد الرأسمالي العالي النمو سواء في شكل علاقات الانتاج او في الانتاج نفسه ( زراعي او مواد اولية اساسا ) ، او في نصيب التراكم الاولي من تشكيل الدخل القومي العام ( لا يكـــاد ينكر في التجمع الاسرائيلي ) او طريقة توزيع فائض القيمة ( لا توجد طبقات متميزة داخل التجمع الاسرائيلي ، وانما التمايـــز يتم على اساس « عرقي » بين الاشكنازيم والسفارديم ، ووظيفي متطابق مع الاساس السابق : قيادات اشكنازية ، وقواعـــد سفاردية ) • في الاساس يختلف اقتصاد التجمع الاسرائيلي عـــــن الاقتصاد التابع انه لم ينشأ نتيجة تراكم وتطور تاريخي بحيث يكون له مستقبل تاريخي • ان الاقتصاد المتخلف لا بد ان يسير في طريقـه الى التحـــــرر من السيطرة والاستغلال الرأسمالي ، وان يستقل ذاتيا • اما اقتصاد

التجمع الاسرائيلي فان « مجرد الافتراض النظري بامكانية اتجاهه للاستقلال عن الرأسمال العالمي ، تعني انتهاؤه تماما كما لو قام احد البنوك العالمية باغلاق احد فروعه في بلد ما » ·

ب ـ ليس امام هذا التجمع اي فرصة لكي يتشكل له ما يمكن ان يسمى « مشاعر قومية » ، فضـــلا عن قومية صحيحـــة · فهو **تجمع متعدد اللغات** : وبرغم تركيز الصهاينة على نشر لغـة واحدة بين المستوطنين ، فان جهودهم لن تنجح كمـا يصورون ، خصوصا بعد ١٩٦٧ عندما لم تعد المؤسسات الصهيونية قادرة على «استيعاب» المهاجرين الجدد وتعليمهم العبرية قبل « دمجهم » في الحياة اليومية · ومن قبل ذلك ايضا كانت اللغة مشكلة بالنسبة لهم · ففي ١٩٤٨ كان ٣/٤ السكان فقط يتكلمون « العبرية » الحديثة ، وفي ١٩٦٠ هبطت النسبة الى ٦٠ بالمئة · كما ان اللغة التي يستعملونهـــا في حياتهم اليومية ، لم تعد هي لغة التوراة العبرية التي يحرص « المتزمتون » من يهود على التحدث بها في بلادهم الاصلية ، بـــل ان العلاقة بين هذه « اللغة الحديثة » وبين لغـــــة « التوراة » هي كما يقولون هم انفسهم كالعلاقة بين اللغة الانجليزيـــــة الحديثة واللغة الانجليزية القديمة ·

وهو تجمع متعدد **الاصـــــول القومية** متناقـــض التكوينات النفسية · فقد قدم المستوطنون من اكثر من مئة بلد ، وهم ان كانوا يقسمون اليوم على كونهم غربيين (اشكنازيم) وشرقيين (سفارديم) ، الا انه حتى بين كـــل طائفة منهم هنـــاك تكوينات واصول قومية مختلفة ومتناقضة نفسيا وثقافيـا · ان يهـــود روسيا ، مثلا ، لا يتعاملون مع يهود رومانيا مع انهما معا من الاشكنازيـــم · كما ان يهود المغرب يختلفون في سلوكهم عن يهود اليمن ، وهكذا يقول جان بول سارتر ( وهو مناصر صريح لبقـــاء اسرائيل ) « ليس ثمة وجود لتراث يهودي واحد ولا لتاريخ يهودي واحد » ( كتاب اليهودي المعادي للسامية ، نيويورك ١٩٦٨ ) · ولقد روج الصهاينـة كثيرا

لامكان اذابة المستوطنين في شخصية « اسرائيلية » واحدة ، الا ان ذلك ، فضلاً عن انه مستحيـــل موضوعيا ، قـــد فشل في الواقع العملي ٠

**وهو تجمع يفتقر الى قاعدة اقتصادية ذاتية كما اسلفنا ، ثم هو قبل كل شيء تجمع على ارض ليست له ، مغتصبة ، لها اصحابها الذين يقاتلون في سبيل استعادتها ، ولن يتركوه مستقرا ابدا ٠**

وبالمثل فليس هناك اي فرصة تاريخية لكي يصبح هذا التجمع « محورا يهوديا اسرائيليا » ، يكون طرفا في صراع مع « محـــور اسلامي عربي » (٨) حتى ولو كان هذا الصراع سلميا ٠ ذلك ان اي صراع يدور بين اليهود الاسرائيليين وبين العرب (مسلمين ومسيحيين وغيرهم) ليس له الا ان يفرز احدى نتيجتين : اما مزيدا من عنصرية هذا الكيان ومؤسساته مع ردود فعل عنصرية على الطرف الاخر من التناقض وذلك في حال ان يدار الصراع انطلاقا من هذا التصـــور الفكري الخاطيء ٠ واما ان يقضي على هذا «المحور» «الكيان» وذلك في حال ان يدور الصراع على اساس علمي وثوري وانساني كمـا هو حادث الان ٠ ولا يوجد طريق ثالث ٠

جـ ـ ان هذا التجمع يحكمه تناقض داخلي مدمر، هو التناقض بين الاشكنازيم والسفارديم اي بين اليهـود الغربييـن واليهـــود الشرقيين ، وبرغم ان جوهر هذا التناقض هو الصراع العرقي بين هاتين الجماعتين ، الا انه ايضا يعكس ويحمل كل ثقل التناقض بين

---

٨ ـ المصدر السابق ٠

المجتمعات الصناعية الفنية المتقدمة ، التي قدم منها الاشكنازيم، وبين التجمعات الزراعية الفقيرة التي قدم منها السفارديم ، كما انه يعبر عن نفسه كل يوم داخل التجمع الصهيوني في الصراع بين اليهود الغربيين (الاشكنازيم) الاغنياء ، واليهود الشرقيين ( السفارديم ) الفقراء ، الفجوة بينهما تزداد حدة على كل المستويات ·

د ـ ان من يتبقى عن هذا التجمع بعد انهيار كياناته السياسية والعسكرية والثقافية سيكونون بلا شك اصحاب «ظروف» متخلفة من الفترة التي قامها هذا الكيان · ولكن هذه «الظروف الخاصة» هي بالطبع رجعية (مكتسبة من تشكيل رجعي هو الكيان الصهيوني ) · ولا بد معها من اتباع اوسع اشكال الديمقراطية واعمقها ولكن في اتجاه الاذابة ، لا في اتجاه التطور كما ينادي البعض بأن يكون لهم حق تطوير ثقافة خاصة ·· الخ ·

ان الموافقة على مثل هذا المطلب المنافي للضرورة التاريخية من شأنه ان يخلق «جيتو» جديد في فلسطين المحررة بدلا من الجيتو الكبير المسمى « باسرائيل » · وليس هذا هو المطلوب ولا المرجو من حرب التحررية الشعبية العربية ·

هـ ـ ان هناك فرقا بين الصهيونية واليهودية ، بين الصهاينة واليهود · والصهيونية تعني بالنسبة لنا ، وبشكل مباشر، «اسرائيل» و«الاسرائيلية» هو التعبير المجسد لها · وبالتالي فان مستقبل الظاهرة الاسرائيلية الحالية هو نفس مستقبل الصهيونية ، اي الاندثار ، والتلاشي ، شأنها في ذلك شأن كل الحركات والدعاوى الفاشية التي لا بد ستنتهي وتندثر بالقضاء على الاستعمار والاستغلال ، ولكن انتهاء الصهيونية لا يعني انتهاء اليهودية «كدين» ، وانما يعني تحريره من كل استغلال سياسي له ، وذلك في

حد ذاته يعني اطلاق حرية العقيدة ، ليس فقط لليهود وانما لكل البشر •

٣ ـ ان تحرير فلسطين واستعادة ارضها وعودة شعبها اليها، لا يمكن اتمامه ، فضلا عن ضمان استمراره ، ما لم تصبح فلسطين، شأنها في ذلك شأن كل البلاد العربية الاخرى جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى ، اي ان التحرير يؤدي الى الوحدة القومية • والوحدة القومية كما هو معروف تنفي التمييز على اساس عرقي او لوني او ديني ، اي ان شرط قيامها هو الديمقراطية • ان الديمقراطية ليست فقط هي الحل الوحيد بالنسبة لتمثل الجماعات اليهودية « القادمة من الخارج » وانما هي ايضا الشرط الاساسي لكي تقوم اي وحدة عربية وتنجح في القضاء على مخلفات « الاقليمية » •

فلسطين الديمقراطية اذن ، حتمية تاريخية ، كما انها هدف ، وخطة قتال • ذلك يعني انه بغض النظر عن الطرق والمراحل التي تفصل بيننا وبين فلسطين الديمقراطية فاننا لا بد ان نصل اليها • لا يمكن ان يتوقف الصراع قبلها • كما ستفشل كل محاولات القفز من عليها الى ما بعدها ، او الانحراف بمسار التاريخ عنها ، او الاكتفاء منها باسمها ، او بجزء من ارضها • وستظل كهدف وحتمية تاريخية، تفرض اسلوبا وحيدا للقتال في سبيلها الا وهو حرب الشعب طويلة الامد • فالديمقراطية تعني في جوهرها ، سلطة الجماهير المسلحة المقاتلة • بهذه الرؤية تمضي قوافل الثوار ، وتتحدد خطواتهم ، وتقيم انجازاتهم ، وتتجه بنادقهم ، وتتميز وسائلهم ، فتقصر ايام الشقاء ، وتقل مخلفات التعصب والاستغلال ، ويتحقق الهدف الانساني الثوري العظيم : فلسطين الديمقراطية •

# الفهرست

# هــذا الكتاب

- ان ما يميز الفكر العربي الثوري عن الفكر الرجعي حيال قضية فلسطين ، وما يميز الحركة الثورية العربية في رد فعلها على رجعية وعنصرية وعدوانية الحركـــة الصهيونية ، هو السمات التي اكتسبتها الثورة الفلسطينية العربية والتي تتميز بافقها الانساني اللاعنصري اي الديمقراطي ، ومستقبلية هذا الفكر وهذه الثورة ٠

وقد وجدت مميزات الثورة هذه التعبير عنها في شعار « فلسطين الديمقراطية » واذا كانت هذه الثورة تشهر البنادق في وجه الكيان العنصري الصهيوني فذلك لا يعني ان البنادق تغني عن الحوار « وحتى لا يخطىء احد الفهم والتفسير مــن غرض هذه المحاولة ، فمـــن الضروري ان اشدد انها كتب حوارا مع اولئك الرفاق الذين يتخذون مواقف عملية معاد للكيان الصهيوني وتضامنا معهم في معركتهـــم « الفكرية الدائرة حول « فلسطين الديمقراطية » وعلى ساحات لا تس الظروف الموضوعية بالوصول اليها » ٠

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن ٧٧٥ ق٠ ل
او ما يعادلها